

رُوضَةُ الْمُشْتَبَاقِينَ
فِي
فَضَائِلِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
وَشَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِمْ

تَأَلَّفَ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ لَعْنَتِي

إِقَمَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى الْعَدَوِيِّ

النَّاشِرُ
الْفَارُوقُ الْحَدِيثِيُّ لِلطَّبَائِعِ وَالنَّشْرِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة
طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية
بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

الناشر : **إِذَا وَقَعَ الْمَرْءُ بِالْطَّبِيعَةِ وَالنَّشْرِ**

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا
ت : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٥٦٨٨ ٢٠٥ القاهرة

اسم الكتاب : روضة المشتاقين في فضال الأنبياء والمرسلين

صوات الله وسلامه عليهم أجمعين

تأليف : أبي عبد الله محمد العفيفي

راجعه وقدم له : أبو عبد الله مصطفى العدوي

رقم الإيداع : ٢٠٠١ / ١٤١٨٧

الترقيم الدولي : 977-5704-63-4

الطبعة : الأولى

سنة النشر : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

طباعة : **إِذَا وَقَعَ الْمَرْءُ بِالْطَّبِيعَةِ وَالنَّشْرِ**

• قيس من التنزيل •

○ قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴿ [الأنعام : ٨٩ - ٩٠] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٧] .

• مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ •

○ قال ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما

مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً

أوحاه الله إلي الحديث » . حديث صحيح .

● من شعر السلف ●

○ ونظم بعضهم أسماء الأنبياء والمرسلين الواردة في كتاب الله فقال :

ألا إن إيماناً برسل تحته	وهم آدم إدريس ^(١) نوح على الولا
وهود وصالح لوط مع إبراهيم أتى	كذا نجله إسماعيل إسحاق فضلاً
ويعقوب يوسف ثم يتلو شعبيهم	وهارون مع موسى وداود ذو الفلا
سليمان أيوب وذو الكفل يونس	والياس أيضاً واليسع ذاك فاعقلا
كذا زكريا ثم يحيى غلامه	وعيسى وطه خاتماً قد تكملا
وقد تم نظمى جمع رسل مرتباً	لهم حسب إرسال كما قاله المـ
عليهم صلاة الله ثم سلامه	يذومان مادام الأراضى وماعلا

(١) على تحفظ في تقديم إدريس على نوح . كما سيأتي ، مع التنويه على أن أغلب المؤرخين قد قدموه على نوح والله أعلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيمٌ وَتَقْرِيزٌ

لَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُصْطَفَى بْنِ الْعَدَوِيِّ - حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى -

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

○ وَيَعُدُّ :

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ ، وَأَصْطَفَى مِنْهُمْ وَاخْتَارَ كَمَا قَالَ فِي

كِتَابِهِ الْكَرِيمِ : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

وَكَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج :

١٧٥] . فَاصْطَفَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ رُسُلًا هُمْ خَيْرُ خَلْقِهِ ، وَأَكْمَلَهُمْ عَقْلًا ،

وَأَرْجَحَهُمْ رَأْيًا ، وَأَسَدَّهُمْ طَرِيقَةً ، وَأَقْوَمَهُمْ سَبِيلًا ، وَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ

وَأَنْبِيَائُهُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ . جَعَلَهُمُ اللَّهُ هُدَاةً مُهْتَدِينَ ، وَقُدُورَةً

لِلْعَالَمِينَ ، وَأُسُوءَةً حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ ، وَالْيَوْمَ الْآخِرَ .

○ قَالَ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْدَمَهُ ﴾ [الانعام : ٩] .

○ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوءَةٌ حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا

اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الاحزاب : ٢١] .

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ بِفَضَائِلَ ، وَكَرَّمَهُمْ بِكَرَامَاتٍ ،

وَقَصَّ عَلَيْنَا قَصَصَهُمُ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ الْقَصَصِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ كَيْ نَتَأَسَّى

بِهِمْ ، وَنَتَّقِي أَثَرَهُمْ ، فَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ .

وَهَؤُلَاءِ هُدَاتُنَا ، وَقُدُوتُنَا ، وَأُسُوتُنَا ، وَأَثْمَتُنَا ، آمَنَّا بِهِمْ جَمِيعًا ،
وَصَدَقْنَاهُمْ جَمِيعًا ، وَشَهِدْنَا لَهُمْ بِالْبَلَاحِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ . وَأَقَرَرْنَا لَهُمْ بِالْفَضْلِ ، وَسَأَلْنَا اللَّهَ أَنْ نُحْشَرَ تَحْتَ أَلْوِيَتِهِمْ ،
وَكِلَآءِ خَاتَمِهِمْ ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ، عَلَيْهِ
وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أَتَمُّ صَلَاةٍ ، وَأَفْضَلُ تَسْلِيمٍ .

○ ○ هَذَا ؛ وَقَدْ قَامَ أَخِي مُحَمَّدُ الْعَفِيفِيُّ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - بِجَمْعِ هَذَا الْكِتَابِ
فِي فَضَائِلِهِمْ ، وَشَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِهِمْ ، فَيَلْزِمُنَا أَنْ نَعْرِفَ أَثْمَتَنَا ، وَقُدُوتَنَا ،
وَأُسُوتَنَا ، وَنَعْرِفَ عَلَى أَخْبَارِهِمْ ، وَفَضَائِلِهِمْ ؛ فَهَذَا يَحْمِلُ عَلَى مَزِيدٍ مِنَ
التَّأْسِي بِهِمْ ، وَاقْتِفَاءِ آثَارِهِمْ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ أَفَادَ . أَخِي مُحَمَّدٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ جَزَاءُ اللَّهِ خَيْرًا ، وَجَمَعَ جَمْعًا
طَيِّبًا فِي مَوْضُوعِهِ .

□ وَمَا امْتَّازَ بِهِ كِتَابُهُ هَذَا :

● سَلَامَةُ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ مِنَ الضَّعِيفِ ، وَالْمَوْضُوعِ ، وَمِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ
كَذَلِكَ ؛ تِلْكَ الَّتِي ابْتَلَيْتُ بِهَا الْكُتُبَ الَّتِي تَنَاوَلْتُ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ بِصِفَةِ
عَامَّةٍ .

● وَقَدْ قَامَ أَخِي مُحَمَّدٌ - وَفَّقَهُ اللَّهُ - بِتَخْرِيجِ الْأَحَادِيثِ ، وَالْآثَارِ ،
وَالْحُكْمِ عَلَيْهَا بِمَا تَسْتَحِقُّهُ صِحَّةً أَوْ ضَعْفًا ، وَرَفْعًا أَوْ وَقْفًا ؛ فَكَانَ مُسَدِّدًا فِي
غَالِبِ أَحْوَالِهِ - جَزَاءُ اللَّهِ خَيْرًا .

وَقَدْ رَاجَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ فَأَلْفَيْتُهُ نَافِعًا ؛ مَعَ اسْتِرْسَالِهِ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ
الَّتِي لَيْسَ لَهَا تَعْلُقٌ مُبَاشِرٌ بِصُلْبِ الْكِتَابِ ، وَمَوْضُوعِهِ ؛ إِلَّا أَنَّ ظَنِّي بِهِ أَنَّهُ

يَرْجُو النَّفْعَ الْعَامَ مَا اسْتَطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .

○ فَاسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ ، وَيَكْتَابِهِ ، وَأَنْ يُوفِّقَهُ لِمُواصَلَةِ طَلَبِ الْعِلْمِ ،
وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ . وَأَنْ يُخْلِصَ أَعْمَالَنَا جَمِيعًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ
تَقْصِيرِنَا ، وَهَفَوَاتِنَا ، وَزَلَّاتِنَا ، وَخَطِئَتِنَا ، وَعَمْدِنَا . كَمَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ
رَأْيَةَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، عَالِيَةَ خَفَاقَةٍ فَوْقَ كُلِّ الرَّايَاتِ ، وَأَنْ يُجَارِيَ عَنَّا
رُسُلَهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ .

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

كَتَبَهُ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ

مُصْطَفَى بْنِ الْعَدَوِيِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ولي المتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .
والصلاة والسلام على أنبيائه وعلى أشرف خلقه نبينا محمد الأمين وعلى
آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا .
وبعد :

فهذا كتاب أعدته رجاء الثواب وطلبًا للأجر ، يجمع عددًا من أحاديث
فضائل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قمت بإعداده وترتيبه على هذا النحو لعموم المؤمنين ، وحرصًا من أن
يعم به النفع إن شاء الله ، وسميته « روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء
والمرسلين عليهم الصلاة والسلام » على نسج ومنوال شيخنا مصطفى العدوي
- حفظه الله - في رسالته المسماة بـ « روضة المحبين في فضائل صحابة سيد
المرسلين ﷺ » ^(١) وذلك ضمن مشروعه : « تقريب سنة النبي الأمين بين يدي
عوام المؤمنين » وهذا من هذا الباب إن شاء الله .

ونسأل الله أن يحشرنا في زمرة أوليائه وأتقيائه الصالحين من الأنبياء
والمرسلين ، والصحابة الغر الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثم لنعلم جميعًا أن أكرم الخلق عند الله عز وجل ، وأخصهم بالزلفى

(١) غير أنني في هذا الكتاب قد توسعت بما تراه واضحًا إن شاء الله من تعليقات ونقولات
وغير ذلك ، والله الموفق .

لديه ؛ رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فهم المصطفون من عباده الذين سلم عليهم في العالمين ، فقال :
﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٨١] .

وقال : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

وأخبر سبحانه أنه أخلصهم : ﴿ بِخَالِصَةِ ذِكْرِي الدَّارِ (٤٦) ﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٦] .

ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه ، وجعلهم أمناء على رسالته ، وخصهم بأنواع كراماته .

فمنهم من اتخذه خليلاً ، ومنهم من كلمه تكليماً ، ومنهم من رفعه مكاناً علياً ، ومنهم من سماه عبداً شكوراً ، ومنهم من ألين الحديد في يديه ، ومنهم من سخرت له الريح ، ومنهم من رفعه الله إليه حفظاً له من كيد الكائدين ، وأيده كذلك بمعجزة إبراء الأكمه والأبرص بإذنه تعالى ، وإحياء الموتى بإذنه ، والنفخ في الطين فيكون طيراً بإذن الله ، فكل ذلك كرامات ومعجزات يؤيد الله بها رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، فليس لعبد مؤمن إلا التسليم .

أما نبينا محمد ﷺ فمعجزاته وفضائله لا يكاد يأتي عليها الحصر ، لذا فقد أرجأنا الحديث عنها إلى وقت لاحق إن شاء الله ، وقد أُلِّفَتْ في ذلك الكتب ، وصُنِّفَتْ في ذلك المصنفات ، فمن أراد الرجوع إليها فليرجع ، فكلُّ في بابهِ قد أفاد وأحسن وأجاد ، وفقنا الله والمسلمين لكل ما يحبه ويرضاه .

وقد حوى كتابُ ربنا سبحانه وتعالى ، ومعه سنة نبينا ﷺ كثيراً من فضائلهم وشمائلهم وخصائصهم العظيمة ، وبيانا لمكانتهم العلية ، ودرجاتهم الرفيعة ، وأخلاقهم الحميدة ، من سمتِ حسن ، وهدى صالح ، وتؤدة وسكينة ووقار ، وحسن هيئة ، وتواضع جم ، وحياء ، وحلم ، وصدق ، ووفاء ، وشجاعة ، وصبر ، وقوة يقين بالله ، وتوكل عليه ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿ [الأنعام : ٨٩ - ٩٠] .

هذا وإن هذا العمل جزء من كل ، وغيض من فيض في فضائل هؤلاء الصفوة الكرام ، من خلق الله عز وجل . وقد سبق أن نهت أن هذا العمل لي فيه جزء كبير ، نسأل الله أن يُتمه على خير وصلاح وقد وسمته بـ «الصحيح المسند من أحاديث الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام» فمن أراد المزيد من تخريجات أو تعليقات بتوسع وباستفاضة ، فليرجع إلى ذلكم الكتاب .

كما أنني أنبه إلى أن عدداً ما من الأنبياء لم يرد في فضلهم إلا شيء من الوارد في الكتاب العزيز ^(١) ، ذلكم الكتاب الذي لا يمل قارئه قد حوى من سير هؤلاء القوم ما تطيب له النفوس ، وتقيم له الأفئدة .

وثم أنبياء آخرون لم يرد في فضلهم ولا في ذكر سيرهم إلا حديث أو

(١) فاعمد في هذه الحالة إلى إيراد جملة من الآيات التي تحكي لنا بعض مواقفهم وسيرهم مع أقوامهم ، فأجري في ذلك مجرى الحكاية ، وأحاول الاختصار فيها قدر الاستطاعة ، فليعذرنا الأخوة إذا كان هناك بعض السرعة ، إذ ليس هذا شرط كتابنا كما هو معلوم .

حديثان من أحاديث سيد المرسلين محمد ﷺ . ولكن هذا الشيء قليل .
 وأنبياء آخرون قد توسَّع القرآن الكريم ، وتوسعت السنة النبوية في
 عرض أحوالهم ، وبيان خصائصهم وفضائلهم ، وهذا إن استطعنا أن
 نحصرهم في جملة أولى العزم ونبين دونهم أو ثلاثة لكان هو ، ولم نبعد
 عن الصواب .
 وايضاً من التنبيهات :

أننا ما أمرنا بالتفتيش والتنقيب عن أمورٍ لم يرد في ذكرها خبر في كتاب
 الله أو في سنة رسول الله ﷺ ومن تلك الأمور : البحث في أسماء آباء
 الأنبياء .

وهذا الباب كغيره من الأبواب التي عمدتنا فيها كتاب ربنا سبحانه ،
 والصحيح الثابت من سنة نبينا محمد ﷺ .

فلم يرد في ذكر أسماء آبائهم شيء إلا الشيء القليل والزر اليسير الذي
 قد وصل إلينا خبره ، وورد إلينا ذكره ، كإبراهيم وهو ابن آزر ، وموسى
 وهارون وهما ابني عمران ، وإسماعيل وإسحاق بنى إبراهيم ، ويعقوب بن
 إسحاق ، ويوسف بن يعقوب ، ويحيى بن زكريا ، وسليمان بن داود ، أما
 الباقي فلم يأت خبر صحيح ينقل إلينا غير ذلك .

وقد قال ابن العربي (كما في « تفسير القرطبي » آية ص : ٤١) :

« ولم يصح عن أبوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين ،
 في الأولى ، قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .
 والثانية في « ص » : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص : ٤١] .

وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرفٍ واحدٍ إلا قوله : « بينا أيوب يغتسل إذ خرَّ عليه رجلٌ جرادٌ من ذهب » الحديث .

وإذ لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه ^(١) ، فمن الذي يوصل السامع إلى أيوب خبره ، أم على أي لسانٍ سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ، وأصمم عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً ، ولا تزيد فؤادك إلا خيالاً » انتهى المراد .

فلزوم ما ورد في كتاب الله ، وفي سنة رسوله ﷺ هو الخير على الإطلاق ، ولو كان في ذكر أسماء آبائهم نفع ، لبيته لنا ربنا سبحانه ، وبينه لنا رسولنا ﷺ ؛ فأرهاق العقل في مثل هذه الأمور تضييع للأوقات وتسويد للصفحات ، وإن ملئت بها كتب السير والتواريخ ، فأغلبها مأخوذ من صحف لا يوثق بها ، ولا يعتمد عليها ، كما قال الخطيب البغدادي - رحمه الله - (٢) :

« وإنما كره العلماء رواية أحاديث الأنبياء وأقاصيص بني إسرائيل المأخوذة عن الصحف مثل ما رواه وهب بن منبه ، وكان يذكر أنه وجده في كتب

(١) قلت : (القائل محمد) : بل قد ثبت لأيوب عليه السلام حرف آخر ، أخرجه ابن حبان كما في (« الموارد » ٢ / ٩٢٤) (٢٠٩١) وأبو يعلى في « مسنده » (٦ / ٢٩٩) بإسناد صحيح عن أنس بن مالك مرفوعاً به ، ولفظه : « إن أيوب نبي الله ﷺ لبث في بلائه ثماني عشرة سنة ... الحديث بطوله » وسأورده في فضائل أيوب عليه السلام فيما سيأتي إن شاء الله .

(٢) « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٢ / ١١٤) .

المتقدمين ، وتلك الصحف لا يوثق بها ، ولا يعتمد عليها .

هذا وأسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم القاء ، وأن لا يجعل للشيطان فيه حظ ولا نصيب ، وأن يكُلِّل أعمالنا دائماً وأبداً بالإخلاص ، وأن يحشرنا جميعاً في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

وصلّى الله وسلم وبارك على محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله / محمد العفيفي

صباح الأحد ٢٤ ذي القعدة ١٤٢١هـ

فضائل عامة

لجميع النبيين والمرسلين^(١)

(١) هذا ؛ وقد فضل الله النبيين بعضهم على بعض ، وليس ذلك بمنقص لمرتبة أي أحد منهم ، بل كل في منزلته التي أنزله الله إياها . ويدل على هذا التفاضل في المنزلة بينهم ، قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الإسراء : ٥٥] ، وقوله : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] . قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - (« التفسير » ٩ / ٣٠ قرطبة) :

« وهذا لا ينافي ما في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا تفضلوا بين الأنبياء » ، فإن المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصية ، لا بمقتضى الدليل ، فإن دل الدليل على شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء ، وأن أولي العزم منهم أفضلهم ، وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧] ، وفي الشورى في قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم ، ثم بعده إبراهيم ، ثم موسى على المشهور ، وقد بسطنا هذا بدلائله في غير هذا الموضع ، والله الموفق » .

● وجوب الإيمان بالأنبياء والمرسلين ●

فالإيمان بهم أصل من أصول الإيمان بالله تعالى ، وركن من أركان الدين وهو واجب على كل مسلم ، ولذا فقد أمر الله بذلك عباده المؤمنين بقوله : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦] . وقال عز من قائل : ﴿ قَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] .

والآيات في هذا الباب كثيرة .

○ وفي حديث رسول الله ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان ، فقال له رسول الله ﷺ : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » (١) .

وقال في دعاء التهجد : « والنبيون حق » (٢) .

فهم رسل الله تعالى إلى خلقه ، وهم حملة دينه عز وجل إلى الناس ، والهداة إلى الحق ، وأصحاب رسالات السماء إلى الأرض .

هذا هو الواجب على المؤمن الإيمان به .

كما أنه يجب عليه أن يؤمن بجميع ما جاءت به الرسل ، وأن يعلم أنه حق ، ويقين ، لا شك فيه ، ولا مرية فيه ولا إشكال ، وأن يعلم أن ما يخرج منهم كله حق وصدق ، كما قال أهل الإيمان : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (حديث ٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (١١٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ
الْجَنَّةَ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ [الاعراف : ٤٣] .

○ وفي « سنن أبي داود » ^(١) و « مسند أحمد » بإسناد حسن من حديث
عبد الله بن عمرو قال : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ
أريد حفظه ، فنهني قريش ، وقالوا : أكتب كل شيء تسمعه ، ورسول
الله ﷺ بشر ، يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ،
فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ بأصبعه إلى فيه ، فقال : « اكتب
فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق » .

ورب العزة يقول في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا
وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ - ٤] .

وقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالأجر العظيم ، واستحقاق
جنة النعيم ، بتصدق جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، كما
قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ
لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْحَرِيمِ ﴾ [الحديد :
١٩] ، وكما قال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

○ أما من آمن بالبعض وكفر بالبعض الآخر ، فهو كافر بجميعهم ، كما
قال سبحانه : ﴿ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

(١) (برقم : ٣٦٤٦) وأحمد (٢ / ١٦٢) وكذا الحاكم في « المستدرک » (١ / ١٠٥ ، ١٠٦) .

وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿ [النساء : ١٥٠ - ١٥١] .

وكذلك الحال فيمن آمن بجميع الرسل عدا رسول واحد ، فهو كافر بجميعهم أيضاً ، فقوم نوح عليه السلام ما كذبوا إلا نبيهم نوحاً عليه السلام ، ومع ذلك اعتبر تكذيبهم لنوح عليه السلام تكذيباً لجميع الرسل الكرام . قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٥] ، وهلم جراً في سائر الأقوام الذين كذبوا رسلهم ، كما في قوله : ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٢٣] ، وكما في قوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٠] .

قال ابن عُثيمين - رحمه الله تعالى - (١) :

« والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع . كما قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٥] . فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل ، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه ، وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا - محمداً - ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون - للمسيح بن مريم - غير متبعين له أيضاً ، لاسيما وأنه قد بشرهم - بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله بهم من الضلالة ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

الثاني : الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل : محمد ، وإبراهيم ،

(١) (« شرح أصول الإيمان » ٣٦ - ٣٨) .

وموسى ، وعيسى ، ونوح عليهم الصلاة والسلام وهؤلاء - الخمسة - هم
أولو العزم من الرسل ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في
(سورة الأحزاب) في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ
وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب : ٧] وفي (سورة الشورى) في
قوله : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣] .

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر : ٧٨] .

الثالث : تصديق ما صَحَّ عنهم من أخبارهم .

الرابع : العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم ، وهو خاتمهم - محمد ﷺ -
المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
[النساء : ٦٥] .

وللإيمان بالرسول ثمرات جليلة منها :

الأولى : العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده حيث أرسل إليهم الرسل
ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ، لأن العقل
البشري لا يستقل بمعرفة ذلك .

الثانية : شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى .

الثالثة : محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم ، والثناء عليهم
بما يليق بهم ، لأنهم رسل الله تعالى ، ولأنهم قاموا بعبادته ، وتبليغ

رسالته ، والنصح لعباده .

وقد كَذَّبَ المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر ! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۚ ﴾ [٩٤] قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿ [الإسراء : ٩٤ - ٩٥] . فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشراً لانه مرسل إلى أهل الأرض ، وهم بشر ، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء ملكاً رسولاً ، ليكون مثلهم ، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسول أنهم قالوا : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [١٠] قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿ [إبراهيم : ١٠ - ١١] « انتهى .

• علو مرتبة النبيين والمرسلين في الدنيا والآخرة •

○ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٧] .

○ وفي « الصحيحين » ^(١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق ، من المشرق إلى المغرب ، لتفاضل ما بينهم ، قالوا : يا رسول الله ، تلك منازل الأنبياء ، لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى ، والذي نفسي بيده ، رجال آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين » .

(١) البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (نوي ١٧ / ١٦٩) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في « الفرقان » (ص ٩٩) : « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم « أربع مراتب » فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] .

وفي الحديث : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » .

قلت : (القائل محمد) : وهو حديث ضعيف ، وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في روائده « فضائل الصحابة » (٥٠٨) (١ / ٣٥٢) وعبد بن حميد في « المنتخب » (١ / ٢١٧) بتحقيق شيخنا العدوي حفظه الله (من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً ولفظه : « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل أو خير من أبي بكر إلا أن يكون نبي » .

● تأييد الرسل والأنبياء

● عليهم الصلاة والسلام بالآيات والمعجزات

فكل نبي قد أتى بمعجزة تدل على صدق نبوته ورسالته ، وحجة يتحدى بها قومه .

○ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [الروم : ٤٧] .

○ وأخرج البخاري ^(١) ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

(١) (برقم : ٤٩٨١) ومسلم (حديث ١٥٢) .

قلت : وقد كانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، كما كان السحر فاشياً عند فرعون ، فجاء موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، لكنها تلقفت ما صنعوا ، وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكهم والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور ، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه ، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة ، جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله ، فلم يقدروا على ذلك . انتهى من « الفتح » (٩ / ٦ - ٧) وينحوه قاله الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في (« البداية والنهاية » ٢ / ٨٥ ، ٨٦ ط الحديث) .

● سلام الله على الأنبياء في العالمين ●

○ قال تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ [النمل: ٥٩] .

○ وقال تعالى: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٨١] .

● رقة النبي ﷺ عند ذكر إخوانه الأنبياء ●

كذا بوب الإمام أبو عوانة في « صحيحه » (١ / ١٦١) وأورد تحته هذا الحديث :

○ عن عبد الله بن السائب قال : « صلى بنا النبي ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة « المؤمنين » حتى جاء ذكر موسى وهارون - أو ^(١) ذكر عيسى - أخذت النبي ﷺ سعدة ^(٢) فرقع ^(٣) .

(١) شك من أحد الرواة .

(٢) وفي رواية (أخذت النبي ﷺ سعدة ، فحذف ، فرقع) ، وقوله : فحذف ، أي : ترك القراءة .

قلت : وهذه الرقة التي أخذته ﷺ حين جاء ذكر موسى وهارون مع أنه جاء قبله - كما في السورة الكريمة - ذكر نوح عليه السلام ، فلعله عليه السلام تذكر لهما حالاً من الأحوال الجالبة لهذه الرقة وهذه الشفقة مالم يتذكره لنوح عليه السلام ، وقد كان النبي ﷺ دائماً يسلي مصابه بموسى عليه السلام ، كما قال : « يرحم الله موسى لقد أودى أكثر من ذلك فصبر » والله أعلم .

(٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (نوي ٤ / ١٧٧) وأحمد (٣ / ٤١١) وابن خزيمة (٥٤٦) وأبو عوانة في « مسنده » (١ / ١٦١) .

● في قصص المرسلين عبر وعظات ●

○ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف : ١١١].

○ وقال تعالى : ﴿ فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الاعراف : ١٧٦] .

● وفي ذكرها طمأنة وتثبيت للقلب ●

○ قال تعالى : ﴿ وَكَأَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود : ١٢٠] .

● فبهداهم اقتده ●

○ قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « التفسير » :

« أولئك : يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء ، والذرية والإخوان ، وهم الأشباه ، الذين هدى الله ، أي : هم أهل الهداية لا غيرهم . فبهداهم اقتده ، أي : اقتد ، واتبع ، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ ، فأمرته تبع له فيما يشرعه ، ويأمرهم به » . انتهى .

● معالم لمعرفة الأنبياء ^(١) ●

(١) وهي رؤوس عناوين وأقلام ، أضعها بين يدي القارئ الكريم ، دون سردٍ لأدلتها ، وإنما أشير إليها فقط بإشارات ، وألح إليها تلميحات ، ومن أراد البسط لها والتفصيل فليُنظر مقدمتي لكتاب (« أحاديث الأنبياء » لعبد الغني المقدسي - رحمه الله -) وقد طبعته دار ابن رجب بالمنصورة .

● معالم لمعرفة الأنبياء ●

- التفريق بين النبي والرسول ^(١) .
- فضل العبد الرسول على الملك الرسول .
- كثرة عدد الأنبياء والرسل .
- آدم أول الأنبياء ، ونوح أول الرسل ، ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .
- بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام .
- وقوع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية .
- أ - كالأكل والشرب .
- ب - والزواج والجماع .
- ج - والنسيان .
- د - والنوم .

(١) وعلى وجه السرعة ، فالذي رجحه شيخ الإسلام في هذا الباب هو أن هناك فرقاً بين النبي والرسول ، مفاده أن النبي هو الذي بعثه الله بشريعة يأمره تعالى بتبليغها (فقول من قال : « النبي لم يؤمر بالتبليغ » قول ضعيف) وهذا التبليغ يكون لأتباعه ، وليس للمخالفين ، فالإرسال فيهم مقيد ، وهل الشريعة التي أمر بتبليغها هي شريعة من قبله أو هي جديدة ؟ ذهب إلى الأول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وأكثر أهل العلم .

أما الرسول : فهو الذي بعثه الله بشريعة يدعو جميع الناس في وقته إليها « سواء المخالفين أو الموافقين » « سواء كانت شريعة جديدة أو شريعة من قبله » انظر : « النبوات » (٢٥٥ - ٢٥٦) .

هـ - والمرض والموت .

○ ○ الرسل لا تعلم الغيب إلا ما أعلمهم الله وأطلعهم عليه .

● من خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ونورد ذلك هنا على وجه السرعة ، فقد بسطنا القول في ذلك بأدلة في كتابنا المشار إليه قبل ، فمن ذلك :

○ الوحي .

○ العصمة .

○ تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم .

○ المعجزات التي يؤيدهم الله بها .

○ أحياء في قبورهم (١) .

○ تخييرهم عند الموت .

○ قبض أرواحهم في أطيب مكان يحبونه .

○ حرم الله على الأرض أن تأكل أجسامهم .

○ ميراثهم الذي ورثوه هو العلم .

● حلية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

○ السمات الحسن ، والهدى الصالح ، والتؤدة والاقتصاد .

(١) وهي حياة برزخية ، لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، وقد قال النبي ﷺ : « مررت ليلة أسري بي بموسى ، فإذا هو عند الكتيب الأحمر قائم يصلي » ، وسيأتي في فضائل نبي الله موسى عليه السلام .

- الحياء .
- التواضع .
- الكرم .
- الصدق .
- الشجاعة .
- الوفاء .
- حسن الصوت والترنم به عند التلاوة .
- لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها .
- وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام .
- التبليغ . « تبليغ الشريعة » .
- الدعوة . « الدعوة إلى التوحيد » .
- التبشير والإنذار .
- إقامة الحجة على الخلق .
- سياسة الأمم والأقوام .
- لكل نبي بطانatan .
- لكل نبي أنصار .
- لكل نبي أتباع .
- الأنبياء أشد الناس بلاءً .

﴿١﴾

○ إهلاك المخالفين للرسل ، ونجاة المؤمنين .

● حقوق الرسل عليهم الصلاة والسلام :

○ وجوب الاستجابة والطاعة المطلقة لهم .

○ تحريم الغلو والإطراء معهم .

○ حرمة اتخاذ قبورهم مساجد .

○ حرمة تمثيل شخصياتهم .

○○ موت الأنبياء جميعهم وعدم بقاء أحدٍ منهم على البسيطة ^(١) .

● حال الرسل والأنبياء يوم العرض والجزاء :

○ كلام الرب مع الأنبياء .

○ كل أمة تتبع نبيها في أرض المحشر .

○ سؤال الأنبياء عن التبليغ ^(٢) والأقوام عن الإجابة .

○ شهادة الأنبياء على أممهم .

○ شعار الرسل على الصراط : اللهم سلم سلم .

○ شفاعة الأنبياء والرسل .

(١) وفي هذا رد على من زعم وقال بحياة الخضر وإلياس عليهما السلام . ويكفي في إبطال

هذا ؛ قول الله سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ

ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿ [الأنبياء : ٣٤ - ٣٥] .

(٢) وسؤاله تعالى لهم سؤال استشهاد بهم وإفصاح ، أي من جواب قومهم لهم . وسؤاله

للأمم سؤال تقرير وتوبيخ وإفصاح .

○ وأختم هذه المعالم بمسألة مهمة ننقل فيها رأي شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ألا وهي هل شريعة الأنبياء قبلنا شريعة لنا أم لا ؟

قال شيخ الإسلام في « التوسل والوسيلة » (رقم : ٥١٠) (ص ١٧٦):

« النزاع في ذلك مشهور ، لكن الذي عليه الأئمة ، وأكثر العلماء أنه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه ، وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا ﷺ ، أو بما تواتر عنهم ، لا بما يروى على الوجه^(١) ، فإن هذا لا يجوز أن يحتج به في شرع المسلمين أحد من المسلمين» انتهى المراد .

قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

(١) أي من الإسرائيليات .

من فضائل آدم عليه السلام^(١)

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ ﴾

(١) وآدم هو أبونا وأبو الخلق جميعهم ، وهو نبي قد اصطفاه الله واجتباه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] ، وكما قال : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ ﴾ [طه : ١٢٢] .

قلت : وقد جمع أبو إسحاق الثعلبي - رحمه الله - (١) خصائصه تحت باب سماه : «الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام» فقال : « خلق الله آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وجعله خاتمة خلقه في أحسن صورة ، وأقسم عليه ، فقال عز من قائل : =

(١) في « عرائس المجالس » (ص ٥٥ ، ٥٦) ، وهو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٢٧هـ .

= ﴿ وَالَّذِينَ وَالزَّيُّونَ ۚ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : ١ - ٤] ، وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَسَبَقَتْ لَهُ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ ، وَأَسْكَنَتْهُ بَعْدَ خَلْقِهِ الْجَنَّةَ بِأَعْمَلٍ ، وَأَبَاحَ لَهُ جَمِيعَ الْجَنَّةِ إِلَّا شَجَرَةَ وَاحِدَةٍ ، وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لَهُ وَأَمَرَهُمُ بِالْإِصْلَاحِ ، وَجَعَلَهُ أَبَا الْبَشَرِ ، وَجَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ، وَعَرَّفَ الْمَلَائِكَةَ فَضْلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَعَنَ إِبْلِيسَ مِنْ أَجَلِهِ مَعَ كَثْرَةِ عِبَادَتِهِ ، وَعَاتَبَ الْمَلَائِكَةَ بِسَبِيهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ حَامِدٍ ، وَأَوَّلُ تَائِبٍ ، وَأَوَّلُ مُجْتَنِبٍ ، وَأَوَّلُ مُصْطَفَى ، وَأَوَّلُ خَلِيفَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، وَهُوَ الْمُمِيزُ لِلْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ مِنَ الطَّيِّبَةِ ، وَهُوَ الْبَاعِثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعَثَ النَّارَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ؛ فَهَذِهِ ثَلَاثُ وَعِشْرُونَ خَصْلَةً مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ ، وَشَرَفِهِ ، وَكَرَمِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قلت (محمد) : وسيأتي تفصيل كل ذلك بأدلته من الكتاب والسنة إن شاء الله ، وكل ما أتى به موافق عليه ؛ باستثناء أشياء طفيفة ، كقوله : « وأمرهم بالتلقين » ، « وجعله خاتمة خلقه .. » ، أما قوله : « وهو أول حامد ، وأول تائب .. » فممكن له الموافقة بذلك ، غير أن الأوليّة مفتقرة إلى ما يُسندُها ؛ والله أعلم .

• من فضائل آدم أبي الأنبياء عليه السلام •

• خلقه الله بيده ^(١) •

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ [ص : ٧١ - ٧٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّن حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٨ - ٢٩] .

○ وأخرج البخاري ومسلم ^(٢) من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك ^(٣) ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم ^(٤) أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده الحديث » .

○ وسيأتي قول كليم موسى عليه السلام مخاطباً أباه بقوله : ﴿ أنت آدم - وفي رواية - أنت أبونا - الذي خلقك الله بيده ؟ ﴾ .

(١) وعليه ؛ فإننا ثبت لله صفة من صفاته ، ألا وهي « اليد » فثبتها كما أثبتنا سبحانه وتعالى لنفسه ، وكما أثبتنا نبينا محمد ﷺ في سته ، من غير تمثيل ولا تعطيل ، أو تكيف ، أو تشبيه ، أو تحريف ، جلُّ ربنا عن النظر وعن الشبه . فلا نحرف الصفات كما حرف أقوام ، ففسروا اليد بالقدرة ، فخالقوا أهل السنة والجماعة الذين اهتموا بهدى الله ، وهدى رسول الله ﷺ .

(٢) خ (٧٤١٠) وم (١٩٣) .

(٣) وفي رواية مسلم : فيهتمون لذلك ، أو : فيلهمون .

(٤) عند مسلم : « أنت آدم أبو الخلق » .

● وخلق آدم ﷺ على صورته

● - دون انتقال في النشأة - (١)

○ وهذا من فضائله ﷺ : ففي الصحيحين (٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً.... الحديث » .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » (٣) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قاتل أحدكم أخاه ، فليجنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته » (٣) .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في « الفتح » (٦ / ٣٦٦) عقب الحديث الأول من الباب : وهذه الرواية تؤيد قول من قال : إن الضمير لآدم ، والمعنى : أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلق عليها ، لم ينتقل في النشأة أحوالاً ، ولا تردّد في الأرحام أطواراً كذريته ، بل خلقه الله

(١) فلم يكن نقطة فعلاقة ، ولا علفة فمضغة ، ولا مضغة فرضيماً ، ولا رضيماً ففطيماً ، ولا فطيماً فشاباً ، كما هو حال غيره ، وهذا من الفضائل له عليه السلام ، كما سيأتى في النقل عن ابن حبان رحمه الله .

(٢) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١) .

(٣) (ص ٢٠١٧) . (١٦ / ١٦٥ ، ١٦٦ نووي) .

(٣) وقد ورد في طرق الحديث زيادة : « على صورة الرحمن » وقد أنكرها جمع الحفاظ كابن خزيمة - رحمه الله - وقد استفاض في بيان ذلك استفاضة واسعة في غير ما مؤلف له الشيخ العلامة المحقق محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ومن ذلك « السلسلة الضعيفة » له (برقم ١١٧٦) و « صحيح الأدب المفرد » (برقم ٧٤٩ ص : ٣٧٤) ، وراجع نقل النووي قول المازري في « شرحه لمسلم » (١٦ / ١٦٦) .

رجلاً كاملاً سويًا من أول ما نفخ فيه الروح . انتهى .

واستطرد أبو حاتم ابن حبان في « صحيحه » (١٤ / ٣٤ ، ٣٥) قائلاً
في بيان ذلك بياناً شافياً : « فمعنى الخبر عندنا بقوله ﷺ : « خلق الله آدم
على صورته » إبانة فضل آدم على سائر الخلق .

والهاء راجعة إلى آدم ، والفائدة من رجوع « الهاء » إلى آدم دون إضافتها
إلى الباريّ جلا وعلا - جلّ ربنا وتعالى عن أن يُشَبَّه بشيء من المخلوقين - أنه
جلّ وعلا ، جعل سبب الخلق الذي هو المتحرك النامي بذاته اجتماع الذكر
والأنثى ، ثم زوال الماء عن قرار الذكر إلى رحم الأنثى ، ثم تغير ذلك إلى
العلقة بعد مدة ، ثم إلى المضغة ، ثم إلى الصورة ، ثم إلى الوقت الممدود
فيه ، ثم الخروج من قراره ، ثم الرضاع ، ثم الفطام ، ثم المراتب الأخر
على حسب ما ذكرنا ، إلى حلول المنية به . هذا وصف المتحرك النامي بذاته
من خلقه ، وخلق الله جل وعلا آدم على صورته التي خلقه عليها ، وطوله
ستون ذراعاً ، من غير أن تكون مقدمة اجتماع الذكر والأنثى ، أو زوال
الماء ، أو قراره ، أو تغيير الماء علقه أو مضغة ، أو تجسيمه بعده ، فأبان الله
بهذا فضله على سائر من ذكرنا من خلقه ، بأنه لم يكن نطفة فعلقة ، ولا
علقة فمضغة ، ولا مضغة فريضاً ، ولا رضيعاً ففطيماً ، ولا فطيماً فشاباً ،
كما كانت هذه حالة غيره » انتهى .

● وخلق في خير الأيام وأفضلها ●

○ أخرج مسلم في « صحيحه » ^(١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » .

○ وعن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة ، قال : قالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك ، وقد أُرمت - يقولون : بليت . فقال : « إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء » ^(٢) .

(١) (٨٥٤) . قال النووي رحمه الله : قال القاضى عياض : الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته ، لأن إخراج آدم ، وقيام الساعة ، لا يعد فضيلة ، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام ، وما سيقع ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ودفع نقمته .

وقال أبو بكر ابن العربي في كتابه الأحوذى في شرح الترمذى : الجميع من الفضائل ، وخروج آدم من الجنة ، هو سبب وجود الذرية ، وهو النسل العظيم ، ووجود الرسل والأنبياء ، والصالحين والأولياء ، ولم يخرج منها طرداً ، بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها . وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء الأنبياء والصدّيقين والأولياء وغيرهم ، وإظهار كرامتهم وشرفهم ، وفي هذا الحديث فضيلة يوم الجمعة ، ومزيته على سائر الأيام . اهـ .

(٢) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (١٠٤٧ ، ١٦٣١) وأحمد (٨ / ٤) والنسائى (٩١ / ٣) وابن ماجه (١٠٨٥ - ١٦٣٦) وابن حبان في « صحيحه » (حديث ٩١٠) وغيرهم ، وقد أعل بما لا يقدرح والله أعلم .

قلت : ولا تعارض بين هذا الحديث ، وبين ما ثبت في حديث : « عظام يوسف » وسيأتي ، فإن العظام تطلق ويراد بها البدن ، كما قال الصحابة لرسول الله ﷺ : « هلا صنعنا لك منبراً يحمل عظامك » أي : يحمل بدنك ، والله أعلم . وسيأتي ذلك في باب فضائل يوسف ﷺ .

● طرفٌ في وصف خلق آدم ﷺ

● وجملة من الأحاديث الواردة في ذلك

- قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] .
- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .
- وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ^(١) [الحجر : ٢٦] .
- وقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] .
- وقال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لِأَرْبٍ ﴾ [الصفات : ١١] .
- وأخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضی الله عنها قالت :
- قال رسول الله ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، و خلقت الجان من مارج من

(١) وهنا سؤال قد يطرح ألا وهو أنه قد جاء في هذه النصوص الكريمة ما يثبت أن الإنسان وهو آدم عليه السلام خلق من تراب ، وفي بعضها من طين ، وفي البعض من طين لازب ، ثم ورد أنه خلق من صلصال كالْفَخَّار ، فما هو الجمع بين هذه النصوص ؟ اجاب على ذلك العلامة الشنقيطي رحمه الله (*) بعد ما طرح سؤالاً قريباً من الذي سقناه فقال : « ظاهر هذه الآية أن آدم خلق من صلصال ، أى : من طين يابس ، وقد جاء في آيات أخر ما يدل على خلاف ذلك ، كقوله تعالى : ﴿ مِّنْ طِينٍ لِأَرْبٍ ﴾ (الصفات : ١١) وكقوله : ﴿ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾ (آل عمران : ٥٩) والجواب : أنه ذكر أطرار ذلك التراب ، فذكر طوره الأول بقوله : ﴿ مِنْ تُرَابٍ ﴾ ، ثم بُلَّ فصار طيناً لازباً ، ثم خمر فصار حمأ مسنوناً ، ثم ييس فصار صلصالاً كالْفَخَّار ، وهذا واضح والعلم عند الله . »

(*) في « دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب » (١٣١) .

نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » (١) .

○ وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله عزوجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض ، والأحمر ، والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، والسهل ، والحزن وبين ذلك » (٢) .

○ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً » الحديث (٣) وقد سبق .

○ وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لما صور الله آدم في الجنة ، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك » (٤) .

(١) أخرجه مسلم (٦٩٩٦) وأحمد (١٥٣ / ٦ ، ١٦٨) وابن مندة في «التوحيد» (٧٣) وفيه « وخلق إبليس من نار السموم » .

(٢) حديث صحيح ، أخرجه أبو داود (٤٦٩٣) وأحمد (٤ / ٤٠٠ ، ٤٠٦) والترمذي (٢٩٥٥) وعبد بن حميد (٥٤٩) وابن حبان (موارد ٢٠٨٣) والحاكم (٢ / ٢٦١ ،

٢٦٢) والخطابي في العزلة (ص ٧٣) باب اختلاف طبقات الناس . من طريق : عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير .

(٣) حديث صحيح ، أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١) .

(٤) حديث صحيح ، أخرجه مسلم (٢٦١٧) وأحمد (٣ / ١٥٢ ، ٢٢٩ ، ...) وابن مندة في «التوحيد» (١٣٨٦) وعبد بن حميد (١٣٨٦) من طريق حماد بن سلمة

عن ثابت عن أنس رضى الله عنه .

قال النووي - رحمه الله تعالى - في « شرحه على صحيح مسلم » (١٦٤ / ١٦) :

« ومعنى : لا يتمالك ، لا يملك نفسه ، ويحبسها عن الشهوات ، وقيل : لا يملك دفع الوسواس عنه ، وقيل : لا يملك نفسه عند الغضب ، والمراد جنس بني آدم » .

○ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح على ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، فجعل بين عيني كل إنسان وبيصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم ، فقال : أى رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، قال : فرأى رجلاً يقال له داود ، فقال ، أى رب كم جعلت عمره ؟ .. الحديث »^(١) .

○ وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر . وضرب كتفه اليسرى ، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ، ولا أبالي ، وقال للذي في كتفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي »^(٢) .

○ وفي رواية عند أحمد^(٣) بإسناد حسن عن عبد الله بن قتادة السلمي أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره ، وقال : هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء في النار ولا أبالي ، قال : فقال قائل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ قال : على مواقع القدر » .

(١) حديث صحيح ، أخرجه الترمذي (٣٠٧٦ ، ٣٠٧٨) وابن حبان (الإحسان / ٦١٦٧) والفرياي في كتاب « القدر » له (حديث ١٩) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه .

(٢) حديث حسن ، أخرجه عبد الله في (« الزوائد » ٦ / ٤٤١) وفي « السنة » (١ / ٤٤١) ، وصحح إسناده محدث العصر ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى في « الصحيحة » (حديث ٤٩) .

(٣) أخرجه أحمد (١٨٦ / ٤) والحاكم (٣١ / ١) وقال : صحيح ، وابن أبي زمنين في « أصول السنة » (حديث ١١٩) وابن حبان في « صحيحه » (٢ / ٣٣٨) واللالكائي في « أصول الاعتقاد » (٤ / ١٠٨١) .

○ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ، وإنما سمي الإنسان لأنه نسي » ^(١) .

(١) إسناده صحيح ، أخرجه ابن مندة في « التوحيد » (١ / ٢١٠) (٧٧) وابن جرير في « تفسيره » (١٦ / ٢٢١) .

قلت : وفي تسمية آدم بذلك أقوال آخر ، انظرها في « الفتح » (٦ / ٤١٩) للحافظ ابن حجر - رحمه الله - .

وقد قال قوم بأن الله عز وجل هو الذي سماه بذلك ، ولا حاجة بنا إلى تعليل التسمية ، والله أعلم .

● تسميت الله عز وجل لآدم وقوله (يرحمك الله)

حين عطس حال نفخ الروح فيه وبلوغه رأسه ●

○ أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم عطس ، فآلهمه ربه أن قال : الحمد لله ، قال له ربه : يرحمك الله ، فلذلك سبقت رحمته غضبه » (١) .

○ وفي رواية (٢) : « خلق الله آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة من الملائكة فسجدوا له ، فجلس فعطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك الله » .

○ وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لما نفخ الله في آدم الروح فبلغ الروح رأسه ، عطس فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله » (٣) .

(١) حديث صحيح لغیره ، أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) والحاكم (١ / ٦٤) وابن حبان (٢ / ٩٢٠ موارد) (حديث ٢٠٨٠) (٢٠٨٢) .

(٢) وهي صحيحة . وانظر (« أحاديث الأنبياء » لابن عبد الواحد المقدسي) (رقم ٣ بتحقيقي) .

(٣) حديث صحيح ، أخرجه ابن حبان (« الإحسان » ٦١٦٥) من طريق : حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه .

فائدة : اعلم أن تسميت العاطس من حقوق المسلم على أخيه ، وذلك لما أخرجه البخاري (٦٢٢٢) ومسلم (٢٠٦٦) من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ومنها : (... تسميت العاطس) . وأخرج البخاري أيضاً (٦٢٢٣) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله يحب العاطس ويكره التأؤب ، فإذا عطس فحمد الله فحق على كل مسلم سماعه أن يشمته . » الحديث .

= ولكن هذا الحديث من العام المخصوص فتشمت العاطس أمر عام ، لكنه - ككثير من الأمور العامة - مخصوص بما سوى هذه الأصناف :

أولاً : من لم يحمد الله عند عطسه ، فذلك لا يشمت ، وذلك لما أخرجه البخاري (٦٢٢١) ومسلم (٢٩٩١) من حديث أنس رضى الله عنه قال : عطس رجلان عند النبي ﷺ ، فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر ف قيل له ، فقال : « هذا حمد الله ، وهذا لم يحمد الله » . وأخرج مسلم (٢٩٩٢) من حديث أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه » .

ثانياً : المزكوم ، لما أخرجه مسلم (٢٩٩٣) وأبو داود (٥٠٣٧) من حديث سلمة ابن الأكوع أنه سمع النبي ﷺ - وعطس رجل عنده - فقال له : يرحمك الله ثم عطس أخرى ، فقال رسول الله ﷺ : « الرجل مزكوم » ، وبالنسبة لعدد مرات التشمت فهنا في مسلم أن عليه السلام قال : « الرجل مزكوم » بعد الأولى ، وفي بعض روايات الترمذي (٢٧٤٣) أن النبي ﷺ قال في الثالثة « الرجل مزكوم » وإسنادها صحيح ، ورجحها الترمذي ، ولزيد انظر « فتح الباري » (١٠ / ٦١٥) .

ثالثاً : الكفار ، وذلك لما أخرجه أبو داود (٥٠٣٨) والترمذي (٢٧٣٩) بإسناد صحيح من حديث أبي موسى رضى الله عنه قال : « كانت اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أن يقول لهم : يرحمكم الله ، فكان يقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم » . أما صفة الحمد فورد في حديث الباب أن آدم عليه السلام لما عطس قال الحمد لله رب العالمين ، فهذه صفة ، وعند البخاري ٦٢٢٤ من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله فإذا قال له : يرحمك الله فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » . هذا ويستحب لمن يعطس أن يضع يده أو ثوبه على فيه لما أخرجه أبو داود ٥٠٢٩ والترمذي ٢٧٤٥ بإسناد حسن عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غض بها صوته » . وله شاهد عند الطبراني من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أشار إليه الحافظ ابن حجر في « الفتح » (١٠ / ٦٠٢) . راجع الأحاديث القدسية الصحيحة (ص ١٩٩ ، ٢٠٠) لشيخنا العدوي حفظه الله تعالى .

● تكريم آدم عليه السلام

● بسجود الملائكة له

وهو سجود تحية وتعظيم .

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر : ٢٨ - ٣٠] .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » ^(١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته ... الحديث » .

(١) (برقم : ٢٦٥٢) (١٦ / ٢٠١ نوى) . وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه .

قال البغوى : وسجود الملائكة لآدم عليه السلام كان على الحقيقة ، وتضمن معنى الطاعة لله عزوجل ، بامتثال أمره ، وكان ذلك سجود تعظيم وتحية ، لا سجود عبادة ، كسجود إخوة يوسف له في قوله عزوجل : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (يوسف : ١٠٠) .

● وأخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : « كانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته » . وقد نقل القرطبي رحمه الله الاتفاق على أن سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة ، وإنما كان تكريمًا لآدم وإظهارًا لفضله عزوجل .

● تسليم آدم عليه السلام

● على الملائكة وتسليمهم عليه

وفي هذا منقبة له عليه السلام :

○ ففي « الصحيحين » ^(١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خلق الله آدم على صورته ، طوله ستون ذراعاً ، فلما خلقه ، قال : اذهب فسلم على أولئك ، نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك » ^(٢) ، فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله ^(٣) ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ^(٤) ، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن .

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧ ، ٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١) .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (١١ / ٤) : « أى من جهة الشرع ، أو المراد بالذرية بعضهم ؛ وهم المسلمون ، وقد أخرج البخاري في « الأدب المفرد » وابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة من طريق : سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عائشة مرفوعاً : « ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدوكم على السلام والتأمين » . وهو يدل على أنه شرع لهذه الأمة دونهم » .

(٣) قال الحافظ : فيه مشروعية الزيادة في الرد على الابتداء ، وهو مستحب بالاتفاق ، لوقوع التحية في ذلك ، في قوله تعالى : ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها ﴾ (النساء : ٨٦) .

(٤) قال الحافظ في « الفتح » (٤٢٣ / ٦) : « أي : على صفته ، وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره ، تنتفي عند دخول الجنة » . انتهى .

قلت : وهذا يفيد أن آدم ﷺ كان غاية في الجمال والبهاء ، وهذا يعد في فضائله ؛ بل قد قال بعض العلماء : إنه أجمل الخلق ، لأن الله هو الذي خلقه وصوره بيده الكريمة ، ونفخ فيه من روحه ، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشياء .

قلت (محمد) : ومع هذا الذي أثبتته ، فإنه يحتاج مني إلى مزيد نظر وتحريير ، والله أعلم .

• آدم عليه السلام نبي

معلم مكلّم ومفضّل على الملائكة بالعلم •

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿ [البقرة : ٣١ - ٣٣] .

○ وأخرج الشيخان ^(١) من حديث أنس أن النبي ﷺ قال : « يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم ، أما تري الناس ؟ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء (*) اشفع لنا إلى ربك ... الحديث بطوله » .

○ وعن أبي أمامة الباهلي أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله ، أنبيا كان آدم ؟ قال : « نعم ، مكلماً » وفي رواية (**): « [معلم مكلّم] » قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : « عشرة قرون » ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٠) ومسلم (حديث ١٩٣) .

(*) وفي حديث حجاج آدم وموسى ﷺ ، قال موسى لآدم : « أنت الذي نفخ الله فيك من روحه .. وعلمك الأسماء كلها » .

(**) للبيهقي .

(٢) حديث صحيح . أخرجه الدارمي في « الرّد على الجهمية » (٢٩٩) وهذا لفظه ، والحاكم (٢ / ٢٦٢) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (١ / ٥١٧) وابن حبان في « صحيحه » (٦١٩٠) ، وابن مندة في « التوحيد » (٥٧١) من حديث أبي أمامة رضى الله عنه مرفوعاً به بإسناد صحيح على شرط مسلم والله أعلم . =

فبين الله تعالى لهم شرف آدم ﷺ عليهم في العلم الذي أوتاه . فقال : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ ۖ ﴾ (١) .

ثم أظهر الله فضيلة آدم عليه السلام على الملائكة بالعلم ، فقال تعالى : ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ ﴾ (٢) .

= قلت : وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن آدم عليه السلام ، نبي وليس برسول ، ومنهم ابن بطال رحمه الله كما في « التفسير » للقرطبي (٧ / ١٤٨ ، ١٤٩) .
(١) البقرة : ٣١ .

قلت : وحملُ العلم في الآية على جميع الأسماء ، أولى وأليق بسياق الآيات والأحاديث ، والله أعلم .
(٢) البقرة : ٣٣ .

قلت : وهكذا يرفع الله سبحانه حملة العلم وأهله ، ويشني عليهم في آيات وأحاديث كثيرة ، ونكتفي بمثل قول الله عز وجل : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۖ ﴾ [المجادلة : ١١] .

● سكناه الجنة هو وزوجه

● حواء عليهما الصلاة والسلام

وهي جنة الخلد ^(١).

○ قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا

حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة : ٣٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ

الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ^(١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ^(١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا

تَضْحَكُ ﴾ [طه : ١١٧ - ١١٩] .

○ وسبق قول موسى عليه السلام له : (وأسكنك جنته) .

○ وكذلك قول أهل المحشر : « يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ،

ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة .. الحديث » ^(٢) .

قال الحافظ ابن كثير : « فهذه أربع تشريفات ، خلقه بيده الكريمة ،

ونفخه من روحه ، وأمره الملائكة بالسجود له ، وتعليمه أسماء الأشياء » .

(١) وهو قول أهل السنة والجماعة .

وقد قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « والجمهور على أنها هي التي في السماء ،

وهي جنة المأوى ، لظاهر الآيات والأحاديث .. الخ » .

(٢) وسباني في فضائل نوح عليه السلام .

● محاجته ﷺ لموسى عليه السلام

● عند رب العزة سبحانه

○ أخرج مسلم في « صحيحه » ^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسى : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ، فقال آدم : أنت موسى الذي الله برسالته ، وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء ، وقربك نجياً ، فبكىم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ ، قال موسى : بأربعين عاماً ، قال آدم : فهل وجدت فيها : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ ؟ قال : نعم ! قال : أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ ! قال رسول الله ﷺ : « فحج آدم موسى » ^(٢) .

(١) (برقم : ٢٦٥٢) (١٦ / ٢٠١ نووي) . وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه .
(٢) في هذه الرواية قال ذلك النبي ﷺ مرة واحدة ، وفي روايات أخر في الصحيح أيضاً أعادها مرتين ، وثلاثاً . وانظر « صحيح البخاري » (برقم : ٦٦١٤) (باب : تحاج آدم وموسى عند الله) . وراجع كلام الحافظ في « الفتح » (١١ / ٥١٤ - ٥٢٠) .
قال النووي رحمه الله تعالى :

« قوله « فحج آدم موسى » أي : فغلبه ، وظهر عليه بها ، ومعنى كلام آدم : أنك يا موسى تعلم أن هذا كُتِبَ عليّ قبل أن أخلق ، وقدّر عليّ ، فلا بد من وقوعه ، ولو حرصت أنا والخلائق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر ، فلم تلومني على ذلك ؟ ! ولأن اللوم على الذنب شرعي لا عقلي ، وإذ تاب الله تعالى على آدم ، وغفر له ، زال عنه اللوم ، فمن لومه كان محجوجاً بالشرع ... إلخ » .

● وَسَمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

● لَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخَلِيفَةِ قَبْلَ وَجُودِهِ ^(١)

○ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ^(٢)

[البقرة: ٣٠] .

● قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

● لَأَدَمَ: «أَخْرَجَ بَعَثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ»

○ أخرج البخاري في «صحيحه» ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله

عنه أن النبي ﷺ قال: «أول من يدعى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهم من ذريتك، فيقول: يارب كم أخرج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين» .. الحديث .

○ وفي رواية في الصحيحين ^(٤) من حديث أبي سعيد الخدري: «يقول

الله تعالى: يا آدم، فيقول، لبيك وسعديك، والخير في يدك، فيقول:

(١) وقد قال ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه «الفوائد» (٧٥ دار الكتب) وهو ما نصه: «وتأمل كيف وسمه بالخلافة، وتلك ولاية له قبل وجوده» .

(٢) فظهر بذلك أن الخليفة الأول لله في أرضه في تنفيذ أوامره، وإمضاء أحكامه آدم ﷺ والله أعلم .

(٣) (برقم: ٦٥٢٩) وأحمد (٢ / ٣٧٨) .

(٤) غ (٣٣٤٨) وفي مواضع أخرى، و (م ٢٢٢) . قال الحافظ في «الفتح» (٣٩٧/١١):

«وإنما خص بذلك آدم لكونه والد الجميع، ولكونه كان قد عرف أهل السعادة من أهل»

أخرج بعث النَّارَ قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . فعنده يشيب الصغير ، ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ . قال يا رسول الله ! أوينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجل ، ومن يأجوج ومأجوج ألف ، ثم قال : والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة . فكبرنا فقال : أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة . فكبرنا ، فقال : ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض ، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود .

○ وقد ورد في ذكر وفاة آدم عليه السلام أحاديث ، منها :

١ - « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة . . . وفي الحديث : فلما قضى عمر آدم ، جاءه ملك الموت ، فقال : أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : أولم تعطها ابنك داود ؟ قال : فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسى آدم فنسيت ذريته ، وخطئ آدم فخطئت ذريته » ^(١) . وهو صحيح .

= الشقاوة ، فقد رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء ، وعن يمينه أسودة ، وعن شماله أسودة ، الحديث كما تقدم حديث الإسراء .

قلت : وقد أورد الحافظ رحمه الله في « الفتح » أوجهًا للجمع بين العدد الوارد في حديث أبي هريرة الذي فيه : « من كل مائة تسعة وتسعين » وبين حديث أبي سعيد ، وفيه : « من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين » فانظره هناك (١١ / ٣٩٧ ، ٣٩٨) .
(١) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (٣٠٧٦) وابن سعد في « الطبقات » (١ / ٢٤ - ٢٥) والحاكم (٤١٩١) ، بتحقيق الشيخ مقبل ، والفريابي في « القدر » (١٩) وأبو يعلى في « مسنده » (٦٦٥٤) ، وابن مندة في « الرد على الجهمية » (٢٣) .
من طريق : هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعًا .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . =

٢ - « لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترّاً ، وأحدوا له ، وقالوا : هذه سنة آدم في ولده » (١) وهو ضعيف والله أعلم .

قلت : وسائر أحاديث الباب لا يصح منها حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ فيما اطلعت عليه والله أعلم .

وعليه ، فلا معنى للجري وراء الإسرائيليات الواهية ، التي تطفح بالباطل والبهتان ، فلزوم الوارد في كتاب الله ، والثابت الصحيح عن رسول الله ﷺ أنجي في مثل هذه المقامات الغيبية التي لا مجال فيها لقول فلان وفلان .

= وقال ابن مندة : هذا حديث صحيح من حديث هشام بن سعد (*) عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة .

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » (٥ / ١٣٦) ، والحاكم في « المستدرک » (٢ / ٥٤٥) ، والمحامي في « الأمالي » (رقم : ٤٠٣) ، والدارقطني في « السنن » (٢ / ٧١) وسواهم . وقد صحح إسناده الحاكم وأقره الذهبي . وأورده الشيخ المحدث مقبل بن هادي في « الصحيح المسند من دلائل النبوة » (ص ٣١٩) . قلت :

ولكن مع هذا ، الحديث معلّ بالوقف والإرسال . فقد اختلف على إسناده ، فمرة روى عن حماد عن ثابت عن الحسن عن عتي بن ضمرة عن أبي بن كعب مرفوعاً . ومرة روى عن حماد عن ثابت عن الحسن عن رسول الله ﷺ مرسلأ كما عند الطبري في « تاريخه » (١ / ١٠٠ - ١٠١) .

ومرة روى عن حماد عن حميد عن الحسن عن عتي بن أبي موقوقاً كما في « زوائد المسند » (حديث ٢١٢٤٠ بتحقيق الأرنؤوط) وقد أبدل ثابت فجعل مكانه حميد الطويل .

هذا : وأكثر طرق الحديث مدارها على عتي بن ضمرة التيمى السعدى ، والراجح لدى فيه خاصة في مثل هذه الأحاديث أنه مجهول . وذلك لما نقله الحافظ فيه في « التهذيب » (٧ / ١٠٤) قال :

« قلت : وقال على بن المدينى : عتي بن ضمرة السعدى مجهول ، سمع من أبي =

(*) وهو من أثبت الناس في زيد بن أسلم ، كما قال أبو داود - رحمه الله - .

● بقاؤه في إحدى

السموات ، ولقاء رسولنا

● محمد ﷺ به في السماء ليلة المعراج

○ ففي « الصحيحين » ^(١) في حديث الإسراء الطويل من حديث أنس ابن مالك قال كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فذكر حديث الإسراء وفيه أنه قال « فلما علونا السماء » ^(٢) إذا رجل عن يمينه أسودة ^(٣) ، وعن يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح ، والابن الصالح ، قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا آدم (عليه السلام) ^(٤) ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة ^(٥) بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار . فإذا نظر قبل يمينه ضحك ، وإذا نظر قبل شماله بكى ، ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية ... الحديث .

= بن كعب لا نحفظها ، إلا من طريق الحسن ، وحديثه يشبه حديث أهل الصدق ، وإن كان لا يعرف « انتهى المراد . وإن شئت أن تراجع الكلام على هذا الحديث بتوسع ، فانظره في « تحقيق المسند » للإمام أحمد - رحمه الله - (٣٥ / ١٦٣ - ١٦٤) بتحقيق الأرناؤوط ومساعدته ، فقد بحثوا هذا الحديث بحثاً موسعاً ، فجزاهم الله خيراً .

(١) البخاري (٣٣٤٢) ومسلم (٢ / ٢١٨ - ٢١٩ نووي) .

(٢) في رواية مسلم : « السماء الدنيا » .

(٣) أي أشخاص . قال النووي : قال أهل اللغة . السواد الشخص ، وقيل : السواد الجماعات .

(٤) ما بين القوسين من عند مسلم .

(٥) أي أرواح . قال الخطابي (فيما نقله عنه النووي) : « هي نفس الإنسان ، والمراد أرواح بني آدم » .

من فضائل

نوح عليه السلام^(١)

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾
﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾

(١) لم يصح في نسبه حديث عن رسول الله ﷺ ، والامر كما نبهنا عليه في المقدمة . هذا ؛ وقد سُئِلَتْ سورة في الكتاب العزيز باسمه ، وهو من أولى العزم من الرسل ، وكرّر ذكره في كتاب الله عز وجل في مواطن عديدة ، ووردت سيرته بأساليب متنوعة ، وبسياقات مختلفة ، أما من حديث رسول الله ﷺ فلم يصح فيه إلا الشيء القليل ، ولم يُذكر عنه إلا التزّر اليسير ، ولعل ذلك ؛ اكتفاءً بالكتاب العزيز ، فقد أسهب وأطنب في ذكر سيرة هذا النبي الكريم مع قومه ، وما حلّ لهم ، فلم يدع شيئاً إلا وقصّه وبينه ولم يترك أمراً إلا فصلّه ووضّحه ، وكرّر وأعاد ، فبلغ غاية الحسن وأجاد . والله الحمد والمنة .

● من فضائل نوح عليه السلام ●

● جملة من فضائل نبي الله نوح عليه السلام

الواردة في كتاب الله عز وجل ●

● المصطفى من قبل الله ●

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى

الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

[النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ - إِلَى قَوْلِهِ - وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٤ و ٨٧] .

○ وأول رسولٍ إلى أهل الأرض ، كما في حديث الشفاعة وسيأتي .

○ وجعله الله ثاني المصطفى ﷺ في الميثاق والوحي ^(١) ، قال تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ... ﴾ [الاحزاب : ٧] . وكما

سبق في آية النساء (١٦٣) .

(١) كما قال الثعلبي - رحمه الله - .

● بركة عمره ﷺ (١) ●

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

● دعوته إلى التوحيد ●

○ قال تعالى : ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ [نوح : ٢ ، ٣] .

● صدقه في الدعوة ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٦ - ١٠٩] .

● فصاحته في الدعوة ●

○ قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أَبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٠ - ٦٢] .

(١) إذ قد قال النبي ﷺ : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ (٢٨) وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (٢٩) وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣٠) وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣١) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [مود : ٢٨ - ٣٤] .

● تعزية الله له ●

○ قال تعالى : ﴿ وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣٦) (١) وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿ [مود : ٣٦ - ٣٧] .

● استجابة دعوته في الكافرين ●

○ قال تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ [الانبياء : ٧٦ ، ٧٧] .

(١) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : * وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن أي لا يسوءك ما جرى ، فإن النصر قريب ، والنبأ عجب عجب * .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ

الْعَظِيمِ ﴿ [الصافات : ٧٥ ، ٧٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ

مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ

الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿ [القمر : ١٠ - ١٤] .

● حملة على السفينة (١) هو وأهل الإيمان ●

○ قال تعالى : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٢٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

[العنكبوت : ١٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ

تَذَكُّرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١١ - ١٢] .

● حفظ الله له ●

○ قال تعالى : ﴿ فَأَرْحِمْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلَّ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا ﴾ [المؤمنون : ٢٧]

○ وقال تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ

كَانَ كُفِرَ ﴿ [القمر : ١٣ - ١٤]

(١) وهذه كرامة ومعجزة لهذا النبي الكريم .

● ثناء الله عليه

● في الآخرين ، وعلو منزلته في الدارين

- قال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ٧٨ - ٨١] .
- وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى : ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾ [هود : ٤٨] .

● وصفه بالعبد الشكور^(١)

- قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] .
- وقول أهل المحشر كما في حديث الشفاعة الطويل : « وسماك الله عبداً شكوراً » وسيأتي .

● جعل الله في ذريته النبوة

- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [الحديد : ٢٦] .

(١) ورد أثر عن سلمان الفارسي بإسناد صحيح إليه وله طرق أخرى أنه قال : « كان نوح عليه السلام إذا أكل قال الحمد لله ، وإذا لبس ثوباً قال الحمد لله ، فسمى بذلك شكوراً قال : ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلَةٍ مَّعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ . رواه المحاملي في « الأملاني » (٦٨) وهذا لفظه ، والحاكم في « المستدرک » (٢ / ٣٦٠) وانظر : « الفتح » (٨ / ٢٤٨) ، وابن كثير رحمه الله في « التفسير » (٣ / ٢٥) و « البداية والنهاية » له .

قلت : وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب ، وظاهر الآية يقتضي أعم من ذلك ، وبتقدير تسليمه فلا يضر ، والله تعالى أعلم .

● نوح أول الرسل ﷺ (١) ●

● - ومن أولي العزم منهم - ●

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيب ﴾ [الشورى : ١٣] .

○ وفي « الصحيحين » (٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فرفعت إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة وقال : « أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون بمن يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ، إلى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه ، فيقولون يا آدم أنت أبو البشر ، خلقتك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟

(١) ولا خلاف بين ذلك وبين أن آدم عليه السلام أول الانبياء ، فهذا أول نبي ، وهذا أول رسول ، كما قد بينا من قبل ، وعليه ؛ فإن هناك فرقاً بين النبوة والرسالة كما ذكرنا في كتابنا الاصل .

(٢) خ (٣٣٤٠) وم (حديث ١٩٤) .

(٣) وهذا فيه إثبات صفة الغضب لله عزوجل ، ونحن ثبت ذلك من غير تمثيل أو تشبيه =

ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ^(٣) ، ونهاني عن الشجرة ، فعصيت ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً ، فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، نفسي نفسي ، اتوا النبي ﷺ ، فيأتوني . فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد : ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، وسل تعطه . . . الحديث ^(١) .

○ وعن أبي بن كعب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾ [الأحزاب : ٧] .

○ قال رسول الله ﷺ : « أولهم نوح ثم الأول فالأول » ^(٢) .

● قيام نوح عليه السلام

● بالندارة لقومه من شر فتنة الدجال

○ أخرج البخاري ^(٣) . من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ما حدث به نبي قومه : إنه

= أو تكيف أو تحريف ، فهو سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

(١) وله تنمة في روايات أخرى في « الصحيح » وستأتي كل فقرة خاصة بكل نبي في مواضعها إن شاء الله .

(٢) حديث حسن . أخرجه ابن أبي عاصم في (« السنة » ٤٠٧) وفي (« الأوائل » ١٥٤) .

(٣) في صحيحه (برقم : ٣٣٣٨) .

أعور ، وإنه يجيئ معه بمثال الجنة والنار ، فالتى يقول : إنها الجنة هي النار ، وإنى أنذرتكم كما أنذر به نوح قومه « (١) .

• رسولنا محمد ﷺ

• يُسَلِّي مَصَابَهُ نُوْحٌ ﷺ

○ عن عبد الله بن مسعود قال : كأنني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه ، فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » (٢) .

• شهادة النبي ﷺ وأمته

• لنوح عليه السلام بصدق البلاغ

○ عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيئ نوح وأمته ، فيقول الله تعالى : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، أي رب ، فيقول لأمته :

(١) مع أنه لا يتوقع خروجه في زمانهم - كما قال الحافظ ابن كثير فيما يأتي - وهذا إن دلّ فلنما يدل على أنه لم يدع شيئاً في مجال الدعوة إلا وقد أوصله لقومه .

قال أبو إسحاق الثعلبي في « العرائس » (٧٠) : « ولم يبالغ أحد من الرسل في الدعوة مثل ما بالغ - يعني نوحاً عليه السلام - وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً ، وإعلاناً وإسراراً ، ولم يلق نبي من أمته من الضرب والشتم وأنواع الأذى والجفاء ما لقي ، فلذلك قال الله تعالى : ﴿ وَقَوْمُ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الذاريات : ٤٦] » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٧٧ و ٦٩٦٩) ومسلم (١٧٩٢) .

قلت : ولم يرد تسمية هذا النبي في الحديث ، لكن الرأي القائل بأنه نوح عليه السلام رأى له وجهته ، ومن ثم رأينا ما رآه هذا القائل والله أعلم .

هل بلغكم ؟ فيقولون : لا ، ما جاءنا من نبي ، فيقول لنوح من يشهد لك ؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته ، فنشهد أنه قد بلغ ، وهو قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة : ١٣] ، والوسط : العدل « (١) » .

● وصية نوح عليه السلام

الجامعة لأحد أبنائه حين حضرته الوفاة ●

○ عن عبد الله بن عمرو قال : كنا عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجل من أهل البادية ، عليه جبة سيجان مزرورة بالديباج فقال : ألا إن صاحبكم هذا قد وضع كل فارس ابن فارس قال : يريد أن يضع كل فارس ابن فارس ، ويرفع كل راع ابن راع قال : فأخذ رسول الله ﷺ بمجامع جبته ، وقال : « ألا أرى عليك لباس من لا يعقل !؟ » ثم قال : « إن نبي الله نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة ، قال لابنه : إني قاص عليك وصية ، أملك بائنتين ، وأنهاك عن اثنتين :

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٣٩ ، ٤٤٨٧) وأحمد (٣ / ٩) والترمذي (٢٩٦١) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « فهذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق والمصدق ، بأن الله قد بعث نوحاً بالحق ، وأنزل عليه الحق ، وأمره به ، وأنه بلغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها ، ولم يدع شيئاً مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به ، ولا شيئاً مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه ، وحذرهم منه .

وهكذا شأن جميع الرسل ، حتى إنه حذر قومه المسيح الدجال ، وإن كان لا يتوقع خروجه في زمانهم ، حذراً عليهم ، وشفقة ورحمة بهم » .

○ آمرك بـ « لا إله إلا الله » . فإن السموات السبع والأرضين لو وضعت في كفة ، ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله . ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقه مبهمه ^(١) ، قصمتهن ^(٢) لا إله إلا الله ، وسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة كل شيء ، وبها يرزق الخلق ،

○ وأنهاك عن الشرك والكبر ، قال : قلت (أوقيل) : يا رسول الله . هذا الشرك قد عرفنا فما الكبر ؟ قال : أن يكون لأحدنا نعلان حستان لهما شراكان حسنان ؟ قال : لا قال : أن يكون لأحدنا حلة يلبسها ؟ قال : لا ، قال : الكبر هو : أن يكون لأحدنا دابة يركبها ؟ قال : لا ، قال : أفهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه ؟ قال : لا ، قيل : يا رسول الله ، فما الكبر ؟ قال : سفه الحق ^(٣) وغمط الناس ^(٤) . ^(٥)

(١) أي مغلقة .

(٢) وفي رواية : (فضمتهن) .

(٣) أي : جهله والاستخفاف به .

(٤) أي احتقارهم والظعن فيهم .

(٥) أخرجه أحمد في « المسند » (٢ / ١٦٩ و ١٧٠) ، (٢ / ٢٢٥) والحاكم في « المستدرک » (١ / ٤٨ و ٤٩) والبخاري في « الأدب المفرد » (حديث ٥٥٨ دار المعرفة) والبيهقي في « الأسماء والصفات » (رقم : ١٨٦) والطبراني في « الكبير » (رقم : ١ من الجزء ١٣ ت : حمدي السلفي وصححه) والبيزار كما في « الكشف » (٢٩٩٨ ، مختصراً) .

من طريق :

الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : فذكره .

قلت : وهذا إسناد صحيح ، رجال إسناده ثقات .

والصقعب بن زهير ، وثقه أبو زرعة وغيره ، كابن حبان وابن خلفون وزاد : « هذا =

= رجل مشهور ^(١) ووثقه الحافظ في «التقريب» أما أبو حاتم فقد قال كما في «الجرح والتعديل»: «شيخ ليس بمشهور».

تنبيه: جاء في سند هذا الحديث: (قال حماد بن زيد: «أظنه عن عطاء بن يسار»)
كما عند أحمد (٢ / ١٦٩) ولكن هذا الظن غير مؤثر هنا، فقد جاء ما يدفعه في
رواية «الأدب المفرد» (٥٥٨) حيث قال فيه: «لا أعلمه إلا عن عطاء».

● هذا؛

وقد خولف الصقعب من غيره فرووه مرسلًا ^(٢)، ولكن المرسل عندي أقوى، ولا يضر إرسال مرسل هنا، والله أعلم.

قلت: وقد صحح إسناده هذا الحديث غير واحد من الحفاظ كالحافظ ابن كثير - رحمه الله - في «تاريخه» (١ / ١١٢ الريان)، ومن علمائنا المعاصرين العلامة المحقق ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في غير ما مؤلف له، ومن ذلك: «الصححة» (حديث ١٣٤) و«صحيح الأدب المفرد» (٢٠٦)، والشيخ المحدث مقبل بن هادي الوادعي - حفظه الله - في «جامعه» (٣ / ٤٤٠ و ٤٤١).

○ وللحديث شاهد من حديث:

رجل من الأنصار مرفوعاً به: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦ / ٢٠٨).

قلت: وسنده صالح في الشواهد. ففي إسناده صالح بن سويد لم يوثقه سوى ابن حبان، وقال الحافظ: مقبول، وفيه حجاج وهو ابن أوطاه متكلم فيه.

○ تنبيه: وقد جاء الحديث من مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

عند البزار كما في «كشف الاستار» (٢٠٦٩) وابن زبير الربيعي في «وصايا العلماء عند حضور الموت» (ص: ٣٠) من طريق: محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عنه به.

قال الحافظ ابن كثير: «والظاهر أنه عبد الله بن عمرو بن العاص، كما رواه أحمد =

(١) نقلاً من التعليق على تهذيب الكمال، وقد عزوه إلى الإكمال لابن ماكولا.

(٢) راجع في ذلك «الزهد» لأحمد (ص: ٦٧) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠ / ٢٩٢) وابن جرير في «تفسيره» (٢٢٣٢٥) و«المعظمة» لأبي الشيخ (١٢٢٢).

= والطبراني ، والله أعلم .

قلت : ويؤيد استظهار الحافظ ابن كثير أنه جاء من نفس طريق البزار وابن زبر الربيعي عند الطبراني (كما في « البداية ») وفيه : « عن عبد الله بن عمرو » ، وكما في « أخبار أصبهان » (١ / ٣١٧) من وجه آخر عن محمد بن إسحاق أيضا .

ولكن - فيما يبدو - أن الحافظ ابن حجر ما اعتبر ذلك ، فقد قال كما في « زوائد البزار » (٢٠٨٨) : عقب طريق : محمد بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عبد الله بن عمر : « إسناده حسن » . ا.هـ .

وعلى كل فالحديث ثابت من الطريق الأولى ، وبالشاهد . فيصح الحديث بمجموع الطريقين ، ويزيده قوة هذا الأخير إن سلم في صحايه ، والله أعلم .

من فضائل

إدريس عليه السلام^(١)

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

(١) وبالنسبة للترتيب الزمني له عليه السلام ، فقد قال القرطبي رحمه الله في « التفسير »

(٢٢ / ٣) : « إدريس بعد نوح على الصحيح » . ونقل عن ابن العربي قوله : ومن

قال : « إدريس كان قبله من المؤرخين ، فقد وهم » . (التفسير ٧ / ١٤٨) .

● من فضائل إدريس عليه السلام ●

● ثناء الله عز وجل

● عليه ووصفه له بالنبوة والصدقية ●

○ قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦]

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٨٥)

وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦] .

● رفع الله له ذكره

● في العالمين ومنزلته بين المقربين ●

فقد كان إدريس عليه السلام على الذكر ، على المنزلة عليه السلام :

○ قال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥٧] .

● إقامته في إحدى السموات ●

○ أخرج البخاري في « صحيحه » ^(١) عن ابن شهاب قال : قال أنس

ابن مالك : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : (فذكر حديث

الإسراء وفيه) قال أنس : « فذكر أنه وجد في السموات : إدريس وموسى

وعيسى وإبراهيم ، ولم يثبت لى كيف منازلهم ، غير أنه قد ذكر أنه وجد آدم

في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السادسة ، وقال أنس : فلما مر جبريل بإدريس

قال : مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح ، فقلت : من هذا ؟ قال : « هذا إدريس » . . . الحديث بطوله . وأخرجه مسلم في « صحيحه » (١) .

○ وعن مالك بن صعصعة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ ، وذكر حديث الإسراء الطويل ، وفيه : « فأتينا السماء الرابعة ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قيل محمد ﷺ ، قيل : وقد أرسل إليه ، قال : نعم ، قيل : مرحباً ، لنعم المجئ جاء ، فأتيت إدريس فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بك من أخ ونبى » الحديث (٢) .

○ وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : فذكر الحديث وفيه : « ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل عليه السلام قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قال : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس ، فرحب ودعا لي بخير . . . الحديث » (٣) .

○ وأخرج الترمذي في « سننه » (٤) بإسناد صحيح عن قتادة في قوله : « وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا » [مريم : ٥٧] .

○ قال : حدثنا أنس بن مالك أن نبى الله قال : « لما عرج بي رأيت إدريس في السماء الرابعة » .

(١) (٢ / ٢٢٠ نووي) .

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم في « صحيحه » (١٦٢) وأحمد (٣ / ١٤٨) .

(٤) (برقم : ٣١٥٧) وأحمد (٣ / ٢٦٠) .

● وكان إدريس عليه السلام

نبيًا يخط (*) وقد قيل إنه أول من خط بالقلم ●

○ أخرج مسلم في « صحيحه » (١) من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال : « بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ وفي الحديث قوله :

○ قلت : يا رسول الله : إني حديث عهد بجاهلية . وقد جاء الله بالإسلام ، وإن منا رجالاً يأتون الكهان . قال : « فلا تأتهم » قال : ومنا رجال يتطيرون . قال : « ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدّئهم » قال ابن الصباح : فلا يصدّئكم - قال : قلت : ومنا رجال يخطّون :

○ قال : « كان نبي من الأنبياء يخط . فمن وافق خطه فذاك » .

ثم ذكر حديث الجارية ، وسؤال رسول الله ﷺ لها : « أين الله » وقولها : « في السماء » .

○ وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق عمله فهو عمله » (٢) .

(*) وقد ذكروا في الآثار أنه أول نبي خط بالقلم ، ولكن ليس ثم حديث مرفوع عن النبي ﷺ يساعدنا على القول بذلك .

(١) (برقم : ٥٣٧) و (٧٤٩) وأحمد (٥ / ٤٤٧ ، ٤٤٨) وأبو داود (٩٣٠) والنسائي (٣ / ١٤ و ١٦) .

(٢) حديث صحيح لغيره . أخرجه أحمد في « المسند » (٢ / ٣٩٤) وقال الحاكم كما في « مسألات السجزي » (رقم : ٨٦) : « هذا النبي هو إدريس عليه السلام » .

○ قال النووي - رحمه الله تعالى - (١) :

« اختلف العلماء في معناه ، فالصحيح أن معناه : من وافقه خطه فهو مباح له ، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح ، والمقصود : أنه حرام ، لأنه لا يباح إلا بيقين الموافقة ، وليس لنا يقين بها ، وإنما قال النبي ﷺ : « فمن وافق خطه فذاك » ولم يقل : هو حرام ، بغير تعليق على الموافقة ؛ لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يخط فحافظ النبي ﷺ على حرمة ذاك النبي ، مع بيان الحكم في حقنا . فالمعنى أن ذاك النبي لا منع في حقه ، وكذا لو علمتم موافقته ، ولكن لا علم لكم بها . وقال الخطابي : هذا الحديث يحتمل النهي عن هذا الخط إذ كان علماً لنبوة ذاك النبي ، وقد انقطعت فنهينا عن تعاطي ذلك .

وقال القاضي عياض : المختار أن معناه أن من وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول ، لا أنه أباح ذلك لفاعله ، قال : ويحتمل أن هذا نسخ في شرعنا فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن » انتهى .

(١) في « شرح صحيح مسلم » (٣ / ٢٩ دار الحديث) .

من فضائل

هـود عليه السلام

﴿وَالْيَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾

● من فضائل هود عليه السلام ●

○ سُمِّيتْ سُورَةُ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِاسْمِهِ . وَكُرِّرَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي عِدَّةٍ مَوَاطِنَ ، وَسُنَوْرِدُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْفَصْلِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ فَضَائِلَ . وَلَمْ يَثْبُتْ لَدَيْ شَيْءٍ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا فِي خَبَرِهِ عَلَى الْعَمُومِ ^(١) ، وَلَا فِي فَضْلِهِ عَلَى الْخُصُوصِ .

فلنورد شيئًا من الوارد في كتاب الله في بيان فضله ، والثناء عليه ، إن شاء الله تعالى .

○ فهو رسولٌ مرسلٌ من قبل الله عزوجل برسالة ، كما قال تعالى فيه وفي قومه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ^(٢) هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ^(١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ^(١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١٢٦) ﴾ [الشعراء : ١٢٤ - ١٢٦] .

○ وفي آية أخرى : ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(٦٧) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ^(٦٨) ﴾ [الأعراف : ٦٧ - ٦٨] .

○ دعوته إلى التوحيد ، قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ ^(٣) بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

(١) أما في شأن قومه ، وما حلَّ بهم من هلاك ، فقد ثبت شيء من ذلك في السنة الصحيحة ، وهذا يعدُّ من معجزات هذا النبي الكريم إذ هذا الذي حلَّ بهم إنما هو بركة دعائه عليه السلام عليهم .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٣٤) : « وسماه أخًا لهم لكونه من قبيلتهم لا من أخوة الدين هذا هو الراجح في نسبه » .

(٣) قال الحافظ : الأحقاف جمع حقف ، بكسر المهملة ، وهو المعوج من الرمل ، والمراد به هنا مساكن عاد .

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ [الاحقاف : ٢١٠] .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الاعراف : ٦٥] .

● اتصافه بمحاسن الأخلاق في مجال الدعوة ●

● أدبه وحسن خلقه في الحوار ●

○ كان قوم عاد جفاة كافرين ، عتاة متمردين ، فلما جاءهم نبي الله هود عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وترغيبهم في طاعته واستغفاره ، ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة ، قاموا عليه ، وتوعدوه ، وهددوه ، ومع ذلك كان نبي الله هود ﷺ غاية في الأدب والإغضاء ، وغاية في النصيح والشفقة عليهم ، والحرص على هدايتهم ، مع عدم طلب أجرٍ ولا ثواب منهم ، بل كان مخلصاً في دعوته ، ناصحاً بخلق ، لا يطلب أجراً إلا من الله سبحانه وتعالى ، وإليك مضمون ذلك في تلك الآيات المسوقة :

○ قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿ [الاعراف : ٦٥ - ٦٩] .

○ وقال تعالى : ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤﴾ مِّنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِیظٌ ﴿ [هود : ٥٠ - ٥٧] .

● عبارات فصيحة ●

○ ومن مستلزمات البلاغ أن يكون الأداء بعبارة فصيحة ، وجمل وجيزة جامعة مانعة ، لا يشوبها لبس ، ولا اضطراب . وهكذا كان الشأن في ذلكم النبي الكريم .

○ قال تعالى : ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨﴾ وَتَتَخْدُونَ

(١) أى : أبنون بكل مكان مرتفع بناءً عظيمًا هائلًا كالقصور ونحوها ، تعبثون بيناتها ، لأنه لا حاجة لكم فيه ، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يسكنون الخيام ، كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ١ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٢﴾ أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ ﴿ [الفجر : ٦ - ٨] فعاد إرم هم عاد الذين يسكنون الأعمدة التى تحمل الخيام . قاله ابن كثير رحمه الله .

مَصَانِعَ ^(١) لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ^(٢) (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ^(٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(٤) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ^(٥) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ^(٦) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ^(٧) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ [الشعراء : ١٢٣ - ١٣٥] .

○ وقال فيما قال لهم : ﴿ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ [الأعراف : ٦٩] .

● ثبات و يقين من هود عليه السلام ●

○ لقد أظهر هود عليه السلام قوة تحديه لقومه الذين توردوا عليه ، ورفضوا دعوته ، ونالوه بالسب والتقص والبهتان ، بلا دليل ولا حجة ولا برهان ، فوصفوه بالأوصاف الذميمة ، من جنون ، وسفه ، وضلال ، وكذب ؛ والرسالة تتنافى مع هذا كله .

فليس هود عليه السلام إلا رجل فاضل ، متخلق بكل خلق طيب ، ومتصف بكل صفة كريمة . فمن أجل ذلك ، تحداهم بإيمان قوى ، وتبرأ من آلهتهم بلا خوف ولا وجل ، بل أقبل على ذلك وهو متوكل على الله سبحانه ، وواثق بجنابه ، فقال لهم كما قد حكى الله عز وجل عنه : ﴿ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (٥٥) إِنِّي

(١) قيل : هي القصور ، وقيل : هي بروج الحمام ؛ وقيل : هي مأخذ الماء .

(٢) أى رجاء منكم أن تعمرُوا في هذه الدار أعماراً طويلة .

(٣) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وهذا تحد منه لهم ، وتبرأ من آلهتهم ، وتنقص منه لهم ، وبيان أنها لا تنفع شيئاً ، ولا تنصر ، وأنها جماد حكمها حكمه ، وفعلها فعله ، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر فما أنا برى منها ، لاعن =

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ [هود : ٥٤ - ٥٧] .

○ وقال فيما قال لهم كما قال تعالى حاكياً عنه : ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ
رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ [الاعراف : ٧١] .

= لها ، فكيدوني ثم لا تنظرون أنتم جميعاً بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه ، وتقعدوا
عليه ، ولا تؤخروني ساعة واحدة ، ولا طرفة عين ، فإنني لا أبالي بكم ، ولا أفكر
فيكم ، ولا أنظر إليكم . ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ
رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : ٥٦] . أى أنا متوكل على الله ، ومتأيد به ، وواثق
بجنابه الذى لا يضيع من لاذ به ، واستند إليه ، فليست أبالي مخلوقاً سواء ، ولست
أتوكل إلا عليه ، ولا أعبد إلا إياه . وهذا وحده برهان قاطع على أن هوداً عبد الله
ورسوله ، وأنهم على جهل ، وضلال في عبادتهم غير الله ، لأنهم لم يصلوا إليه
بسوء ، ولا نالوا منه مكروهاً . فدل على صدقه فيما جاءهم به ، وبطلان ما هم عليه ،
وفساد ما ذهبوا إليه .

وهذا دليل بعينه قد استدل به نوح عليه السلام قبله في قوله ﴿ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
مَقَامِي وَتَذْكُرُونَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ
اقضوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُوا ﴾ [يونس : ٧١] . وهكذا قال الخليل عليه السلام : ﴿ وَلَا أَخَافُ
مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٥٨) وكيف أخاف ما أشركتم
ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ﴿
[الأنعام : ٨٠ - ٨١] . انتهى المراد من « البداية والنهاية » .

● هلاك قوم عاد ، ونصرة الله لنبیه

● هود عليه السلام ومن آمن معه ●

● فالعاقبة للتقوى ●

○ قال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ آيَاتُ هُودَ جَاءَتْهُنَّ بِآيَاتٍ رَبِّهِنَّ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [هود : ٥٨ - ٦٠] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا ذَاوِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الاعراف : ٧٢] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء : ١٣٩ - ١٤٠] .

● نوع العذاب الذي

أصاب قوم هود عليه السلام ●

○ وفي هذا معجزة له أيده الله بها ، إذ كان هذا مطلبه ودعاؤه ، وطلب النصرة له من ربه عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون : ٣٩ - ٤١] .

وكان أيضاً هو طلبهم ومرامهم ^(١) دون عقل ولا تفكير ، كعادة أهل

(١) فثم آيات جاءت وفق طلب الاقوام ومن أرسل إليهم ، ثم أيضاً بعد أن سأل النبيون ذلك من ربهم عز وجل .

الكفر في كل زمان ومكان يطلبون العذاب والهلاك ، ولا يسألون الرحمة ولا الرأفة . فكان هذا شأن قوم عاد ، طلبوا من نبيهم أن يصدقونه به من هلاك وعذاب ^(١) ، حيث قال تعالى عنهم : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٤) تَذْمِرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِيهُمُ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿ [الاحقاف : ٢٢ - ٢٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ^(٢) (٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ ﴾ [الذاريات : ٤١ - ٤٢] .

(١) كما قال تعالى عن مشركي مكة : ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ إِنَّا بِعَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال : ٣٢] .

(٢) أي التي لا تنتج خيراً ، فإن الريح المفردة لا تثير سحاباً ، ولا تلقح شجراً ، بل هي عقيم لا نتيجة لها . قاله ابن كثير رحمه الله ، وقال الحافظ ابن كثير أيضاً : وأما قوله ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا ﴾ [الاحقاف : ٢٤] . فإن عاداً لما رأوا هذا العارض ، وهي الناشئ في الجو كالسحاب ظلّوه سحاباً معطراً ، فإذا هو سحاب عذاب ، واعتقدوه رحمة فإذا هو نقمة ، ورجوا فيه الخير فنالوا منه غاية الشر . قال الله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ﴾ أي من العذاب ، ثم فسره بقوله ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الاحقاف : ٢٤] . يحتمل أن ذلك العذاب هو ما أصابهم من الريح الصرصر العاتية الباردة الشديدة الهبوب ، التي استمرت عليهم سبع ليال بآيامهم الشمانية فلم تَبْقَ منهم أحداً ، بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال والغيان فتلفهم ، وتخرجهم ، وتهلكهم ، وتدمر عليهم البيوت المحكمة ، والقصور المشيدة ، فكما متوا بشدتهم ويقوتهم ، وقالوا : من أشد منا قوة ؟ سلط عليهم ما هو أشد منهم قوة ، وأقدر عليهم ، وهو الريح العقيم . ويحتمل أن هذه الريح أثارت في آخر الامر سحابة ، ظن من بقى منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم ، وغياث لمن بقى =

○ وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾ [النجم : ٥٠ - ٥٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَّحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَانْتَهُمُ أَعْجَازَ نَخْلٍ مَّنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ ﴾ [القمر : ١٨ - ٢١] .

○ قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا (١) فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَانْتَهُمُ أَعْجَازَ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦ - ٨] .

هذا وقد ورد في الآيات الأول أنهم أهلكوا بالصيحة ، وفي هذه الآيات ما يفيد أن هلاكهم كان بالريح الصرصر العاتية والعقيم ، وهذا يفيد أنه اجتمع عليهم أنواع من العقوبات ، فلا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية عليهم .

○ وقد أخبر النبي ﷺ بذلك .

○ كما في « الصحيحين » (٢) من حديث ابن عباس رضى الله عنه عن

= منهم ، فأرسلها الله عليهم شررا ونارا ، كما ذكره غير واحد . ويكون هذا كما أصاب الظلة من أهل مدين ، وجمع لهم بين الريح الباردة والمذاب النار ، وهو أشد ما يكون من العذاب بالأشياء المختلفة المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة ﴿ قد أفلح المؤمنون... ﴾ والله أعلم .

(١) أى متتابعة .

(٢) خ (٣٣٤٣) وفي مواضع أخرى و (م برقم ٩٠٠) (ص ٦١٧) وأحمد (١/ ٢٢٨) =

النبي ﷺ قال : « نصرت بالصِّبَا ، وأهلكت عادٌ بالدُّبُورِ » .

○ وفي الصحيحين ^(١) من حديث عائشة رضی الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة ^(٢) في السماء أقبل وأدبر ، ودخل وخرج وتغيَّر وجهه ، فإذا أمطرت السماء سرَّي عنه ^(٣) ، فعرفته عائشة ذلك » .

فقال النبي ﷺ : « وما أدري لعله كما قال قوم عاد : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا ﴾ ^(٤) » الآية [الأحقاف : ٢٤] .

هذا ؛ وقد عقد الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في « صحيحه » في كتاب - أحاديث الأنبياء - باباً يتحدث عن نبي الله هود عليه السلام ، أورد فيه آية هود : ٥٠ و الأحقاف : ٢١ و الحاقة : ٦ وما بعدها بآيتين ، ثم أورد رحمه الله في الباب ثلاثة أحاديث :

= قال الحافظ في « الفتح » (٦٠٥ / ٢) (شرح حديث رقم : ١٠٣٥ وهو حديثنا هذا) : « قوله (بالصبا) : بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة ، يقال لها : القبول ، بفتح القاف ، لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس وضدها الدبور وهي التي أهلكت بها قوم عاد ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول ، وكون الأدبار أهلكت أهل الإدبار ، وأن الدبور أشد من الصبا ، كما سنذكره في قصة عاد أنها لم يخرج منها إلا قدر يسير ، ومع ذلك استأصلهم ، وقال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٨] . ولما علم الله رافة نبيه ﷺ بقومه رجاء أن يسلموا سلط عليهم الصبا ، فكانت سبب رحيلهم عن المسلمين لما أصابهم بسببها من الشدة ، ومع ذلك فلم تهلك منهم أحداً ولم تستأصلهم . الخ كلام الحافظ » .

(١) خ (٣٢٠٦) و (م ٨٩٩ / ١٥) (ص ٦١٦) .

(٢) أى سحابة فيها رعد ويرق يخيل إليه أنها ماطرة . (محمد فؤاد) .

(٣) أى انكشف عنه ، وزال ما به من هم .

(٤) أى سحاب عرض في أفق السماء يأتينا بالمطر . (محمد فؤاد) .

○ أحدها : حديث ابن عباس وفيه : « وأهلك عاد بالدبور » .

○ ثانيها : حديث أبي سعيد في ذكر الخوارج وفيه : « لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » . أى قتلاً فلا يبقى منهم أحداً ، قال في ذلك الحافظ في « فتحه » إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٨] .

○ وثالثها : حديث عبد الله بن مسعود قال : سمعت النبي ﷺ يقرأ : « فهل من مدكر » .

○ وعقد الشيخ المحدث مقبل بن هادى الوادعي حفظه الله تعالى وشفاه باباً في كتابه « الصحيح المسند من دلائل النبوة » (ص ٣٢١) بعنوان : (باب ذكر هود عليه السلام وقومه عاد) أورد تحته آيات من سورتي هود والاحقاف ، ومن الأحاديث خمسة أحاديث .

○ أما الأول فقد قدمنا ذكره ، وهو « نصرت بالصبا . . . » .

○ وأما الثاني ، فهو حديث في قصة طويلة . أخرجها أحمد (٤٨١/٣) وفي آخرها : « فمرت به سحابة سوداء فنودى منها : خذها رماداً رمداً ، لا تبقى من عاد أحداً » .

○ وأما الثالث والرابع والخامس ، فهما بمعنى ، وهو حديث عائشة ، وقد قدمناه في بابنا هذا ، والله تعالى أعلى وأعلم .

● ضعف حديث « يُرَحِّمُنَا اللَّهُ وَأَخَا عَادَ »

وفي لفظ « رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى هُودٍ » ●

○ أخرج ابن ماجة في « سننه » ^(١) من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « يرحمنا الله وأخا عاد » ^(٢) .

○ وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد المسند » ^(٣) من حديث ابن عباس عن أبي بن كعب : « أن النبي ﷺ كان إذا ذكر الأنبياء بدأ بنفسه ، فقال : رحمة الله علينا وعلى هود وعلى صالح .

زاد في رواية ابن قانع : « وعلى موسى » ثم قال : وذكر غيرهم .

قلت : وفي هذا الحديث علتان :

○ الأولى : تدليس أبي إسحاق وقد عنعن عن سعيد بن جبير . وقد قال البخاري : « لا أعرف لأبي إسحاق سماعاً من سعيد بن جبير » ، راجع (« حاصل التحصيل » : ٢٤٥ - ٢٤٦) .

○ الثانية : قول يحيى بن معين في أبي إسحاق :

« سمع منه ابن عيينة بعدما تغير » ا.هـ . وقد روى عن سفيان بن

(١) (برقم : ٣٨٥٢) وفي سنده أبو إسحاق وهو السبيعي ، مدلس وقد عنعن . ولكنه قال في الزوائد (٣ / ٢٠٤) : « هذا إسناد صحيح ، وله شاهد في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي كعب » .

قلت : وقد بحث فلم أجده ، ولعله يقصد الآتي عند عبد الله بن أحمد .

(٢) المراد بأخى عاد هو هود عليه وعلى نبيينا الصلاة والسلام .

(٣) (٥ / ١٢٢) من طريق أبي إسحاق أيضاً ، والحديث أخرجه أيضاً ابن قانع في « معجم الصحابة » (١ / ٣) (رقم : ١) .

عينة^(١) هذا الحديث . راجع : « التهذيب » . ترجمة السبيعي .

قلت : وعليه ؛ فقول البوصيري في « الزوائد » : « هذا إسناد صحيح »^(٢) ليس بصحيح ، والعلم عند الله .

وتابعه على هذا الخطأ ؛ الشيخ شعيب الأرناؤوط وغيره من محققي «المسند» للإمام أحمد (حديث ٢١١٣٠) فقد قالوا فيه : « حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن ... » فلا يسلم لهم الانقطاع ، إن سلم المتابع لسفيان .

○ قلت : وسائر الوارد في ذلك سواء كان على العموم في خبر هود عليه السلام ، أو في فضله على الخصوص ، فليس بثابت لدي شيء منه ، والعلم عند الله .

○ أما ما قام بتحسينه الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في « البداية والنهاية »^(٣) لحديث ابن عباس ولفظه أنه قال : « لما مر النبي ﷺ بوادي عسفان حين حج ، قال : « يا أبا بكر .. أي واد هذا ؟ » قال : وادي عسفان . قال : « لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكران خطمها الليف ، أزره العباء ، وأرديتهم يلبون ، يحجون البيت العتيق » .

أقول : إنه قد استغربه في موضع آخر في ذكر حج نوح عليه السلام من

(١) وقد تويع من قيس وهو ابن الربيع الأسدي ، لكن الأئمة ، تكلموا في حفظه ، ومن ثم قال الحافظ : « صدوق تغير لما كبر ، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به » .

(٢) وفي « شرح السندي » (٢ / ٤٣٥) : « إسناده صحيح رجاله ثقات » .

(٣) وراجع الجزء المستقل المسمى بـ : « قصص الأنبياء » له (ص ١٥١) ط . دار بغداد ، بتحقيق الأخ السيد العربي - حفظه الله - .

نفس الكتاب ، وراجع « القصص » الجزء المستقل (رقم : ١٠٩ ط . دار بغداد) .

فليس إلا كما قلنا من ذكر أحوال^(١) الأخبار الواردة عن هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع أنبيائه .

(١) أقصد بذلك الصحة أو الضعف .

من فضائل

صالح عليه السلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾

● من فضائل صالح (*) عليه السلام ●

● نبي مرسل إلى قوم ثمود (**)

○ قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [الأعراف : ٧٣] [هود : ٦١] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [النمل : ٤٥] .

○ وقال صالح ﷺ لقومه : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء : ١٤٣] .

● من أصول دعوته الدعوة إلى التوحيد (***)

○ قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

○ وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ

فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل : ٤٥] .

● تَلَطَّفَ وَلِينَ جَانِبَ فِي مَجَالِ الدَّعْوَةِ ●

○ وهذا تَلَطَّفَ مِنْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ ، وَحَسَنَ تَأْتٍ فِي الدَّعْوَةِ

لَهُمْ إِلَى الْخَيْرِ ، بَعْدَ مَا عَدَلُوا عَنْ طَاعَتِهِ قَائِلِينَ : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا

(*) وهو في الترتيب بعد هود عليه السلام ، لقول صالح عليه السلام لقومه : ﴿ وَادْكُرُوا إِذْ

جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴾ [الأعراف : ٧٤] .

(**) وثمود قبيلة عربية مشهورة ، سميت باسم جدّها ثمود ، وكانوا يسكنون الحجر الذي

بين الحجاز وتبوك (الشام) . قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله بتصرف .

(***) وهي دعوة كل المرسلين من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ .

مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا (١) أَتْنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ [هود : ٦٢] .

○ حينئذ صدر هذا التلطف في العبارة منه لهم بقوله : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي مِّنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يُنصِرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود : ٦٣] .

○ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٢) : « أي : فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم ، وأدعوكم إليه ؟ ماذا عذرکم عند الله ؟ وماذا يخلصكم من بين يديه ، وأنتم تطلبون مني أن أترك دعائكم إلى طاعته ؟ وأنا لا يمكنني هذا لأنه واجب علي ، ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجبرني منه ولا ينصروني . فإنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له ، حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

● معجزة صالح عليه السلام (٣)

(الناقة)

○ قال صالح عليه السلام لقومه المتمردين : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ (٤) فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ [الأعراف : ٧٣] .

(١) أي : قد تركنا يرجوا أن يكون عقلك كاملاً قبل هذه المقالة ، وهي دعاؤك إيانا إلى أفراد العبادة ، وترك ما كنا نعبد من الأنداد ، والعدول عن دين الآباء والأجداد . قاله ابن كثير .

(٢) « البداية والنهاية » .

(٣) وكما سبق : الآية أحياناً تأتي بسبب بطلب الأقوام من أنبيائهم ، فهؤلاء سألوا صالحاً عليه السلام أن يأتيهم بآية تدل على صدق ما جاء بهم به ، فقالوا : ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء : ١٥٤] .

(٤) إضافتها إلى الله سبحانه وتعالى إضافة تشريف وتعظيم ، كقوله : (بيت الله ، عبد الله) .

○ وقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود : ٦٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء : ٥٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٥٥ - ١٥٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر : ٢٧ - ٣٢] .

● نجاة صالح عليه السلام

ومن آمن معه والسبب في هلاك قومه ●

○ لما كذب قوم ثمود نبيهم صالحاً عليه السلام ، بعد ما قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه ، وهم يعلمون ذلك علماً جازماً ، ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴾ ، (الأعراف : ٧٧) وانطلق أشقى القوم ، كما ذكر الله في كتابه بقوله : ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةُ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ [الشمس : ١٢ - ١٣] .

○ وكما قال تعالى : ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي

ونُذِرُ ﴿ [القمر : ٢٩ - ٣٠] .

○ وأخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث عبد الله بن زمعة قال : سمعت رسول الله ﷺ وذكر الذي عقر الناقة قال : « انتدب لها رجل ذو عز ومنعة في قومه كأبي زمعة » .

○ وفي رواية مسلم : « أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة ، والذي عقر الناقة ، فقال رسول الله ﷺ (إذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عزيز عارم ^(٢) منيع ^(٣) في رهطه مثل أبي زمعة » .

○ فكان هذا هو حال القوم : مرة بالكذب ، ومرة بمخالفة أمره في عقر الناقة . فكان كما قال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٧] .

○ قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : فجمعوا في كلامهم هذا بين كفر بليغ من وجوه : منها : أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية .

ومنها : أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين :

○ أحدهما : الشرط عليهم قوله : ﴿ وَلَا تَمْسُوْهَا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ

قَرِيبٌ ﴾ [هود : ٦٤] ، وفي آية ﴿ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٥٦] وفي الأخرى

(١) في (رقم : ٣٣٧٧) و (م حديث ٢٨٥٥) .

(٢) عزيز : أى رئيس .

(٣) عارم : أى شهيم .

(٤) منيع أى : مطاع في قومه .

﴿ أَلِيمٌ ﴾ [الاعراف : ٧٣] والكل حق .

○ والثاني : استعجلهم على ذلك .

○ ومنها : أنهم كذبوا الرسول الذي قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه ، وهم يعلمون ذلك علماً جازماً ، ولكنهم حملهم الكف والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم ، قال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ [هود : ٦٥] المراد أى لما غير يومهم ذلك ، لم يصدقوه أيضاً في هذا الوعد الأكيد ، بل لما أمسوا هموا بقتله ، وأرادوا - فيما يزعمون - أن يلحقوه بالناقة : ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾ [النمل : ٤٩] . أى لنجلسنه في داره مع أهله فلنقتله ، ثم نحمد قتله ، ولنتكرن ذلك إن طالبنا أولياؤه بدمه ، ولهذا قالوا : ﴿ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [النمل : ٤٩] .

○ قال تعالى : ﴿ وَمَكْرُوهًا مَكْرًا وَمَكْرَتَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٠ ﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ٥١ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥٢ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [النمل : ٥٠ - ٥٣] .

فنجى الله عبده ونبيه صالحاً عليه السلام ومن آمن به ، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ٦٦ ﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ٦٧ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا^(١) فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود : ٦٦ - ٦٨] .

○ وقد أخبر الله عن صالح عليه السلام ، أنه خاطب قومه بعد

(١) أى لم يقيموا فيها سعة وغناء .

هلاكمهم ، نظر إلى جثثهم الهامدة ^(١) ، وقد أخذ في الذهاب إلى مكان
ومسكن غير مسكنهم ، فقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الاعراف : ٧٩] .

○ وقد أخرج البخاري ومسلم ^(٢) من حديث ابن عمر رضى الله عنه :
أن النبي ﷺ لما مر على الحجر قال : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا
أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم ، ثم تقنع بردائه ، وهو على الرحال » .
○ وفي لفظ : « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا
باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم » ^(٣) .

(١) وهكذا خاطب النبي ﷺ أهل قليب بدر بعد ثلاث ليال : وقف عليهم ، وقد ركب
راحلته ، وأمر بالرحيل من آخر الليل . . فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يا
فلان ابن فلان ، ويا فلان ابن فلان يسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإننا قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فقال عمر : يا رسول الله ، ما
تكلم من أجساد لا أرواح لها ، فقال لهم رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده ما أنتم
بأسمع لما أقول منهم » . أخرجه البخاري (٣٩٧٩) ومسلم (٢٨٧٣) و (٢٨٧٤)
قلت : وقد أفاد ذلك الحافظ ابن كثير في كتابه « البداية » .

(٢) خ (٣٣٨٠) و (م ٢٢٨٦) (رقم : ٢٩٨٠) .

(٣) خ (٣٣٨١) .

من فضائل

الخليل إبراهيم عليه السلام ^(١)

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
(١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)
وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(١) وهو ابن آزر ، دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾ [الانعام : ٧٤] .
وفي « صحيح البخارى » (٣٣٥٠) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة » الحديث . قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في « البداية » بعد ذكره آية الانعام : « وهذا يدل على أن اسم أبي إبراهيم آزر » ، ونقل ابن كثير رحمه الله في « التفسير » له عن ابن جرير الطبري قولاً أقرب إلى الصحة وأشبه بالصواب ، قال فيه : « والصواب أن اسم أبيه آزر ، ولعل له اسمان علمان ، أو أحدهما لقب والآخر علم » . قال ابن كثير : « وهذا الذي قاله جيد قوى والله أعلم » .

قلت : وتوضيح هذا فيما نقله القرطبي في « التفسير » عن ابن إسحاق والضحاك =

.....

= والكليبي قالوا : « إن آزر أبو إبراهيم عليه السلام ، وهو تارح مثل : إسرائيل ويعقوب » ، وهو ما أيده الحافظ في (الفتح ٦ / ٤٤٨) حيث قال : « وإبراهيم هو ابن آزر ، واسمه تارح ، بالخاء المهملة » . وقال في (تلخيص قصص الانبياء ص ١٩٩) : « ولما هاجر أباه واسمه آزر كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً ﴾ [الأنعام : ٧٤] وهذا هو الصواب . وفي التوراة أن اسمه تارخ بالخاء المعجمة ، فقيل : إنه لقب صنم كان يعبد ، اسمه آزر ، والأولى أن آزر وتارخ كل منهما اسم له » .

● كلمة لابن القيم ●

○ قال رحمه الله تعالى ^(١) : « وَمَنَاقِبُ هَذَا الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ ، وَالنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ ، أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهَا كِتَابٌ ، وَإِنْ مَدَّ اللَّهُ ، فِي الْعُمُرِ ، أَفْرَدْنَا كِتَابًا فِي ذَلِكَ ، يَكُونُ قَطْرَةً فِي بَحْرِ فَضَائِلِهِ ، أَوْ أَقْلًا ، جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْ أَثَمِ بِهِ ، وَلَا جَعَلْنَا مِنْ عَدَلٍ عَنْ مِلَّتِهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ أ » .

○ وقال أبو إسحاق الثعلبي ^(٢) : « وَقَدْ اجْتَمَعَ فِيهِ ^(٣) مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ ، وَأَنْوَاعِ الْفَضْلِ ، مَا يُجْمَعُ فِي أُمَّةٍ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

(١) « جلاء الأفهام » (ص ٤٠٠) .

(٢) « عرائس المجالس » (ص ١١٣ ط الإيمان) .

(٣) يعني الخليل عليه السلام .

● جملة من الآيات الواردة في فضل

الخليل إبراهيم عليه السلام ●

● من أولى العزم من الرسل ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الاحزاب : ٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ - ٤٧] .

○ وقد آتاه الله عز وجل رشده في صغره كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥١] .

○ تأييده بالحجج والبراهين ، كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ﴾ [الانعام : ٨٣] .

○ وفاؤه ﷺ كما قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [النجم : ٣٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ

لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

○ وصف الله له بالصدقية والنبوة ، كما قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤١] .

○ وأثنى الله عزوجل عليه بقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠ - ١٢٢] .

○ وأعلى الله منزلته في الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿ [الصافات: ١٠٨ و ١٠٩] .

○ وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه ، فقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

○ وجعل الله سبحانه النبوة في ذريته ، فقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٥٤] .

○ وقال الله تعالى في شأنه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [الانعام : ٧٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾

[المتحنة: ٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَتَجْنِيَاهُ وَثَوَاطِيَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) ﴾

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿ [الأنبياء : ٧١ ، ٧٢] .

● الأمر بالاعتداء به ﷺ واتباع ملته ●

○ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

○ وأمر الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

○ وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي

الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ

شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا

لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ

وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [المتحنة: ٤]

● الأمر بالتمسك

● بمشاعر إبراهيم عليه السلام

○ أخرج أحمد ^(١) وغيره بإسناد حسن عن يزيد بن شيبان قال : أتانا ابن مربع الأنصاري ، ونحن في مكان من الموقف بعيد فقال : إني رسولُ رسول الله إليكم يقول : « كونوا على مشاعركم » ^(٢) هذه ، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم عليه السلام » ^(٣) .

وقد بوب له ابن خزيمة في « صحيحه » بباب : « ذكر البيان أن الوقوف بعرفة من سنة إبراهيم خليل الرحمن ، وأنه إرث عنه ، ورثها أمة محمد النبي ﷺ » .

(١) في « المسند » (٤ / ١٣٧) والترمذي (٨٨٣) وأبو داود (١٩١٩) والنسائي (٥ / ٢٥٥) وابن ماجه (٣٠١١) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٨ / ٤٤٥ و ٤٤٦) وابن خزيمة (٤ / ٢٥٥) وغيرهم من طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن عبد الله بن صفوان عن يزيد بن شيبان به . قلت : وعمرو بن عبد الله بن صفوان صدوق كما قال الحافظ ، ويزيد بن شيبان هو الأزدي ، وهو صحابي ، وكذا ابن مربع صحابي كذلك .

(٢) جمع مشعر ، يريد بها مواضع النسك ، سميت بذلك لأنها معالم العبادات .

(٣) أى : على الأصل الذى شرعه الله لاييكم إبراهيم عليه السلام . قال المباركفوري في « تحفة الأحوذى » (٣ / ٦٢٣ و ٦٢٤) : علَّل ذلك بأن موقفهم موقف إبراهيم ، ورثوه منه ، ولم يخطئوا في الوقوف فيه عن سته ، فإن عرفة كلها موقف ، والواقف بأى جزء منها آتٍ بسته ، متبع لطريقته ، وإن بعدُ موقفه عن موقف النبي ﷺ .

○ قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ^(١) (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ^(٢) (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغْلَامٍ عَليمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صُرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿ [الداريات : ٢٤ - ٣٠] .

(١) وفي آية أخرى ﴿ وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحجر : ٥١] .

(٢) وفي الآية الأخرى : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود : ٦٩] .

● أول من ضيَّف الضيفان ●

○ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « كان أول من ضيَّف الضيف إبراهيم عليه السلام » ^(١) .

(١) حديث حسن . أخرجه ابن أبي الدنيا في « قرى الضيف » (حديث ٥) والطبراني في « الأوائل » (رقم ١٠) وابن أبي عاصم في « الأوائل » (١٨) والبيهقي في « الشعب » (٧ / ٩٧) (٩٦١٥) وابن عساكر في « تاريخه » (٦ / ٢٠١) وابن طولون في رسالته : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ (رقم ٢ بتحقيقي) من طريقين : أبي أسامة وسلمة بن رجاء عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ به فذكره .

قلت : إسناده حسن ، من أجل محمد بن عمرو وهو ابن علقمة حسن الحديث . قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في « جلاء الأفهام » (ص ٣٩٤ وما بعدها) : « وتأمل ثناء الله سبحانه عليه في إكرامه ضيفه من الملائكة ، حيث يقول سبحانه : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَوَاحٍ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَحَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٤ - ٢٧] ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة :

أحدهما : أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون ، وهذا على أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم . والثاني : أنهم المكرمون عند الله ، ولا تنافي بين القولين ، فالآية تدل على المعنيين .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ فلم يذكر استئذانهم ففي هذا دليل على أنه ﷺ كان قد عُرف بإكرام الضيفان ، واعتياد قراهم ، بقى منزله مضيئة ، مطروقا لمن ورده لا يحتاج إلى الاستئذان ، بل استئذان الداخل دخوله ، وهذا غاية ما يكون من الكرم . الثالث : قوله : « سلامٌ بالرفع ، وهم : « سَلَّمُوا عليه » بالنصب . والسلام بالرفع أكمل ، فإنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت وعدم التجدد ، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد ، فإبراهيم حيَّاهم بتحية أحسن من تحيتهم ، فإن قولهم « سلام » يدل على : « سَلَّمْنَا سلامًا » ، وقوله : « سلامٌ » أي : سلامٌ عليكم .

= الرابع : أنه حذف المبتدأ من قوله : « قوم منكرون » فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ يُنْفَر الضيف ، لو قال : « أنتم قوم منكرون » فحذف المبتدأ هنا من اللفظ الكلام .

الخامس : أنه بنى الفعل للمفعول ، وحذف فاعله ، فقال : « منكرون » ولم يقل : « إني أنكركم » وهو أحسن في هذا المقام ، وأبعد من التفسير والمواجهة بالخشونة .

السادس : أنه راغ إلى أهله يحييهم بزلهم ، والروغان : هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف ، وهذا من كرم رب المنزل المضيف أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف ، فيشق عليه ويستحي ، فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام ، بخلاف من يُسْمَعُ ضيفه ويقول له ، أو لمن حضر : مكانكم حتى آتيكم بالطعام ، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه .

السابع : أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة فدل على أن ذلك كان مُعَدًّا عندهم مهياً للضيفان ، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه أو غيرهم فيشتره أو يستقرضه .
الثامن : قوله : « فُجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ » [الذاريات : ٢٦] دل على خدمته للضيف بنفسه ، ولم يقل : فأمر لهم ، بل هو الذي ذهب ، وجاء به بنفسه ، ولم يبعثه مع خادمه ، وهذا أبلغ في إكرام الضيف .

التاسع : أنه جاء بعجل كامل ، ولم يأت ببعض منه ، وهذا من تمام كرمه ﷺ .
العاشر : أنه سمين لا هزيل ، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم ، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية ، فأثر به ضيفانه .

الحادي عشر : أنه قربه إليهم بنفسه ولم يأمر خادمه بذلك .

الثاني عشر : أنه قربه إليهم ، ولم يقربهم إليه ، وهذا أبلغ في الكرامة أن تجلس الضيف ، ثم تقرب الطعام إليه ، وتحمله إلى حضرته ، ولا تضع الطعام في ناحية ، ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه .

الثالث عشر : أنه قال : « أَلَا تَأْكُلُونَ » [الذاريات : ٢٧] وهذا عرض ، وتلطف في القول ، وهو أحسن من قوله : كلوا ، أو : مدوا أيديكم ، ونحوها ، وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حسنه ولطفه ، ولهذا يقولون : بسم الله ، أو : ألا تصدق ! أو : ألا نجبر ! ونحو ذلك .

● كرمه ﷺ ●

○ وسيأتي حديث : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم » وسنورده في فضائل إسحاق عليه السلام.

● إبراهيم عليه السلام معلّم الناس الخير ●

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] .

○ وعن عبد الله بن مسعود أنه قال : « إن معادًا كان أمة قانتًا لله ، قال : فقال رجل من أشجع يقال له فروة بن نوفل : نسي ، إنما ذاك إبراهيم ، قال : فقال عبد الله : من نسي ؟ إنما كنا نشبهه بإبراهيم . قال : وسئل عبد الله عن الأمة ، فقال : معلّم الخير ^(١) ، والقانت : المطيع لله ورسوله ^(٢) .

= الرابع عشر : أنه إنما عرض عليهم الأكل ؛ لأنه رآهم لا يأكلون ، ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل ، بل كان إذا قدّم إليهم الطعام ؛ أكلوا ، وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل ؛ قال لهم : ألا تأكلون ! ولهذا ؛ أوجس منهم خيفة ، أي أحسها ، وأضمرها في نفسه ولم يبدها لهم ، وهو الوجه .

الخامس عشر : فإنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه ؛ خاف منهم ، ولم يظهر لهم ، فلما علمت الملائكة منه ذلك ؛ قالوا : لا تخف ! وبشروه بالغلام .

فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب ، وما عداها من التكاليف التي هي تخلف وتكلف ، إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم ، وكفى بهذه الآداب شرفاً وفخراً ، فصلّى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما ، وعلى سائر النبيين .

(١) وفي رواية : « الأمة الذي يعلم الناس الخير » .

(٢) أثر صحيح . أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢١٩٧٣ و .) والحاكم في « المستدرک » (٣ / ٢٧٢) وابن سعد في « الطبقات » (٢ / ٢٦٥ و ٢٦٦) وأبو =

○ يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى ^(١) - : « إن الله سبحانه أثنى على إبراهيم خليله بقوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتِبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » . . . [النحل : ١٢٠ ، ١٢١] .

○ فهذه أربعة أنواع من تكتب كلها من الشناء ، افتتحها بأنه أمة ، والأمة هو القدوة الذي يؤتم به .

○ قال ابن مسعود : « والأمة المعلم للخير » ، وهي فعلة من الائتمام ، كقدوة ، وهو الذي يقتدى به .

والفرق بين الأمة والإمام من وجهين :

أحدهما : أن الإمامة كلُّ ما يؤتم به سواء كان بقصده وشعوره أو لا ، ومنه سمي الطريق إماماً ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴿ [الحجر : ٧٨ - ٧٩] ، أي : بطريق واضح لا يخفي على السالك .

ولا يسمى الطريق أمة .

الثاني : أن الأمة فيه زيادة معنى ، وهو الذي جمع صفات الكمال من العلم والعمل بحيث بقى فيها فرداً وحده ، فهو الجامع لخصالٍ تفرقت في غيره ، فكانه باين غيره باجتماعها فيه ، وتفرقها أو عدمها في غيره .

ولفظ الأمة يشعر بهذا المعنى ، لما فيه من الميم المضعفة الدالة على الضم

= نعيم في « الحلية » (١ / ٢٣٠) وعبد الرزاق في « تفسيره » (١٥١٤) وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

(١) في « مفتاح دار السعادة » (١ / ٥٢٣ ، ٥٢٤) .

بمخرجها وتكريرها ، وكذلك ضمُّ أوله ، فإن الضمة من الواو ، ومخرجها ينضم عند النطق بها ، وأتى بالتاء الدالة على الوحدة كالفرقة واللقمة ، ومنه الحديث : « إن زيد بن عمرو بن نفيل يبعث يوم القيامة أمة وحده » ^(١) .

فالضم والاجتماع لازم لمعنى الأمة ، ومنه سميت الأمة التي هي آحاد الأمم ، لأنهم الناس المجتمعون على دين واحد ، أو في عصرٍ واحد .

(١) وهو قطعة في قصة طويلة وهو صحيح ، وقد قمت بتخريجه بتوسع في رسالة : « إن إبراهيم كان أمة » لابن طولون الصالحى - رحمه الله تعالى - .

● إبراهيم عليه السلام

● خليل الرحمن عز وجل

○ قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٥] .

○ وفي صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله قال : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ، ولو كنت متخذًا من أممي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك » (١) .

○ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتني النبي ﷺ يومًا بلحم ، فقال : « إن الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس منهم - فذكر حديث الشفاعة - فيأتون إبراهيم ، فيقولون : أنت نبي الله و خليله من الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، فيقول : فذكر كذباته : نفسي نفسي ، اذهبوا إلى موسى » (٢) .

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) والنسائي في « الكبرى » (٥ / ٣٢٨) .

● قال ابن القيم - رحمه الله - في « جلاء الأفهام » (٢١١ ، ٢١٢) :

« والخلة هي كمال المحبة ، وهي مرتبة لا تقبل المشاركة والمزاحمة ، وكما قد سأل ربه أن يهب له ولدًا صالحًا ، فوهب له إسماعيل ، فاتخذ هذا الولدُ شعبة قلبه ، فغار الخليل على قلب خليله ، أن يكون فيه مكان لغيره ، فامتحنه بذبحه ليظهر سر الخلة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده ، فلما استسلم لأمر ربه ، وعزم على فعله ، وظهر سلطان الخلة في الإقدام على ذبح الولد إثارةً لمحبة خليله على محبته ، فنسخ الله ذلك عنه ، وفداه بالذبح العظيم » .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٦١) (ويرقم ٣٣٤٠) والحاكم (٥٩٩/٢) =

- وعن ابن عباس قال : « أتعجبون أن تكون الخلقة لإبراهيم عليه السلام ، والكلام لموسى عليه السلام ، والرؤية لمحمد ﷺ » (١) .
- وفي رواية : « إن الله اصطفى إبراهيم بالخلقة ... » .

● نفي الشرك

● عن الخليل إبراهيم عليه السلام (*)

- قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] .
- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] .

والآيات التي أثبتت هذا المعنى كثيرة في الكتاب العزيز .

- وأخرج البخاري في « صحيحه » (٢) . من حديث ابن عباس رضي عنهما أن النبي ﷺ : « لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها »

- = (٤٠١٧) زاد الحاكم في روايته : « فيقولون يا إبراهيم أنت خليل الرحمن قد سمع بخلقتك أهل السموات وأهل الأرض » وصححه على شرط الشيخين .
- (١) أثر صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٤٤٢) و (٤٣٦) ، وابن خزيمة في « التوحيد » (١٩٩) ، وعبد الله بن أحمد في « السنة » (٥٧٧) ، وابن مندة في « الإيمان » (٧٦٢) (٧٦١ / ٢١) ، والحاكم في « المستدرک » (١ / ٦٥) (٢ / ٤٦٩) وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .
- (*) فقد كان حنيفاً على دين الإسلام ، لم يكن مشركاً ، كما ادعت طوائف من اليهود والنصارى فزعمت كل فرقة أنه كان على ملتهم ، فرد الله زعمهم بتلك الآيات .
- (٢) (رقم : ٣٣٥٢ ، ٤٢٨٨) وأحمد (١ / ٣٣٤ ، ٣٦٥) وأبو داود (٢٠٢٧) .

فمحيث . ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزام^(١) ، فقال :
قاتلهم الله ، والله إن^(٢) : استقسما بالأزام قط .

○ وفي لفظ : « دخل النبي ﷺ البيت فوجد فيه صورة إبراهيم ، وصورة
مريم ، فقال ﷺ : أما هم ، فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة ، هذا
إبراهيم مصور ، فما له يستقسم »^(٣) .

● وهذا ما يُردُّه

أهل الإسلام في أذكار الصباح ●

○ عن عبد الرحمن بن أبيز قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أصبح
قال : أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ﷺ ،
وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين »^(٤) .

(١) الأزام : قال الحافظ : هي السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر .

(٢) وفي رواية « والله ما استقسما ... » .

(٣) عند البخاري (٣٣٥١) وأحمد (٢٧٧ / ١) والنسائي في « الكبرى » (٥٠٠ / ٥)
(٩٧٧٢) .

(٤) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٤٠٧ / ٣) ، والنسائي في « الكبرى » (٦ / ٣)
وهذا لفظه (٩٣ / ٦) ، والدارمي (٢٦٨٨) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٩ /
٧٧) والطبراني في « الدعاء » (٢٩٤) وغيرهم من حديث سفيان عن سلمة بن كهيل
عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبيز عن أبيه به .

قال الحافظ ابن حجر في « نتائج الأفكار » (٣٨٠ / ٢) :

« هذا حديث حسن » .

● تعويد النبي ﷺ الحسن

والحسين بتعويد إبراهيم لإسماعيل .

● وإسحاق عليهم جميعاً الصلاة والسلام

○ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ، ويقول : إن أباكما (*) كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق : « أعوذ بكلمات الله (**) التامة (***) من كل

(*) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٧٢) : قوله : « إن أباكما » يريد إبراهيم عليه السلام ، وسماه أباً لكونه جدّاً عليّ .

(**) قال الحافظ : قيل المراد بها كلامه على الإطلاق ، وقيل أفضيته ، وقيل ما وعد به ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] ، والمراد بها قوله تعالى : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص : ٥] .

(***) التامة : الكاملة ، وقيل : النافعة ، وقيل : الشافية ، وقيل المباركة ، وقيل القاضية التي تمضي وتستمر ولا يردّها شيء ، ولا يدخلها نقص ، ولا عيب .

قال الخطابي : كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق ، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيد بمخلوق .

قلت : وقد قال أبو داود في السنن عقب الحديث : فيه دليل على أن القرآن ليس بمخلوق .

وهذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة أن كلام الله غير مخلوق ، إذ هو صفة من صفاته تعالى ، ومن الآيات الدالة على أن الله سبحانه يتكلم حقيقة ، (بحرف وصوت ، ولا يماثل أصوات المخلوقين) :

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ إِنَّا لَنَقُومُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠] .

شيطان (*) وهامة (**)، ومن كل عين لامة (***) » (١) .

● مناقشة إبراهيم لأبيه في عبادة

● الأصنام وجهاده في الدعوة معه إلى التوحيد

○ قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١ ﴾ إذ قال لأبيه يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ (٢) مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ

= وقال جلا وعلا : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الاعراف : ٢٢] .

وقال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٦٥] .

والأدلة من السنة لا تكاد تحصى ولا تكاد تنتهي في إثبات هذا الأصل ، ويسمى هذا النوع من الأحاديث (أو من السنة) بالأحاديث القدسية التي يرويها خير الأنام عليه السلام عن رب البرية جلا وعلا .

(*) قوله « من كل شيطان » يدخل تحته شياطين الإنس والجن .

(**) قوله « وهامة » : بالشديد ، واحدة الهوام ذوات السموم ، وقيل : كل ما له سم يقتل ، فأما ما لا يقتل سمه ، فيقال له : السوام ، وقيل : كل نسمه تهم بسوء .

(***) قوله « ومن كل عين لامة » : قال الخطابي : المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٧١) وأبو داود (٤٧٣٧) والترمذي (٢٠٦٠) والنسائي (٧١١ / ٤) وأحمد (٢٣٦٠ / ١) ، ٢٧٠) والبخاري في « خلق أفعال العباد » (٣٦٠ - ٣٦٢) .

(٢) « إني قد جاءني من العلم » : نسب العلم والمعرفة واليقين إلى الله ، ولم ينسبه عليه السلام إلى نفسه .

لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ الْهَيْي (١) يَا إِبْرَاهِيمُ لئن لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ (٢) وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٣) (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ (٤) سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا [مريم : ٤٨ - ٤٩] .

(١) « أراغب أنت عن الهتي » : أي أراغب أنت عنها إلى غيرها ، وتترك عبادتها .
(٢) « لأرجمنك » أي : بالثمن والقول - بالحجارة حتى تتباعد عني .
(٣) « واهجرني مليا » : اهجرني طويلا - اجتنبي سالما قبل أن تصيبك عقوبتي ويصيبك مني معرة .

(٤) قول إبراهيم عليه السلام لآبيه ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ [مريم : ٤٧] .
قال القرطبي في « تفسيره » : والجمهور على أن المراد بسلامه المسألة التي هي المتاركة ، لا التحية ، قال الطبري : معناه أمانة مني لك ، وعلى هذا لا يبدأ الكافر بالسلام ، وقال بعضهم في معنى تسليمه : هو تحية مفارق ، وجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها . انتهى .

ومن هنا جدير بأن نذكر طرقاً من فقه هذه المسألة ، وأقوال أهل العلم فيها ، وبيان ما احتجوا به من آيات وأحاديث .

حكم السلام على الكفار

- ● في المسألة شئ من التفصيل .
- فمن أهل العلم من يمنع مباداتهم بالسلام ، وهو قول أكثر العلماء ، وعامة السلف . واحتجوا بما رواه مسلم (نوى ١٤ / ١٤٨) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » .
- قالوا : والنهي يفيد التحريم (١) .
- ومنهم من يرى جواز التسليم عليهم ، وذلك إذا كان في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركون ، أو إذا كان للشخص مصلحة أو حاجة عند أحدهم .
- واستدل قائلوا هذا القول ، بما في الصحيحين (خ ٦٢٥٤) ، م (١٧٩٨) من =

(١) ومنهم من يرى أن النهي للكره (ذكره النووي عن بعض الشافعية ، ورده) [شرح مسلم ١٤ / ١٤٥] .

= حديث أسامة ابن زيد ، « أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكافٌ تحته قطيفة فذكية ، وأردف وراءه أسامة بن زيد ، وهو يعود سعد بن عبادَةَ في بني الحارث بن الخزرج - وذلك قبل وقعة بدر - حتى مرَّ في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشرّكين عبدة الأوثان واليهود ، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم عليهم النبي ﷺ ، ثم وقف فدعاهم إلى الله ... الحديث » .

الجمع بين حديث أبي هريرة وبين حديث أسامة

قال الإمام الطبري رحمه الله : لا مخالفة بين حديث أسامة في سلام النبي ﷺ على الكفار ، حيث كانوا مع المسلمين ، وبين حديث أبي هريرة في النهي عن السلام على الكفار ، لأن حديث أبي هريرة عام ، وحديث أسامة خاص ، فيختص من حديث أبي هريرة ما إذا كان الابتداء بغير سبب ولا حاجة من حق صحبة أو مجاورة أو مكافأة أو نحو ذلك ، والمراد مع ابتدائهم بالسلام المشروع ، فأما لو سلم عليهم بلفظ يقتضي خروجهم عنه كان يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فهو جائز ، كما كتب النبي ﷺ إلى هرقل وغيره : « سلام على من اتبع الهدى » . (نقلاً من الفتح ١١ / ٤٢) .

● ومنهم من يرى جواز ابتدائهم بالسلام مطلقاً واستدلوا بما يلي :-

١ - بقول الخليل ﷺ لآييه : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ [مريم : ٤٧] . وأجاب عياض عن هذه الآية بما سبق : أن القصد بذلك المثاركة والمباعدة وليس القصد فيها التحية . (انظر الفتح ١١ / ٤٢) .

قلت : ونحو هذا المعنى في قوله تعالى في صفة المؤمنين : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] ، فكما قيل : حلیم خاطب سفيهاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص : ٥٥] .

فكذلك قول إبراهيم لآييه : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكَ ﴾ أى لا ينالك منى مكروه ولا أذى .

(انظر تفسير القرطبي ، مريم : ٤٧) .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٦ - ٢٨] .

٢ = واستدلوا كذلك بقوله : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ [الزخرف : ٨٩] . ويجب
على هذه الآية ، بما أجيب على ما قبلها من قول إبراهيم .
٣ - وقوله : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [المتحنة : ٨] . ويجب : بأن هذه الآية نزلت في أسماء بنت أبي
بكر ، لما سألت النبي ﷺ ، هل تصل أمها حين قدمت عليها وهي مشركة ؟ فقال
رسول الله ﷺ : « نعم » والحديث في الصحيحين . فهذا إنما يدل على أن لها حق
الصحة ، بل حق الأبوة ، كما سبق من كلام الطبري ، ثم إن هذه الآية لا تفيد شيئاً
البتة في جواز ابتدائهم بالسلام ، والله أعلم .
٤ - واحتجوا بعموم الأحاديث التي فيها الأمر بإفشاء السلام . ولكن كما قال النووي
(شرح مسلم ١٤ / ١٤٥) : « وهي حجة باطلة لأنه عام مخصوص بحديث : « لا تبدؤا
اليهود ولا النصارى بالسلام ^(١) » . ا.هـ .

(١) وانظر زاد المعاد لابن القيم (٢ / ٤٢٤ - ٤٢٦) .

● سؤال إبراهيم عليه السلام

ربه أن يريه كيف يحيى الموتى

وحب استطلاع ذلك وإجابة الله إلى سؤاله ^(١)

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ ^(٢) قَالَ بَلَى ^(٣) وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ^(٤) قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ ^(٥) إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٠].

○ وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركنٍ شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي » ^(٦) .

(١) قال فريق من أهل العلم : لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء الله الموتى قط ، ولا في قدرة الله ، وإنما طلب المعانية لكيفية الإحياء ، لأن النفوس تحب الاطلاع على المجهول ورؤية ما أخبرت به ، ولهذا قال عليه السلام : « ليس الخبر كالمعاينة » .
(٢) « أُولَئِمُ تُؤْمِنُ » أى بقدرتي على الإحياء ، والسؤال والجواب مع علمه تعالى بإيمان إبراهيم لتعليم السامعين .

(٣) « بَلَى » حرف جواب أى آمنت .

(٤) « وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي » أى سألتك ليسكن قلبي بالمعانية المضمونة إلى الاستدلال .

(٥) « فَصُرْهُنَّ » أى قطعهن وأمهلهن وأجمعهن إليك . (وانظر التفسير المنير للزحيلي ج ٣/ ٣٧) .

(٦) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٧٢ و ٤٥٣٧) ومسلم (رقم : ١٥١) (ص : ١٨٣٩) وأحمد (٢ / ٣٢٦) وابن ماجه (٤٠٢٦) والطبري في « تفسيره » (٧ / =

.....

= ١٩٤٠٦ و ١٩٤٠٧) وابن حبان في « صحيحه » (٦٢٠٨) .

● قوله : « نحن أحق بالشك من إبراهيم » إذا قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّمُ الْمَوْتَى ﴾ [البقرة : ٢٦٠] . اختلف السلف في المراد بالشك هنا على أقوال : فمنهم من حمل النص على ظاهره ، وقال : إن سبب حصوله وسوسة الشيطان ، وقال آخرون : كان ذلك قبل النبوة ، ومنهم من قال : إن المعنى : نحن أشد اشتياقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم عليه السلام ، ومنهم من قال : إن معناه : أننا إذا لم نشك لإبراهيم أولى أن لا يشك ، أى لو كان الشك متطرقا إلى الأنبياء ، لكنت أنا أحق به منهم ، وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك . وإنما قال النبي ﷺ ذلك تواضعا منه ، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم ، وهو كقوله في حديث أنس عند مسلم : « أن رجلا قال للنبي ﷺ يا خير البرية قال : « ذاك إبراهيم » . ومنهم من قال : إنه دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس ، أى من طلب المعاينة ، فليس الخبر كالمعاينة (انظر الفتح ٦ / ٤٧٤ ، ٤٧٥) .

والذي عليه الجمهور من المفسرين هو القول الأخير ويوضحه الذي قبله فلم يكن الخليل شاكًا في قدرة الله ، فالحديث مبنى إذاً على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام . قال القرطبي رحمه الله في تفسيره : « ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم مثل هذه الشك فإنه كفر ، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث ، وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأوليائه ليس للشيطان عليهم سبيل ، فقال : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر : ٤٢] . وقال اللعين : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴾ وإذا لم يكن له عليهم سلطته ، فكيف يشككهم إلخ كلامه رحمه الله عند تفسير آية البقرة (٢٦٠) .

● شجاعة إبراهيم عليه السلام ●

(١)

● تسفيهه للأصنام ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت : ١٦ - ١٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٦٩ - ٨٢] .

○ وما هو ﷺ يقسم بشجاعة ، فيقول لقومه : ﴿ وَقَالَهُ لَاكِيدُنْ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٥٧] .

○ وينفذ ما وعده به ، فيقول تعالى : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥٨] .

○ ويقول لقومه : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٥ ، ٩٦] .

○ ويقول هو ومن آمن به لقومهم : ﴿ إِنَّا بَرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [المتحنة : ٤] .

○ ويقول تعالى : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٠ و ٨١] .

(٢)

● محاجته ﷺ للنمرود (١) ●

○ قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ (٢) إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ (٣) أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

(١) لم يثبت في تسميته حديث عن رسول الله ﷺ . لكن من العلماء من قال : إنه النمرود صاحب الصرح بابل ، وهو الذي أوقد النار لإبراهيم عليه السلام ونحو ذلك . فعند الطبري في تفسير هذه الآية بإسناد صحيح إلى ابن زيد أنه قال : « هو نمرود » ، وثبت ذلك أيضاً عن قتادة رحمه الله . وقد قال الطبري في « تاريخه » (١ / ١٤٢) : « قال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمرود بن كوش » .

(٢) حاج : أى جادل (١) .

(٣) في ربه : أى في وجود الله .

(١) والجدل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ، وهناك جدال أو جدل محمود ، وهناك جدل مذموم ، وأما الم محمود فتحوه قوله تعالى : ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالِغِي أَحْسَنُ ﴾ [التحل : ١٢٥] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [المنكوت : ٤٦] ، أما المذموم ، فتحوه قوله تعالى : ﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ [الأنفال : ٦] ، وقوله : ﴿ مَا حُزِّنَا لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨] ، وقوله : ﴿ وَيجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ﴾ [الكهف : ٥٦] .

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ^(١) الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿

● تعريضه في الخطاب ﷺ مع قومه ●

لقد عرض لهم الخليل عليه السلام في الكلام حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم ونصرة دين الله الحق .

○ قال تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٢) (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ ﴾ [الصافات : ٨٨ - ٩١] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ جُذُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا (٢) فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥٨ - ٦٥] .

● لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثاً ●

○ ففي « الصحيحين » ^(٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات » .

(١) فبهت : تحير ، وانقطعت حجتُهُ فسكت ولم تكن له حيلة .

(٢) وهذا وذاك جعلهما رسول الله ﷺ في ذات الله عز وجل ، كما سيأتي في الحديث القادم .

(٣) البخاري (٣٣٥٧) ومسلم (٢٣٧١) .

زاد مسلم ^(١) : « ثنتين في ذات الله . قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ وواحدة في شأن سارة ^(٢) ، فإنه قدم أرض جبار ، ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس ، فقال لها : إن هذا الجبار ، إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك . فإن سألك ، فأخبريه أنك أختي ، فإنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك ، فلما دخل

(١) وهو عند البخاري بهذا السياق الذي عند مسلم لكنه على الوقف من كلام أبي هريرة فقدّمنا الرفع ، لأنه أولى . والله أعلم .

(٢) ○ قال الإمام النووي - رحمه الله - (شرح مسلم ١٥ / ١٢٤) :

قال المازري : أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله تعالى فالأنبياء معصومون منه ، سواءً كثيره أو قليله ، وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ، ويعد من الصفات كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف . قال القاضي عياض : الصحيح أن الكذب فيما يتعلق بالبلاغ لا يتصور وقوعه منهم سواء جورنا الصغائر منهم ، وعصمتهم منه أم لا ، وسواء قل الكذب أم كثر ، لأن منصب النبوة يرتفع عنه ، وتجويزه يرفع الوثوق بأقوالهم . وأما قوله ﷺ : « ثنتين في ذات الله تعالى ، وواحدة في شأن سارة » فمعناه أن الكذبات المذكورة ، إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع ، وأما في نفس الأمر ، فليست كذباً مذموماً ، لوجهين :

أحدهما : أنه ورى بها ، فقال في سارة « أختي في الإسلام » ، وهو صحيح في باطن الأمر .

والوجه الثاني : أنه لو كان كذباً لا تورية فيه لكان جائزاً في دفع الظالمين ، وقد اتفق الفقهاء على أنه لو جاء ظالم يطلب إنساناً مختفياً ليقتله . أو يطلب وديعة لإنسان ليأخذها غصباً ، وسأل عن ذلك ، وجب على من علم ذلك إخفاؤه وإنكار العلم به ، وهذا كذب جائز ، بل واجب لكونه في دفع الظالم فنه النبي ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلية في مطلق الكذب المذموم . ١ هـ .

○ وقال الحافظ - رحمه الله - (الفتوح ٦ / ٣٩٢) : « قال ابن عقيل : دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم ، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبئ =

أرضه رآها بعض أهل الجبار . أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها ، فأتي بها ، فقام إبراهيم عليه السلام

= أن يكون موثقاً به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه ، فكيف مع وجود الكذب منه ، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع ، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام - يعني إطلاق الكذب على ذلك - إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز ، وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمها ، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذب ، فإن الكذب ، وإن كان قبيحاً مخللاً ، لكنه قد يحسن في مواضع ، وهذا منها . ا. هـ .

قلت : (القائل محمد) : قوله : (نيتين في ذات الله) . ففيها إثبات الذات لله تبارك وتعالى ، وعلى ذلك يجوز إطلاق الذات على الله تبارك وتعالى ، فقد أخرج البخاري في عدة مواضع من صحيحه (٧٤٠٢ ، ...) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال : بعث رسول الله ﷺ عشرة ، منهم خبيث الأنصاري فأخبرني عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستعد بها ، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيث الأنصاري :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلوي ممزج

● وأيضاً ، قال ابن عباس : تفكروا في كل شئ ولا تفكروا في ذات الله . ذكره الحافظ في « الفتح » (٦ / ٣٨٣) وقال : سنده جيد ، ونقل أيضاً قول حسان :

وإن أبا الأحقاف إذ قام فيهم يجاهد في ذات الإله ويعبد

وبوب البخاري لهذا بباب « ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل وقال خبيب : وذلك في ذات الإله » فذكر الذات باسمه تعالى . قال الحافظ (١٣ / ٣٨٢) : أي ذكر الذات متلبساً باسم الله ، أو ذكر حقيقة الله بلفظ الذات . قاله الكرمانى .

وقال : واستعمال البخاري لها دال على ما تقدم من أن المراد بها نفس الشئ على طريقة التكلمين في حق الله تعالى ، ففرق بين النعوت والذات .

إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها . فقبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها : ادعى الله أن يطلق يدي ولا أضرك ، ففعلت ، فعاد . فقبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ، ففعلت . فعاد . فقبضت أشد من القبضتين الأوليين ، فقال : ادعى الله أن يطلق يدي ، فلك الله أن لا أضرك . ففعلت ، وأطلقت يده . ودعا الذي جاء بها ، فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان ، ولم تأتني بإنسان . فأخرجها من أرضي ، وأعطها هاجر . قال : فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف . فقال لها : مهيم ؟ قالت : خيراً . كفَّ الله يد الفاجر وأخدم خادماً . قال أبو هريرة : فترك أمكم يا بني ماء السماء ^(١) .

● قصة إبراهيم مع ابنه

الذبيح ^(٢) وامثاله لأمر الله في ذلك ●

○ قال تعالى - مخبراً عنه - : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ^(١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ^(١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ^(١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ^(١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ^(١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ^(١٠٦) وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ^(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي

(١) قال النووي - رحمه الله - (١٥ / ١٢٦) : « وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لإبراهيم عليه السلام » .

(٢) والذبيح على القول الصحيح هو إسماعيل عليه السلام ، وسيأتي تحرير المقام في ذلك في محله إن شاء الله .

الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الصافات : ١٠٠ - ١١١] .

● إلقاءه في النار ●

○ قال تعالى : ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات : ٩٧ - ٩٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٨ - ٧٠] .

● نجاته عليه السلام ●

○ قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

وتلك كرامة من أعظم الكرامات لنبي الله خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا وجميع أنبيائه الصلاة والسلام .

○ أخرج البخاري في « صحيحه » ^(١) عن ابن عباس : (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

وفي لفظ (١) : « كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار : حسبي الله ونعم الوكيل » .

• أمر النبي ﷺ بقتل الوزغ

الذي كان سبب إشعال النار

على الخليل إبراهيم عليه السلام •

○ ففي « الصحيحين » (٢) من حديث أم شريك رضى الله عنها : « أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ » (٣) ، وقال : كان ينفع على إبراهيم » .

(١) أيضاً في « الصحيح » (٤٥٦٤) .

قلت : وهذا الحديث وغيره من الأحاديث يؤصل أصلاً ويقيم قاعدة ، ألا وهي مشروعية ذكر الله عزوجل ، وطلب العون منه عند لقاء العدو ، وذو السلطان ، وقد قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُرُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] . وندعوا الله عزوجل بقولنا : « اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » على ما فيه من ضعف . وقد قال الغلام في قصة الراهب والملك والساحر عندما ذهب به ليلقى في اليم قال : « اللهم اكفنيهم بما شئت » فرجف بهم الجبل فهلكوا وغرقوا جميعاً ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

(٢) البخاري (٣٣٥٩) ومسلم (٢٢٣٧) .

(٣) قال النووي - رحمه الله : في رواية : « أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقاً » وفي رواية : « من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة ، ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة لدون الأولي ، وإن قتلها في الضربة الثالثة ، فله كذا وكذا حسنة لدون الثانية » وفي رواية : « من قتل وزغاً في أول ضربة سبعين حسنة » .

قال أهل اللغة : « الوزغ : وسام أبرص جنس فسام أبرص هو كباره » . واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات ، وجمعه أوزاغ ، ووزغان ، وأمر النبي ﷺ بقتله وحث عليه ورغب فيه لكونه من المؤذيات ، وأما سبب تكثير الثواب في أول قتله بأول ضربة ، ثم يليها ، فالمقصود به الحث على المبادرة بقتله ، والاعتناء به ، وتحريض قاتله على أن يقتله بأول ضربة ، فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات ربما انفلت وفات قتلته . ١. هـ .

○ وعن نافع قال : حدثني سائبة مولاة للفاكه بن المغيرة ^(١) قالت : « دخلتُ على عائشة ، فرأيت في بيتها رمحا موضوعا ، قلت : يا أم المؤمنين : ما تصنعون بهذا الرمح ؟ قالت : هذه لهذه الأوزاغ نقتلن به ، فإن رسول الله ﷺ حدثنا : « أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار لم تكن في الأرض دابة إلا تطفئ النار عليه ، غير الوزغ كان ينفخ عليه ، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله » ^(٢) .

● هجرة الخليل إبراهيم ﷺ

● بزوجه سارة ، وحفظ الله ومعيته لهما

لقد هاجر نبي الله إبراهيم خليل الرحمن ﷺ ، كما هاجر النبيون قبله كنوح عليه السلام ^(٣) ، وكما هاجر النبيون من بعده كمحمد ﷺ .

(١) هذا الإسناد بهذه الصورة فيه جهالة لحال سائبة هذه ولكنه ورد عند أحمد في (المسند ٦ / ٢٠٠ ، ٢١٧) من طريق نافع عن عائشة (بإسقاط سائبة) وعليه ، فيكون الإسناد نظيفاً ، إن كان نافع سمع من عائشة ، كما قال الشيخ ناصر عليه رحمة الله .
(٢) أخرجه أحمد في (المسند ٦ / ٨٣ و ١٠٩) ، وابن ماجه (٣٢٣١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٥٦٣١) ، وكما في « الموارد » (١ / ٤٦٨) من حديث نافع ، عن سائبة فذكرته .

قلت : وفي الإسناد سائبة ، قال فيها الحافظ : « مقبولة » ، وقال غيره : « مجهولة ، لا تعرف » ، ولكن له شاهد عند النسائي (٥ / ١٨٩) من حديث : قتادة عن سعيد ابن المسيب أن امرأة دخلت على عائشة ، ويدها عكاز فذكرته . . . وسماع قتادة من سعيد عندي ثابت كما قال البردجي - رحمه الله - كما في « جامع التحصيل » للحافظ العلاني ، خلا عدة أحاديث أدخل فيها قتادة واسطة بينه وبين سعيد بن المسيب - رحمه الله - كما ذكر ذلك الإمام أحمد - رحمه الله - .

(٣) فقد أمره ربه سبحانه وتعالى بعد صنع السفينة أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهله المؤمنين فقال : ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] .

○ أما بشأن الخليل إبراهيم عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ قَامَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ^(١) ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ^(٩٨) ﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئِينَ ﴿ [الصافات : ٩٨ - ٩٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ^(٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) [الانبياء : ٧٠ و ٧١] .

○ وفي « صحيح البخاري » ^(٣) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « هاجر إبراهيم عليه السلام بسارة ، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك - أو جبار من الجبابرة - فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء ، فأرسل إليه أن إبراهيم من هذه التى معك ؟ قال : أختى ، ثم رجع إليها ، فقال : لا تكذبي حديثى ، فإني أخبرتهم أنك أختي ، والله إن على الأرض مؤمن غيرى وغيرك ^(٤) ، فأرسل بها إليه فقام إليها ،

(١) على أحد قولى المفسرين في تفسير الآية الكريمة ، فقد قالت طائفة من أهل العلم : إن قوله : (وقال) راجع إلى لوط عليه السلام ، وعليه ؛ فللعلماء قولان في المراد بقوله : (وقال) على النحو الذى ذكر ، والله أعلم .

(٢) قيل هي بلاد الشام ومنها : أرض بيت المقدس ، وقيل : هي مكة .

(٣) (برقم : ٢٢١٧ و ٦٩٥٠) والترمذي (٣١٦٦) والنسائي في « الكبرى » (٩٧ / ٥) .

(٤) قوله : « والله إن على الأرض مؤمن غيرى وغيرك » . « إن » هنا بمعنى « ما » كقوله « إن أنت إلا نذير » أى : ما أنت إلا نذير ، ولهذا نظائر كثيرة في كتاب الله عزوجل هذا : وقد قال الحافظ رحمه الله : يشكل عليه قوله كون لوط كان معه كما قال تعالى : ﴿ قَامَنَ لَهُ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] . ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض : الأرض التى وقع له فيها ما وقع ، ولم يكن معه لوط إذ ذاك .

فقامت توضاً وتصلّى ، فقالت : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجي إلا على زوجي ، فلا تسلط على الكافر ، فغط حتى ركض برجله . قال الأعرج (أحد الرواة) : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : إن أبا هريرة قال : قالت اللهم إن يمت يقال هي قتلتها ، فأرسل ثم قال إليها ، فقامت توضاً وتصلّى وتقول : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي ، فلا تسلط على هذا الكافر ، فغط حتى ركض برجله .

قال أبو عبد الله : قال أبو هريرة : فقالت : اللهم إن يمت ، فيقال : هي قتلتها فأرسل في الثانية ، أو في الثالثة ، فقال : والله ما أرسلتم إلى إلا شيطاناً ، ارجعوها إلى إبراهيم عليه السلام ، وأعطوها أجر ، فرجعت إلى إبراهيم عليه السلام ، فقالت : أشعرت أن الله كبت الكافر ، وأخدم وليدة .

● اختتانه عليه السلام في الكبر ،

● ومدى قوة تحمله وامثاله لأوامر الله عزوجل

○ قال تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ^(١) [البقرة : ١٢٤] .

○ وقال تعالى : ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم : ٢٧] .

○ وأخرج الشيخان ^(٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اختتن إبراهيم عليه السلام ، وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم » ^(٣) .

(١) ومن جملة هذه الكلمات : الختان كما ذكرنا ، والآية عامة يدخل فيها عموم الأوامر والنواهي والتكاليف ، والله أعلم ، وقد صح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة : ١٢٤] . فقال : ابتلاه الله بالطهارة ، خمس في الرأس وخمس في الجسد . في الرأس : السواك ، والاستنشاق ، والمضمضة ، وقص الشارب ، وفرق الرأس ، وفي الجسد خمسة : تقليم الأظافر ، وحلق العانة ، والختان ، والاستنجاء من الغائط ، والبول ، ونسف الإبط ، أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره » (أثر : ١١٦) ومن طريقة ابن جرير في « تاريخه » (١ / ١٦٨) وفي « تفسيره » (١ / ٥٧٢) ط . الكتب . وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٦٥) وصحح إسناده الحافظ ابن حجر كما في تلخيصه - المنتخب - من « قصص الأنبياء » للحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - (ص : ٢٣٠ بتحقيق الأخ الفاضل غنيم بن عباس) .

(٢) البخاري (٣٣٥٦ و ٦٢٩٨) ومسلم (٢٣٧٠) وأحمد (٢ / ٣٢٢) .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٤٩) : قال النووي ^(١) : « لم يختلف الرواة عند مسلم في التخفيف » ، وأنكر يعقوب بن شيبه التشديد أصلاً . واختلف في المراد به ، فقيل : هو اسم مكان ، وقيل : اسم آلة التجار ، فعلى الثاني هو بالتخفيف لا غير ، وعلى الأول ففيه اللغتان ، هذا هو قول الأكثر . . والراجح أن المراد في الحديث : الآلة ، فقد روى أبو يعلى من طريق علي بن رباح قال : « أمر إبراهيم بالختان فاختنن بقدوم فاشتد عليه ، فأوحى الله إليه أن عجلت قبل نامرك بآلته ، فقال : يارب كرهت أن أؤخر أمرك » .

(١) « شرح مسلم » (١٥ / ١٢٢) .

● بناؤه ﷺ البيت العتيق ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلَمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم :

٣٥ - ٤٠] .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ١٢٦] .

● قواعد^(١) إبراهيم عليه السلام ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا (٢) وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [البقرة : ١٢٧ - ١٢٩] .

(١) المراد بها : قواعد البيت ، التي في قوله ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ والمراد بقواعد البيت : الأسس التي تأسس عليها . والمراد بالبيت : الكعبة ، ويدل على هذا قول الله تعالى : ﴿ وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] . وقد نقل بعض أهل العلم الإجماع على ذلك .
(٢) قوله ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ .

قال الطبري رحمه الله : وإما « المناسك » فإنها جمع « منسك » وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه ، ويتقرب إليه فيه بما يرضيه من عمل صالح : إما بذبح ذبيحة له ، وإما بصلاة أو طواف أو سعي ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة . ولذلك قيل لمشاعر الحج « مناسكه » لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس وترددون إليها .

• قصة إبراهيم مع

ابنه إسماعيل وبنائهما البيت •

○ عن ابن عباس : « أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتُعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل - وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دُوْحَةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد . وليس بمكة يومئذٍ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ثم قَفَى إبراهيم منطلقاً ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مراراً ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت . فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ - حتى بلغ - يَشْكُرُونَ ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها - وجعلت تنظر إليه يتلوى - أو قال - يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرفَ ذراعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « فذلك سعي الناس

بينهما « فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً ، فقالت : صه - تريد نفسها - ثم تسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غَوَاث ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرفُ . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم » - أو قال : « لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم ماءً معيناً » ، قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مَرَّت بهم رُفقة من جُرْهم - أو أهل بيت من جُرْهم - مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائرًا عائقًا ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا - قال : وأمُّ إسماعيل عند الماء ، فقالوا : أئاذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : « نعم » ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا : « نعم » قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « فالفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس » ، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشَبَّ الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجته امرأة منهم « وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يُطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم ، وهيئتهم فقالت : نحن بشرٌ ،

نحنن في ضيق وشدة ، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يُغَيِّرُ عَتَبَةَ بَابِهِ . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحدٍ ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أننا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول غير عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقني بأهلك ، فطلقها ، وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يتغني لنا . فقال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأنت على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : ما شرابكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال النبي ﷺ : « ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه » ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة ، إلا لم يُوافقه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومُرِّهِ يُشَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ ، فلما جاء إسماعيل ، قال : هل أتاكم من أحدٍ ؟ قالت : نعم ، أتانا شيخ حسن الهيئة - وأنت عليه - فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أننا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبُري نبلاً له تحت دوحَةٍ قريبة من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما

أمرك ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة . وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت ، وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) .

● مقام إبراهيم عليه السلام ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ (٢) مَثَابَةً لِّلنَّاسِ (٣) وَأَمْنَا (٤) وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ (٥) مُصَلًّى (٦) وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٥] .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) و (٢٣٦٨ ، ...) والنسائي في « الكبرى » (٥ / ١٠٠) ، وأحمد (١ / ٢٥٣ ، ...) .

(٢) والمراد بالبيت هنا : الكعبة ، دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : ٢٩] .

(٣) مثابة : أى مرجعاً ومجتمعاً .

(٤) وأمناً : أى أمناً من العدو .

(٥) مقام إبراهيم : هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة .

(٦) هذا أمر من الله عزوجل لعباده أي يصلوا خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، قال قتادة رحمه الله : « أمروا أن يصلوا عنده » . أخرجه الطبري بإسناد حسن .

(٧) أى طهراه مما به من بقايا الأصنام والأوثان .

● الأمر بالصلاة خلف

● مقام إبراهيم الخليل عليه السلام

○ عن أنس قال : قال عمر : وافقت ربي في ثلاث ، فقلت : يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] .

○ وآية الحجاب ، قلت : يا رسول الله ! لو أمرت نساءك أن يحتجبن ، فإنه يكلمهن البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه ، فقلت لهن : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت هذه الآية ^(١) .

قال ابن القيم - رحمه الله - ^(٢) : فأمر نبيه ﷺ وأمته ، أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، تحقيقاً للاقتداء به ، وإحياء آثاره - صلى الله على نبينا وعليه وسلم - .

○ وعن عائشة رضی الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « ألم تر أن قومك لما بنوا الكعبة افتقدوا على قواعد إبراهيم » فقلت يا رسول الله : ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ فقال : « لولا حدثان قومك بالكفر » . فقال عبد الله بن عمر ^(*) : لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٤٠٢ و ٤٤٨٣ و ...) ، والترمذي (٣٩٥٩ و

٣٩٦٠) وابن ماجه (١٠٠٩) . وأخرجه مسلم (٢٣٩٩) عن ابن عمر عن أبيه به .

(٢) « جلاء الأفهام » (ص ٣٩٩) .

(*) قول عبد الله بن عمر : « لئن كانت عائشة سمعت هذا ... » .

قال النووي في « شرح مسلم » (٩ / ٩٠) : قال القاضي : ليس هذا اللفظ من ابن=

ما أرى أن رسول الله ﷺ ترك استلام الركنتين اللذين يليان الحجر ، إلا أن

= عمر على سبيل التضعيف لروايتها والتشكيك في صدقها وحفظها فقد كانت من الحفظ والضبط بحيث لا يستراب في حديثها ولا فيما تنقله ، ولكن كثيراً ما يقع في كلام العرب صورة التشكيك والتقرير ، والمراد به اليقين ، كقوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَذْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء : ١١١] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ : ٥٠] .

قال الحافظ : « الفتح ١ / ٢٧١ » : « وفي هذا الحديث معنى ما ترجم له ^(١) ، لأن قريشاً كانت تعظم أمر الكعبة جداً ، فخشى ﷺ أن يظنوا - لأجل قرب عهدهم بالإسلام - أنه غير بناءها ليفخر بالفخر عليهم في ذلك ، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة ، ومنه ترك المنكر خشية الوقوع في أنكر منه ، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ، ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرماً » .

● ويقول ابن القيم رحمه الله في « إعلام الموقعين ٣ / ٥ ، ٦ » (بتصرف يسير) : « فإن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ... إلى أن قال :- ومن ذلك أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره ، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل ، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح الله مكة ، وصارت دار الإسلام عزم على تغيير البيت وردة على قواعد إبراهيم ، ومنع من ذلك - مع قدرته عليه - خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش بذلك ، لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر » .

● وقال الإمام النووي رحمه الله (شرح مسلم ٩ / ٨٩) : وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة ، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة ، بدئ بالأهم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه ، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً ، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة ، فيرون تغييرها عظيماً ، فتركها ﷺ ، ومنها (أى من القواعد) : فكر ولي الأمر في مصالح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا =

(١) يريد ما بوب له البخاري في كتاب العلم . يباب « من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه » .

البيت لم يتم على قواعد إبراهيم ^(١) .

وفي رواية : « لولا جدانة قومك بالكفر لنقضت البيت ، ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام ، فإن قريشاً استقصرت بناءه ^(٢) ، وجعلت له خلفاً ^(٣) . خلفاً . يعني : باباً .

= الأمور الشرعية ، كأخذ الزكاة ، وإقامة الحدود ونحو ذلك ، ومنها : تألف قلوب الرعية ، وحسن حياتهم ، وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي كما سبق . ا . هـ .

* قلت : هذا وقد قال الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (١٢٧) حدثنا عبيد الله ابن موسى عن معروف بن خربوذ ، عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه . قال : « حدثوا الناس بما يعرفون ، المحبون أن يكذب الله ورسوله » موقوف ، وفي سنده معروف بن خربوذ ^(١) والأكثر على تضعيفه والله أعلم . وقد ورد في هذا الباب أيضاً اثر عن ابن مسعود ، أخرجه مسلم في مقدمته (ص ٧٦) ^(٢) إلا أنه منقطع بين ابن مسعود وبين الراوي عنه وهو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، ونص هذا الأثر : قال ابن مسعود : « ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » قال شيخنا أبو عبد الله في « الصحيح المسند من أحاديث الفتن ص : ١٠٠ » : « وعذر مسلم في ذلك أنه أخرجه في المقدمة ، ولم يشترط في المقدمة ما اشترطه في الصحيح » . ا . هـ .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٨ و ٤٤٨٤) ومسلم (ص ٩٦٩) .

(٢) قوله : « فإن قريشاً استقصرت بناءه » قال النووي (شرح مسلم ٩ / ٨٨ ، ٨٩) : وفي الرواية الأخرى : « اقتصروا عن قواعد إبراهيم » ، وفي الأخرى : « اقتصروا في البناء » ، وفي الأخرى : « قصرت بهم النفقة » قال العلماء : هذه الروايات كلها بمعنى واحد ، ومعنى استقصرت : قصرت عن تمام بنائها واقتصرت على هذا القدر لقصور النفقة بهم عن تمامها . ا . هـ .

(٣) أخرجه البخاري (١٥٨٥ و ١٥٨٦) ومسلم (٩ / ٨٨ نووى) .

وفي لفظ ثالث : « يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت البيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ، وأزقته بالأرض ، وجعلت له بايين ، باباً شرقياً ، وباباً غربياً ، فبلغت به أساس إبراهيم » .

(١) قال الحافظ فيه : مقبول .

(٢) باب النهي عن الحديث بكل ما سنع .

● عَظْمُ مَنْزِلَةِ الْخَلِيلِ

● عِنْدَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ

○ لقد كانت تلك المنزلة في أعلى المقامات عند رسولنا محمد ﷺ .
ففي « صحيح مسلم » ^(١) وغيره من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه
قال : قال رجل لرسول الله ﷺ : يا خير البرية .
فقال رسول الله ﷺ : « ذاك إبراهيم عليه السلام » .

وقد ذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أن النبي ﷺ إنما أراد التواضع
بذلك ^(٢) ، ولكن انظر إلى هذه المنزلة العالية التي حملها خير خلق الله
رسولنا محمد ﷺ سيد ولد آدم تجاه أبيه وخليل ربه إبراهيم عليه السلام .

(١) (برقم : ٢٣٦٩) ، وأحمد (١٧٨ / ٣ و ١٨٤) ، وانظر : (رسالة ابن طولون في
تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل : ١٢٠] . بتحقيقي حديث : ٦) .
(٢) قال ابن رجب رحمه الله في « فتح الباري » له (كتاب الإيمان / باب طعام الطعام من
الإسلام) . : « وقد تأول : فقال الإمام أحمد : هو على وجه التواضع » .
وكذا نقل ذلك الحلال في « السنة » (عقب حديث : ٢٠٧) عن الإمام أحمد - رحمه
الله تعالى - قال النووي رحمه الله تعالى ^(١) : - قال العلماء : إنما قال النبي ﷺ هذا
تواضعاً واحتراماً لإبراهيم ﷺ لخلته ، وأبوتيه ، وإلا فنبينا ﷺ أفضل ، كما قال ﷺ :
« أنا سيد ولد آدم » ولم يقصد به الافتخار ، ولا التطاول على من تقدمه ، بل قاله لما
أمر ببيانه وتبليغه ، ولهذا قال ﷺ : (ولا فخر) لينفي ما قد يتطرق إلى بعض
الافهام السخيفة . وقيل : يحتمل أنه ﷺ قال : « إبراهيم خير البرية » قبل أن يعلم
أنه سيد ولد آدم .
وقال ابن طولون الصالحى ^(٢) - رحمه الله - :

(١) « شرح مسلم » (١٥ / ١٢١) .

(٢) في رسالته المشار إليها قبل (عقب حديث رقم ٦ بتحقيقي) .

فأية منزلة هذه !!؟ وأي مكانة هذه !!؟ إنها مكانة من ﴿ اجْتَبَاهُ ﴾ ^(١) ربه ،
و ﴿ اصْطَفَاهُ ﴾ خالقه ، وجعله ﴿ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴾ ^(٢) .

● دعوة النبي محمد ﷺ

بمثل ما دعا به الخليل إبراهيم عليه السلام

● بتحريم المدينة ، كما حرّم إبراهيم مكة

○ ففي « الصحيحين » ^(٣) من حديث عبد الله بن زيد رضى الله عنه عن
النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها ، وحرّمت المدينة كما حرّم
إبراهيم مكة ، ودعوت لها في مَدَّهَا وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام
لمكة » .

= وطريق الجمع من وجهين :
أحدهما : أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يُعلمه الله بأنه أفضل من سائر الأنبياء والرسل
عليهم الصلاة والسلام ، ثم لما أعلمه الله بذلك ثبّه الناس .
والثاني : وهو الأقوى : أنه ﷺ قال ذلك على وجه التواضع ، والاحترام لإبراهيم
ﷺ ، لخلته ، وأبوته ، وليان ما يجب له من التوقير والاحترام ، ولذلك لما قال
ﷺ : « أنا سيد ولد آدم » اتبعه بقوله : « ولا فخر » ليعين ﷺ أنه لم يقل ذلك على
وجه الافتخار ، والتطاول على من تقدمه ، بل قاله بيانًا لما أمر ببيانه ، والله سبحانه
أعلم .

(١) النحل : ١٢٢ .

(٢) مريم : ٤١ .

(٣) البخاري (٢١٢٩) ومسلم (١٣٦٠) وأحمد (٤٠ / ٤) .

○ وأخرج مسلم ^(١) من حديث أبي هريرة أنه قال : كان الناس إذا رأوا أول الثمر ، جاؤا به إلى النبي ﷺ . فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا صاعنا ، وبارك لنا في مدنا ، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليتك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك بمكة ، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعا لمكة ، ومثله معه » .

قال : « ثم يدعوا أصغر وليد له ، فيعطيه ذلك الثمر » .

○ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرم مكة ، وإني أحرم ما بين لا بتيها » ^(٢) .

○ وعن جابر بن عبد الله قال : قال النبي ﷺ : « إن إبراهيم حرم مكة ، وإني حرمت المدينة ما بين لا بتيها ، لا يقطع عضائها ، ولا يصاد صيدها » ^(٣) .

● الخليل إبراهيم عليه السلام

● أفضل الخلائق بعد نبينا محمد ﷺ

○ عن أبي بن كعب قال : فذكر حديثاً وفيه أن النبي ﷺ قال : « يا أباي أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلى »

(١) (١٣٧٣) وابن ماجه (٣٣٢٩) والنسائي في « الكبرى » (١٠١٣٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٧) .

(٣) أخرجه مسلم (١٣٦٢) ، وأحمد (٣ / ٣٣٦ و ٣٩٣) . وفي الباب عن أبي سعيد

الخدري ، رواه مسلم (١٣٧٤) والنسائي في « الكبرى » (٢ / ٤٨٥) ، وعن رافع

ابن خديج ، عند مسلم (١٣٦١) وأحمد (٤ / ١٤١) .

الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها ، فقلت : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم عليه السلام (١) .

○ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٢) : « فهذا السياق دلّ على أنه أفضل الخلائق بعده » .

● لقاء إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ●

○ أخرج البخاري في « صحيحه » (٣) .

من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قتره وغبرة » (٤) ، فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ؟ فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : « إني حرمت الجنة على الكافرين » ثم يقال : يا إبراهيم : ما

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٨٢٠) وأحمد (١٢٧ / ٥) وعبد الله في « الزوائد » (١٢٨ / ٥) من حديث أبي بن كعب رضى الله عنه به .

(٢) تلخيص « قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير » ، انتخاب الحافظ ابن حجر - رحمهما الله تعالى - (ص ٢٢٥ ط . التابعين) .

(٣) (٣٣٥٠ و ٤٧٦٨ و ٤٧٦٩) ، والنسائي في « الكبرى » (٤٢٢ / ٦) (١١٣٧٥) .

(٤) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٣٥٨) : « هذا موافق لظاهر القرآن : ﴿ وَوَجَّهْ يَوْمَئِذٍ »

عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿ تَرْمَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس : ٤٠ - ٤١] أى يغشاها قتره ، فالذى يظهر أن

الغبرة : الغبار من التراب ، والقتره : السواد الكائن على الكآبة » . ا . هـ .

تحت رجلك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ^(١) ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار .

○ وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لياخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة ، فلتقطعنه النار يريد أن يدخله الجنة ، قال : فينادى أن الجنة لا يدخلها مشرك ، ألا إن الله قد حرم الجنة على كل مشرك ، قال : فيقول : أى رب ، أبى ! فيحول في صورة قبيحة وريح متنة ، فيتركه ، قال : فكان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه إبراهيم عليه السلام ، ولم يزداهم رسول الله ﷺ على ذلك » (٢) .

(١) الذبيخ : الضبع الذكر ، قاله البغوى في « شرح السنة » (١٥ / ١١٩) . وقال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٣٥٩) : « والذبيخ : بكسر الذال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ، ثم خاء معجمة ، ذكر الضباع ، وقيل : لا يقال له ذبيخ إلا إذا كان كثير الشعر ، والضبعان لغة في الضبع » وقوله : « ملتطخ » قال بعض الشراح : « أى في رجيع أو دم أو طين » انتهى . وانظر : تفسير ابن كثير رحمه الله (٣ / ٣٢٢) (آية الشعراء : ٨٧) .

وقد بوب أبو حاتم ابن حبان - رحمه الله تعالى - لهذا الحديث باباً بعنوان : « باب ذكر الأخبار بأن الانتساب إلى الأنبياء لا ينفع في الآخرة » . قلت : وصدق النبي ﷺ إذ يقول : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ، أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

ورب العزة سبحانه وتعالى يقول عن نوح عليه السلام : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَبْنَىٰ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (١٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿ [هود : ٤٥ - ٤٦] .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرک » (٤ / ٥٨٧) ، والبيزار كما في « كشف الاستار » (١ / ٦٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٥٢ - ٦٤٥) ، وفي الموارد (برقم : ٦٩) من طريق : قتادة عن عتبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به .

قلت : وإسناد رجاله ثقات من رجال الجماعة ولا أعلم شيئاً يشوبه سوى عنعنة قتادة وهو مدلس ، ولم يصرح بالسماع ، وعتبة بن عبد الغافر ثقة روى له البخاري ومسلم وبرواية قتادة عنه .

● أول من يكسى من الخلائق يوم القيامة ●

وهذه من أعظم المناقب للخليل ﷺ .

○ ففي الصحيحين ^(١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « إنكم محشورون عراة غرلاً ^(٢) ، ثم قرأ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الانبياء : ١٠٤] وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول أصحابي أصحابي فيقال : إنهم لم يزوالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَلَّيْتِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ^(١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ ﴿ [المائدة : ١١٧ - ١١٨] .

● صلاة المسلمين عليه في كل صلاة يصلونها ●

○ أخرج البخاري ومسلم ^(٣) من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة ، فقال : ألا أهدى لك هدية سمعتها من النبي ﷺ ؟

(١) البخاري (برقم : ٣٤٩٩ ، ٣٤٤٧ و ٤٦٢٥ و ..) ومسلم (٢٨٦٠ مختصراً بدون الشاهد) ، والترمذي (٢٤٢٣ ، ٣١٦٧) والنسائي (٤ / ١١٤ ، ١١٧) وأحمد (١ / ٢٢٠ و ٢٢٣ و ..) والطبراني في « الأوائل » (رقم : ٩) وغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنهما به .

(٢) الغرلة : الجلدة التى تقطع في الختان .

(٣) البخاري (٣٣٧٠) ، ومسلم (٤٠٦) ، وأبو داود (٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨) ، والترمذي (٤٨٣) ، والنسائي (٣ / ٤٧ و ٤٨) ، وفي « الكبرى » (٩٨٨٢) ، وابن ماجه (٩٠٤) ، وأحمد (٤ / ٢٤١ و ٢٤٣ و ٢٤٤) ، والدارمي (١٣٤٨) ، والحميدى (٧١١ و ٧١٢) عن كعب بن عجرة به .

فقلت : بلى ، فاهدها لي ، فقال : سألتنا رسول الله ﷺ ، فقلنا : يا رسول الله : كيف الصلاة عليكم أهل البيت ، فإن الله قد علّمنا كيف نسلم . قال : « قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك علي محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » (١) .

(١) نسوق هنا كلاماً طويلاً أورده العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ، في « جلاء الأفهام » (٢١٤ و ٢١٥) يدفع فيه ما قد يتوهم من مثل تلك الأحاديث . كما مر في حديث : (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة) ، وكنحو ما ورد في حديث الباب : (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) ، فقد يقول قائل : إن النبي ﷺ أفضل من الخليل إبراهيم عليه السلام وهو سيد ولد آدم ، فكيف طلب له ما لإبراهيم ، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه ؟ فكيف التوفيق في ذلك المقام ؟

أجاب على ذلك العلامة ابن القيم كما ذكرنا - فذكر في المسألة تسعة أقوال من صحيح وفاسد كما قال رحمه الله تعالى ، وقد ردّ على أصحاب كل قولٍ مخالف - حسب ما رآه رحمه الله . ونحن نورد - خشية الإطالة المملقة - ونتتقى أظهر الأقوال في هذا العرض منه رحمه الله ، فقال :

وقالت طائفة أخرى :

التشبيه المذكور إنما هو في أصل الصلاة ، لا في قدرها ، ولا في كيفيتها ، فالمستول إنما هو راجع إلى الهيئة ، لا إلى قدر الموهوب وهذا كما تقول للرجل : « أحسن إلى ابنك ، كما أحسنت إلى فلان » ، وأنت لا تريد بذلك قدر الإحسان ، وإنما تريد به أصل الإحسان ، وقد يحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ : [القصص : ٧٧] ، ولا ريب أنه لا يقدر أحدٌ أن يُحسن بقدر ما أحسن الله إليه ، وإنما أريد به أصل الإحسان لا القدرة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ »

= بقده ﴿ [النساء : ١٦٣] . وهذا التشبيه في أصل الوحي ، لا في قدره ، وفضل الموحى به . وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْتُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥] ، وإنما مرادهم جنس الآية ، لا نظيرها ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ [النور : ٥٥] . ومعلوم أن كيفية الاستخلاف مختلفة ، وأن ما لهذه الأمة ، أكمل مما لغيرهم . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٣] . والتشبيه إنما هو في أصل الصوم ، لا في عينه وقدره وكيفيته . وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] ومعلوم تفاوت ما بين النشأة الأولى وهي المبدأ ، والثانية وهي المعاد . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل : ١٥] . ومعلوم أن التشبيه في أصل الإرسال لا يقتضى تماثل الرسولين . وقال النبي ﷺ : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » فالتشبيه هنا في أصل الرزق لا في قدره ولا كيفيته ، ونظائر ذلك .

قال ابن القيم : وهذا الجواب ضعيف أيضاً لوجوه :

منها : أن ما ذكره يجوز أن يستعمل في الأعلى والأدنى والمساوى . فلو قلت : أحسن إليّ أهلك وأهلك ، كما أحسنت إلى مركوبك وخادمك ونحوه ، جار ذلك . ومن المعلوم أنه لو كان التشبيه في أصل الصلاة ، لحسن أن تقول : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، أو كما صليت على عليّ آحاد المؤمنين ونحوه أو كما صليت على آدم ، ونوح ، وهود ، ولوط ، فإن التشبيه عند هؤلاء إنما هو واقع في أصل الصلاة لا في قدرها ولا صفتها ، ولا فرق في ذلك بين من صلى عليه ، وأي ميزة وفضيلة ذلك ذلك لإبراهيم وآله ، وإلا الفائدة حينئذ في ذكره وذكر آله ؟ وكان الكافي في ذلك أن يقال : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقط .

الثاني : أن ما ذكره من الأمثلة ، ليس بنظير الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإن هذه الأمثلة نوعان : خبر ، وطلب ، فما كان فيها خبراً ، فالمقصود بالتشبيه به الاستدلال والتقريب إلى الفهم وتوיד ذلك الخبر ، وأنه ما لا ينبغي لعاقل =

= إنكاره كظهير المشبه به ، فكيف تُتكررون الإعادة ، وقد وقع الإعراف بالبداة ، وهي نظيرها ، وحكم الظهير حكم نظيره ، ولهذا يحتاج سبحانه بالمبدأ على المعاد كثيراً ، قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٢٩] وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] . وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ [يس : ٧٨ - ٧٩] ، وهذا كثير في القرآن ، وكلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل : ١٥] ، أى : كيف يقع منكم الإنكار ، وقد تقدم قبلكم رسلٌ مني مبشرين ومنذرين ، وقد علمتم حال من عصى رسلى ، كيف أخذتهم أخذاً وببلاً . وكذلك فقله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [النساء : ١٦٣] . الآية . أى : لست أول رسولٍ طرقَ العالم ، بل قد تقدمت قبلك رسلٌ أَوْحِيتُ إليهم كما أوحيت إليك ، كما قال تعالى : ﴿ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٩] ، فهذا ردٌّ وإنكار على من أنكر رسالة النبي ﷺ مع مجيئه بمثل ما جاءت به الرسل من الآيات ، بل أعظم منها ، فكيف تُنكر رسالته؟! وليست من الأمور التى لم تطرق العالم ، بل لم تغل الأرض من الرسل وآثارهم ، فرسولكم جاء على مناهج من تقدمه من الرسل في الرسالة لم يكن بدعاً . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٥] . ، إخبارٌ عن عاداته سبحانه في خلقه ، وحكمته التي لا تبدل لها ، أن من آمن وعمل صالحاً مَكَّنْ له في الأرض ، واستخلفه فيها ، ولم يهلكه ، وقطع دابره ، كما أهلك من كذب رسله وخالفهم ، وقطع دابره ، فاخبرهم سبحانه عن حكمته ومعاملته لمن آمن برسله وصدقهم ، وأنه يفعل بهم كما فعل بمن قبلهم من اتباع الرسل وهكذا قول النبي ﷺ : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير » إخباراً بأنه سبحانه يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون ، وأنه لا يُخليهم من رزق قط ، كما ترون ذلك في الطير ، فإنها تغدوا من أوكارها خماصاً ، فيرزقها سبحانه ، حتى ترجع بطائناً من رزقه ، وأنتم أكرم على الله من الطير ، ومن سائر الحيوانات ، فلو توكلتم عليه ، لرزقكم من حيث لا تحسبون ، =

= ولم يمنع أحداً منكم زرقه ، هذا ما كان من قبيل الإخبار .

وأما في قسم الطلب والأمر ، فالمقصود منه التنبيه على العلة ، وأن الجزاء من جنس العمل ، فإذا قلت : علم كما علمك الله ، ﴿ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص : ٧٧] ، واعف كما عفا الله عنك ، ونحوه ، كان في ذلك تنبيه للمأمور على شكر النعمة التي أنعم الله بها عليه ، وأنه حقيق أن يقابلها بمثلها ، ويقيدها بشكرها ، وأن جزاء تلك النعمة من جنسها ، ومعلوم ، أنه يمتنع خطاب الرب سبحانه بشئ من ذلك ولا يحسن في حقه ، فيصير ذكر التشبيه لغواً لا فائدة فيه ، وهذا غير جائز .

الثالث : أن قوله : « كما صليت على آل إبراهيم » صفة لمصدر محذوف ، وتقديره : « صلاة مثل صلاتك على آل إبراهيم » وهذا الكلام حقيقته أن تكون الصلاة بمائلة للصلاة المشبهة بها فلا يعدل عن حقيقة الكلام ووجهه .

وقالت طائفة أخرى : آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليسوا في آل محمد مثلهم ، فإذا طُلب للنبي ﷺ من الصلاة مثل ما لا إبراهيم وآله - وفيهم الأنبياء - حصل لآل النبي ﷺ من ذلك ما يليق بهم ، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء ، وتبقى الزيادة التي للأنبياء ، وفيهم إبراهيم ، لمحمد ﷺ ، فيحصل له بذلك من المزية ما لم يحصل لغيره .

وتقرير ذلك : أن تجعل الصلاة الحاصلة لإبراهيم وآله فيهم الأنبياء جملة مقسومة على محمد صلى الله عليه وسلم وآله ، ولا ريب أنه لا يحصل لآل النبي ﷺ مثل ما حصل لآل إبراهيم ، وفيهم الأنبياء ، بل لهم ما يليق بهم ، فيبقى قسم النبي ﷺ ، والزيادة المتوفرة التي لم يستحقها آله مختصة به ﷺ ، فيصير الحاصل له من مجموع ذلك أعظم ، وأفضل من الحاصل لإبراهيم ، وهذا أحسن من كل ما تقدمه .

وأحسن منه أن يقال : « محمد ﷺ هو من آل إبراهيم ^(١) » ، بل هو خير آل إبراهيم =

(١) هذا الأثر فيما يأتي عن ابن عباس رضى الله عنهما ، لا يصح عنه وذلك لأمرين :

الاول : أن على بن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس .

الثاني : أن على بن أبي طلحة نفسه متكلم فيه ، والراجع ضحفه والله أعلم . والأثر أخرجه الطبري رحمه

الله في (التفسير رقم ٦٨٤٦) قال : حدثني الثني ، قلت محمد : والثني هذا لا يدري من هو ؟ ١٩

= كما روى على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٣] ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : « محمدٌ من آل إبراهيم » . وهذا نص ، فإنه إذا دخل غيره من الأنبياء الذين هم من ذرية إبراهيم وفي آله ، فدخل رسول الله ﷺ أولى ، فيكون قولنا : « كما صليت على آل إبراهيم » متناولاً للصلاة عليه ، وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم . ثم قد أمرنا الله أن نصلى عليه وعلى آله خصوصاً بقدر ما صليتنا عليه مع سائر آل إبراهيم عموماً ، وهو فيهم ، ويحصل لآله من ذلك ما يليق بهم ، ويبقى الباقي كله له ﷺ .

وتقرير هذا أنه يكون قد صلي عليه خصوصاً ، وطلب له من الصلاة ما لآل إبراهيم وهو داخل معهم ، ولا ريب أن الصلاة الحاصلة لآل إبراهيم ورسول الله ﷺ معهم أكمل من الصلاة الحاصلة له دونهم ، فيطلب له من الصلاة هذا الأمر العظيم الذى هو أفضل مما لإبراهيم قطعاً ، ويظهر حيثُ فائدة التشبيه ، وجريه على أصله ، وأن المطلوب له من الصلاة بهذا اللفظ أعظم من المطلوب له بغيره ، فإنه إذا كان المطلوب بالدعاء ، وإنما هو مثل المشبه به ، وله أوفر نصيب منه ، صار له من المشبه المطلوب أكثر مما لإبراهيم وغيره ، وانضاف إلى ذلك مما له من المشبه به من الحصة التى تحصل لغيره ، فظهر بهذا من فضله وشرفه على إبراهيم وعلى كل من آله ، وفيهم النبيون ما هو اللائق به ، وصارت هذه الصلاة دالة على هذا التفضيل وتابعة له ، وهى من موجباته ، ومقتضياته ، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً ، وجزاه الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . ١ . هـ . رحمه الله (١) .

(١) وقارن بكلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى ٢٢ / ٢٦٣ - ٢٦٧) .

●● صفة الخليل إبراهيم عليه السلام ●●

● كان أشبه الخلق به رسول الله ﷺ ●

○ أخرج البخاري ^(١) ومسلم من حديث ابن عباس رضى الله عنهما وذكروا له الدجال بين عينيه مكتوب كافر أو : ك - ف - ر - قال لم أسمعه ، ولكنه قال : « أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ، وأما موسى فجعد آدم على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كاني أنظر إليه انحدر في الوادى » .

○ وفي « صحيح مسلم » ^(٢) من حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « عرض على الأنبياء ، فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام . فإذا أقرب الناس من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود . ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، فإذا أقرب من رأيت شبهاً صاحبكم (يعنى نفسه) ، ورأيت جبريل عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية » . (وفي رواية : دحية بن خليفة) .

○ وعن ابن عباس قال : أسرى بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته ، فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبغيرهم . . . وفي الحديث : « رأى الدجال في صورته رؤيا عين ، ليس رؤيا منام ، وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ، فسئل النبي ﷺ عن الدجال ؟ فقال : أقمر هجان ^(٣) » (قال حسن أحد الرواة : رأيت فيلمانياً ^(٤) أقمر هجان)

(١) (٣٣٥٥) ، ومسلم (برقم : ١٦٦) (ص ١٥٣) ، وأحمد (١ / ٢٧٦ و ٢٧٧) .

(٢) (١٦٧) والترمذى (٣٦٤٩) وأحمد (٣ / ٣٣٤) .

(٣) الاقمر : الشديد البياض ، والهجان : الأبيض .

(٤) الفيلم هو العظيم الفخم الجثة .

إحدى عينيه قائمة ، كأنها كوكب دري ، كان شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسى شاباً أبيض ، جعد الرأس ، حديد البصر ، مبطن الخلق ، ورأيت موسى أسحم ^(١) آدم كثير الشعر (قال حسن : الشعرة) ، شديد الخلق ، ونظرت إلى إبراهيم ، فلا أنظر إلى إرب ^(٢) من آراه ، إلا نظرتُ إليه مني ، كأنه صاحبكم ، فقال جبريل عليه السلام : سلّم على مالك ، فسَلّمت عليه ^(٣) .

○ وفي « صحيح البخاري » ^(٤) عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني الليلة آتيان : فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً ، وإنه إبراهيم ﷺ» .

○ وفي رواية ^(٥) : « فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة فيها من كل لون الربيع ، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء ، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط ... ثم قال : وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ ، وأما الولدان الذين حوله فكل

(١) أسحم : أسود .

(٢) إرب : عضو .

(٣) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١ / ٣٧٤) (وبرقم : ٣٥٤٦ بتحقيق الارناؤوط ومساعدية) . وأبو يعلى في « مسنده » (٢٧٢٠) وقال في آخره : « سلّم على أبيك » بدلاً من قوله : « سلّم على مالك » ، وصوّيه محققوا « المسند » والله أعلم .
وقد أخرج الحديث مختصراً دون الشاهد (النسائي في « الكبرى » ٦ / ٣٣٧) (١٢٨٣) .

وقد حكم بصحة إسناده الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في « تفسيره » كما في « تحقيق المسند » - المصدر السابق - .

(٤) (٣٣٥٤) .

(٥) عند البخاري (٧٠٤٧) .

مولود مات على الفطرة .

وهذا الحديث فيه منقبة أخرى لإبراهيم عليه السلام ، وهي أنه الكفيل لأطفال المسلمين في الجنة ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع أنبيائه ورسله . وحشرنا الله وإياكم مع خليله وصفيه وسائر رسله عليهم جميعاً أفضل صلاة ، وأتم تسليم .

ونكرر مقالة أبي إسحاق الثعلبي :

« وقد اجتمع فيه من خلال الخير ، وأنواع الفضل ما يُجمعُ في أمة ، كما قال الشاعر :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْرَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ .

وصلّى الله وبارك عليه وعلى نبينا وسلم .

من فضائل لوط

عليه السلام ^(١) وشيء من أخباره

﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾

(١) ولوط عليه السلام كان في زمن الخليل ﷺ ، بنص الكتاب العزيز ، إذ الله يقول : ﴿ لَقَدْ آتَيْنَا لُوطًا دُخَانًا وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] . وقالوا : إنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، فهو لوط بن هاران ابن تارح (آزر) ، فعلى ما ذكره النسابون والمؤرخون أن إبراهيم عليه السلام هو عم للوط عليه السلام .

قلت : ولكن كما قدّمنا أن ذلك لا يكاد يفيد كبير فائدة ، فما دام لم يرد فيه نص في كتاب الله سبحانه ، أو في حديث رسول الله ﷺ ، فالتوقف في ذلك أولى وأصح ، فلا يضيرنا عدم العلم بذلك ، وقد علمنا أنه كان مصاحباً لخليل الرحمن إبراهيم عليهما السلام بصريح القرآن ، وأنه نبي متصوص على ذلك في الكتاب والسنة ، وقد هاجر مع الخليل عليه السلام ، فمن الذي يوصل إلى السامع ذكره ونباه غير ذلك ١٢

● من فضائل نبي الله لوط عليه السلام ●

○ قال تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

○ فمن نعم الله عز وجل على عبده ونبيه لوط عليه السلام أن الله نجاه من كيد الكافرين ، وحفظه من ظلم الظالمين ، فأهلكهم ونجاه ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

○ وكما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣٣] .

○ وقد آتاه الله حكماً وعِلْماً ، ووصفه بالصلاح كما قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٤ ، ٧٥] .

○ يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى ^(١) - : « هذا ثناء من الله على رسوله لوط عليه السلام بالعلم الشرعي ، والحكم بين الناس ، بالصواب والساد ، وأن من أرسله إلى قومه ، يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم عما هم عليه من الفواحش ، فلبث يدعوهم ، فلم يستجيبوا له ، فقلَّب الله عليهم ديارهم وعذبهم عن آخرهم ، لأنهم كانوا قوم سوء فاسقين . كذبوا الداعي ، وتوعدوه بالإخراج ، ونجى الله لوطاً وأهله ،

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (سورة الأنبياء : آية ٧٤ ، ٧٥) .

فأمره أن يسري بهم ليلاً ، ليعدوا عن القرية ، فسروا ونجوا ، وذلك من فضل الله عليهم ومته . ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ التي من دخلها كان من الأمنين من جميع المخاوف ، النائلين كل خير ، وسعادة ، وبر ، وسرور ، وثناء ، وذلك لأنه من الصالحين ، الذين صلحت أعمالهم ، وزكت أحوالهم ، وأصلح الله فاسدهم .

والصلاح هو السبب لدخول العبد في رحمة الله ، كما أن الفساد سبب لحرمانه الرحمة والخير ، وأعظم الناس صلاحاً ؛ الأنبياء عليهم السلام ، ولهذا يصفهم بالصلاح ، وقال سليمان عليه السلام : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] .

● بعثته ﷺ ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِنْ لَوْطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٣] .

لقد أرسل لوط عليه السلام إلى قوم هم من أفجر الناس ، فقد كانوا أخبث الناس طوية ، وأسوأهم وأردأهم سريرة وسيرة ، فقد كانوا :

○ يحاربون الله وأنبياءه .

○ ويسعون في الأرض فساداً .

○ ويقطعون السبيل ، يعني الطريق .

○ ويخونون الصديق ، والرفيق .

○ ويأتون في ناديهم ^(١) المنكر جهاراً علناً دون حياء أو خجل ، وما كان

(١) وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمهم ، قاله ابن كثير - رحمه الله .

فيهم رجل واحد رشيد ^(١) .

فبعث الله إليهم نبيه لوطاً عليه السلام يذكرهم وينصحهم ، فدعاهم إلى التوحيد ، ونهاهم عن تعاطي الفواحش ، فاستمروا على فجورهم ^(٢) .

○ قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٠ - ١٦٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَتُنْكُمُ اللَّاتُونَ الرَّجَالُ وَتَقَطِّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ... ﴾ [العنكبوت : ٢٨ ، ٢٩] .

قال محمد أحمد العدوي - رحمه الله - صاحب « دعوة الرسل » (ص ٧٠) : « يطالب نبي الله لوط قومه بالطاعة في رفق ولين ، ويذكرهم بأنه رسول أمين لا غنى له عن تبليغ رسالة ربه ، ثم يكرر عليهم طلب التقوى والطاعة ، ثم يريهم أنه لا يطلب منهم أجراً على رسالته ، وإنما يطلبه من الله تعالى ، ثم ينتقل إلى إنكار فاحشتهم مستقبلاً لها ، فيقول : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مِنْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء : ١٦٥ ، ١٦٦] » .

(١) « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله » لمحمد سرور (١ / ١٥٧) .

(٢) تلخيص « قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير - رحمه الله - » انتخاب الحافظ ابن حجر - رحمه الله - . (ص ٢٣٩ ط التابعين) .

● وصفه بالصالح

○ قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ ﴾ الآية [التحريم : ١٠] .

● فضائل أخرى

○ قال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُدًى وَكَوْنًا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

ثم قال بعدها : ﴿ ... وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٧] .

وقال بعدها : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْثِرُوا بِهَا الْكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ ﴿ [الأنعام : ٨٩ ، ٩٠] .

● قول النبي ﷺ :

● « يرحم الله أخي لوطاً »

○ وذلك لأن لوطاً عليه السلام قال لقومه : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله (١) - : « يقول تعالى مخبراً نبيه لوطاً عليه السلام ، إن لوطاً توعدهم بقوله : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ﴾ [هود : ٨٠]

(١) « التفسير » (٢ / ٤٣٨) .

الآية ، أي لكنت نكلت بكم ، وفعلت بكم الأفاعيل بنفسي وعشيرتي .
 ○ وفي تلخيص « القصص للحافظ ابن حجر » (ص ٢٤١) قال :
 « ودّ لو كانت له منعة وعشيرة ينصرونه عليهم ؛ ليحل بهم ما يستحقونه من
 العذاب » .

○ أما المراد بقوله : ﴿ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود : ٨٠] .
 فالمعنى به : ربه وخالفه . قال السعدي - رحمه الله ^(١) - : « .. اشتد
 قلق لوط عليه السلام ، وقال : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾
 [هود : ٨٠] ، كقبيلة مانعة لمنعتكم ، وهذا بحسب الأسباب المحسوسة ،
 وإلا فإنه يأوي إلى أقوى الأركان هو الله ، الذي لا يقوم لقوته أحد » .
 ○ وفي « الصحيحين » ^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي
 ﷺ قال : « يغفر الله للوط ، إن كان ليأوي إلى ركنٍ شديد » .

○ وفي رواية : « يرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد » ^(٣)
 وفي لفظ : « رحم الله أخي لوطاً ... » ^(٤) .

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (ص ٣٤٢ ط . الرسالة) .
 (٢) البخاري (برقم : ٣٣٧٥) ، ومسلم (رقم : ١٥٣) (ص : ١٨٤٠) .
 (٣) البخاري (٣٣٨٧) ، ومسلم (١٥١ ، ١٥٣) .
 (٤) وإسناده حسن ، وفيه زيادة منكرة ، بيئتها في تحقيقي لـ « أحاديث الأنبياء » للمقدسي
 (رقم ٢٠) .

قال العدوي - رحمه الله تعالى - في « دعوة الرسل » (ص ٦٩) : والغرض من
 الحديث رفع شبهة تتعلق بنبي الله لوط ، وهي أنه يتمنى أن يستند إلى ركنٍ شديد ،
 وأي ركن شديد أقوى من ربه وخالفه ؟ فالحديث يرينا أن لوطاً كان يأوي إلى ركن
 شديد هو ربه وخالفه ، والركن الشديد الذي تمناه مرجع من الخليقة كمصيبة ، أو =

● عداؤ قوم لوط لنبیهم لوط علیه السلام ●

وذلك أن لوطاً علیه السلام لما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطي ما ذكر الله عنهم من الفواحش ، لم يستجيبوا له ، ولم يؤمنوا به ، حتى ولا رجل واحد منهم ، ولم يتركوا ما عنه نُهوا ، بل استمروا على حالهم ، ولم يرفعوا عن غيِّهم وضلالهم ، وهموا بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم واستضعفوه ^(١) . فهددوه بالإخراج من قريتهم .

○ قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾

[الشعراء : ١٦٧] .

● أما عن سبب طرده !! ●

○ كانت جريمة ! هذا النبي الكريم - في نظرهم - هو ما حكاه الله عنهم بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴾ ^(٢) [الاعراف : ٨٢] .

= خرب قوي ، فهو يتمنى أن يكون قوياً بنفسه ، أو قوياً بغيره ليفعل مع أولئك المجرمين ما يستحقونه . ا . ه .

(١) « البداية والنهاية » (١ / ١٦٧) للحافظ ابن كثير - رحمه الله - .

(٢) قال محمد أحمد العدوي أثابه الله في « دعوة الرسل » (٦٥ - ٦٦) : « من العجيب أن تكون الطهارة ذنباً يعاقب صاحبه عليه ، وينفي من بلده من أجلها ، وأن ترتكس النفوس في المحرمات ، وتنتكس بالجرائم حتى تستقيح الحسن ، وتستحسن القبيح ، وتفسد منها الفطرة إلى ذلك الحد المزري ، وهي سخرية بنبي الله لوط ومن معه ، وتهكم بطهارتهم من الفواحش وافتخار بما كانوا عليه من القذارة ، كما يقول الفسقة =

● استجابةُ الله تعالى

لدعوته عليه السلام على قومه ^(١) ●

○ قال تعالى : مخبراً عنه : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٦٩) فَجَجْنَاهُ

= لبعض الصلحاء إذا وعظهم : أبعادوا عنا هذا التقشف ، وأريحونا من هذا المتزهد .
وللنقص والردائل دركات ، كما أن للكمال والفضائل درجات ، فأولاهما أن يلم بالرديلة ، وهو يشعر بقبحها ، ويلوم نفسه عليها ، ويليهما أن يعود إليها المرة بعد المرة مستخفياً ، ويليهما أن يصبر عليها حتى يزول شعوره بقبحها ، ويليهما أن يجهر بها ويكون قدوة سيئة ، وأخط دركاتها أن يفاخر بها أهلها ، ويحتقر من يتزهون عنها ، وهذه دركة قوم لوط ، ولا يهبط إليها من يؤمن بالله واليوم الآخر ، وقد وصف الله المؤمنين بأنهم إذا عملوا السيئات يعملونها بجهالة ثم يتوبون من قريب وأنهم لا يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون انتهى .

بل أشد من ذلك أنهم قبلوا تلك المواضع اللينة ، وذلك الأسلوب الهادئ من هذا النبي الكريم بقولهم ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٧] .
يا سبحان الله ، رسول من الله ، يدعو الناس إلى الطهر ، ويحببهم في النزاهة ، ويحول بينهم وبين فساد الفطر ، يكون جزاؤه من قومه أن يهددوه بالنفي ، ويتوعدوه بالتغريب ، ولا ذنب له في ذلك سوى طهارة غايته ، وسمو مبادئه ، ونيل مقصده ، ذلك هو ذنبه عند قومه !!

وهكذا يُتوعد أرباب المبادئ الصحيحة ، إلى أن ينزلوا عن مبادئهم ويسكتوا عن دعوتهم . ولكن الله تعالى تكفل لهم بالنصر ، ووعدهم ميراث الأرض ، كما توعد أعداء الرسل بالهلاك ﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٣) وَلَنَسْكُنَنَّكَمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿ [إبراهيم : ١٣ ، ١٤] .

فليمعن المبطل في باطله ، وليزدد الفاجر من فجوره ، ﴿ قَامَا الزُّيْدُ فَيَذَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] . انتهى بتصرف من « دعوة الرسل » (ص ٧٠ ، ٧١) لمحمد أحمد العدوي - رحمه الله تعالى - .

(١) إذ قد طلبوا من نبيهم وقوع ما حذرهم عنه من العذاب الاليم ، وحلول البأس العظيم ، فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم ، فسأل من رب العالمين ، وإله المرسلين أن ينصره =

وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ
مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ [الشعراء : ١٦٩ - ١٧٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ
رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ
إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (١) ﴾ [العنكبوت : ٣٠ ، ٣٢] .

● قوة الرابطة بين خليل الرحمن

● وبين نبي الله لوط عليه السلام

سبق أن أن لوطاً عليه السلام ، كان من أوائل من آمن بدعوة إبراهيم
عليه السلام ، وشاركه في محنه ومصائبه ، وخرج معه مهاجراً في أرض الله
الواسعة ، وعندما أكرمه الله بالنبوة لم تنقطع صلته بإبراهيم عليه السلام ،

= على القوم المفسدين . ففار الله لغيرته ، وغضب لغضبه ، واستجاب لدعوته ،
وأجابه إلى طلبته ، وبعث رسله الكرام ، وملائكته العظام ، فمروا على خليل
إبراهيم ، وبشروه بالغلام العليم ، وأخبروه بما جاءوا له من الأمر الجسيم ، والخطب
العميم : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
حِجَابًا مِنْ طِينٍ (٣٣) مُّسَوِّمَةً عَلَيْكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٣١ - ٣٤] قاله الحافظ ابن
كثير في « البداية والنهاية » . كما في « القصص » (١٩٦ - ١٩٧ مطبعة الانوار
المحمدية) .

(١) وذلك لأن الله قال في شأنها : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا
تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
الدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم : ١٠] .

لقوة الأواصر التي تربط بينهما .

فكلاهما عضوان في حزب الله ، وإن كان بينهما تفاوت في الرتبة ،
فإبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء و خليل الرحمن ، ومن أولي العزم ، وهو
فوق أقرب الأنبياء والمرسل من ربه بعد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل
الصلاة والتسليم (١) .

فجاءت ملائكة الرحمن عز وجل يخبرون إبراهيم عليه السلام بالأمر
الجسيم ، والخطب العميم من إهلاك قوم لوط عليه السلام ، (وقد كان
يرجو لقوم لوط غير هذا المصير ، كما كان يخشى على لوط أن يناله نصيب
من هذا العذاب ، ولكن الملائكة أخبرته أن هذا أمر الله قد جاء في أهل هذه
القرية ، ولا راد لقضائه وقدره) ، فكان كما قال تعالى في كتابه : ﴿ وَلَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى (٢) قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٣)
فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ
لُوطٍ (٤) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٥) قَالَتْ
يَا وَيْلَتَى أَلُمْتُكَ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٦) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ (٧) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ

(١) ومن غير الممكن ، أن يعيش جماعة من المسلمين في عصر واحد ، وفي أمكنة متقاربة ،
ولا تكون بينهم روابط منظمة ، وأواصر قوية . راجع « منهج الأنبياء في الدعوة إلى
الله » (ج١ ص ١٦٧ تحت هذا البحث) . د . محمد سرور .

قلت (محمد) : وهذه الروابط ، وتلك الأواصر ينبغي أن تكون على وفق الكتاب
والسنة ، وعلى منهج السلف الصالح ، فلا تكون هذه الجماعة في طريق ، وهذه
الطائفة في طريق آخر ، فإنه حيث لا يحصل شيء من تلك الرابطة ، ولا من هذه
الأواصر البتة .

(٢) وهي بشرى الولد - فيما يظهر - والعلم عند الله .

الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿ [هود : ٧٤ - ٧٦] .

● هلاك قوم لوط ●

فقد استجاب الله دعوة لوط عليه السلام ، ونجّاه وقومه الذين آمنوا به ، وأهلك المكذبين له ، فآذاقهم العذاب الاليم ، بسبب فسقهم وإجرامهم وإعراضهم عن دعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام .

○ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ (٢) وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ (٣) وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي (٤) هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَتْلَمُّ مَا تُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنِّي بِيَكُمُ قُوَّةٌ أَوْ أَوْيَ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ

(١) وفي الآية الأخرى : ﴿ قَالَ إِنْ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ . . . ﴾ [المنكوت : ٣١] وقوله : ﴿ إِنْ فِيهَا لُوطًا . . . ﴾ دليل على رافته ورحمته ، ورقة قلبه وهذا ما يجب للمؤمن من التحزن لأخيه ، وهذا هو ما حمله على المجادلة فيهم ، رجاء أن يرفع العذاب عنهم ، ويمهلوا لعلهم يحدثون توبة وإنابة . (« دعوة الرسل » ص ٦٨ و ٧٢) للعدوي - رحمه الله تعالى - .

(٢) أي ساء شأنهم ، وضائق نفسه بسبيهم ، وخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينالهم بسوء .

(٣) أي يسرعون ويهرولون من فرحهم بذلك .

(٤) قيل : المقصود به نساؤهم ، فالنبي للامة بمنزلة الوالد ، فهو أب لهم ، وهم بناته .

(٥) منهم من فسر (أو) بـ (بل) .

مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿ [هود : ٧٧ - ٨٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرَبْنَا إِلَيْكَ بِاللَّيْلِ وَأَتَّبِعْنَا أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَفْضَحُون (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الحجر : ٦١ - ٧٧] .

○ وفي الآية الأخرى : ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (١) [الذاريات : ٣٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي إِذْ أَنزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ

(١) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « أي تركناها عبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة ، وخشي الرحمن بالغيب ، وخاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فانزجر عن محارم الله وترك معاصيه ، وخاف أن يشابه قوم لوط . ومن تشبه بقوم فهو منهم ، وإن لم يكن من كل وجه ، فمن بعض الوجوه ، كما قال بعضهم : فإن لم تكونوا قوم لوط بعينهم فما قوم لوط منكم ببعيد فالعاقل اللبيب الفاهم الخائف من ربه ، يمثل ما أمره الله عز وجل ، ويقبل ما أرشده إليه رسول الله ﷺ ، من إتيان ما خلق الله له من الزوجات الحلال ، والجواري من السراي ذوات الجمال ، وإياه أن يتبع كل شيطان مريد ، فيحق عليه الوعيد ، ويدخل في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود : ٨٣] . انتهى .

لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ
بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿ [القمر : ٣٣ - ٤٠] .

من فضائل إسماعيل عليه السلام وذكر شيء من أخباره ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾

○ قال ابن الملتن في « التوضيح لشرح الجامع الصحيح » (١٣٢ الجزء
المخصص في قصص الأنبياء) (ط : المكتبة المكية) : « وإسماعيل^(١) رسول،
ابن رسول، أخو نبي، عم نبي، وكان أكثر الأنبياء من ولادة يعقوب » .

(١) وهو ابن خليل الرحمن صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم وكذلك هو الذبيح على
الصحيح، وهو قول الجمهور .

(فصل في ذلك)

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في « زاد المعاد » (١ / ٧١ ، ٧٢) : « وإسماعيل
هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وأما القول =

= بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم ، فإن فيه : إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره ، وفي لفظ : « وحيد » ، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده ، والذي غر أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم : اذبح ابنك إسحاق ، قال : وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم ، لأنها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك ، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف ، وأحبوا أن يكون لهم ، وأن يسوقوه إليهم ، ويحتاروه لأنفسهم دون العرب ، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله ، وكيف يسوغ أن يقال : إن الذبيح إسحاق ، والله تعالى قد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب ، فقال تعالى عن الملائكة : إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى : ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشِّرْنَاهُم بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧٠ ، ٧١] ، فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد ، ثم يأمر بذبحه ، ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة ، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد ، وهذا ظاهر الكلام وسيأخذه ، فإن قيل : لو كان الأمر كما ذكرتموه لكان « يعقوب » مجروراً عطفاً على إسحاق ، فكانت القراءة ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ أي : ويعقوب من وراء إسحاق . قيل : لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشراً به ، لأن البشارة قولٌ مخصوص وهي أول خبر سار صادق ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ جملة متضمنة لهذه القيود ، فتكون بشارته ، بل حقيقة البشارة هي الجملة الخبرية . ولما كانت البشارة قولاً ، كان موضع هذه الجملة نصباً على الحكاية بالقول ، كأن المعنى : وقلنا لها : من وراء إسحاق يعقوب ، والقائل إذا قال : بشرت فلاناً بقدوم أخيه وثقله في أثره ، لم يعقل منه إلا بشارته بالأمرين جميعاً . هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه البتة ، ثم يضعف الجرح أمر آخر ، وهو ضعف قولك : مررتُ بزيد ، ومن بعده عمرو ، ولأن العاطف يقوم مقام حرف الجر ، فلا يفصل بينه وبين المجرور ، كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور . ويدل عليه أيضاً أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات قال : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٦) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٧) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّعْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٨) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٩) وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١١٠) ﴾ =

= وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿ [الصفات : ١٠٣ - ١١١] ثم قال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصفات : ١١٢] فهذه بشارة من الله تعالى له شكرًا على صبره على ما أمر به ، وهذا ظاهرٌ جدًا في أن المبشَّر به غير الأول ، بل هو كالنص فيه .

فإن قيل : فالبشارة الثانية وقعت على نبوته ، أي : لما صبر الأب على ما أمر به ، وأسلم الولد لأمر الله ، جازاه الله على ذلك بأن أعطاه النبوة .

قيل : البشارة وقعت على المجموع : على ذاته ووجوده ، وأن يكون نبيًا ، ولهذا نصب « نبيًا » على الحال المقدَّر ، أي : مقدَّرًا نبوته ، فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل ، ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة ، هذا محال من الكلام ، بل إذا وقعت البشارة على نبوته ، فوقعها على وجوده أولى وأحرى . وأيضًا فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها ، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرًا لشأن إسماعيل وأمه ، وإقامة ذكر الله ، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هم اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه ، ولهذا اتصل مكان الذبيح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل ، وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل زمانًا ومكانًا ، ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم ، لكانت القرابين والنحر بالشام ، لا بمكة .

وأيضًا فإن الله سبحانه سمي الذبيح حليمًا ، لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبيح طاعة لربه . ولما ذكر إسحاق سمًا عليه ، فقال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٤ ، ٢٥] إلى أن قال : ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] وهذا إسحاق بلا ريب ، لأنه من امرأته ، وهي المبشَّر به ، وأما إسماعيل ، فمن السرية . وأيضًا فإنهما بُشِّرا به على الكبر واليأس من الولد ، وهذا بخلاف إسماعيل ، فإنه ولد قبل ذلك . . . إلخ كلامه - رحمه الله - .

كلام نفيس للعلامة الشنيطي رحمه الله

قال رحمه الله في « أضواء البيان » (٦ / ٦٩١ - ٦٩٣) : « اعلم وفقني الله وإياك ، أن القرآن العظيم قد دلّ في موضعين ، على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق ، أحدهما في الصفات . والثاني في هود .

أما دلالة آيات الصفات على ذلك فهي واضحة جداً من سياق الآيات ، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِي ۖ ﴾ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلِ (١٠٦) وَقَدِّينَاهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ [الصفات ٩٩ - ١١٠] .

قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصفات : ١١٢] .

فدلّ ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية ، لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه : فبشرناه بإسحاق ، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً : وبشرناه بإسحاق ، فهو تكرار لافائدة فيه ينزه عنه كلام الله ، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولاً الذي فدي بالذبيح العظيم هو إسماعيل وأن البشارة بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك - ثم قال - :

ومعلوم في اللغة العربية أن العطف يقتضي المغايرة ، فأية الصفات هذه دليل واضح للمتنبص على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق ، ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عبر عنه في كلها بالعلم لا بالحلم ، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم .

وأما الموضع الثاني الدال على ذلك الذي ذكرنا أنه في سورة هود ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَانِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] ، لأن رسل الله من الملائكة بشرتها بإسحاق ، وأن إسحاق يلد يعقوب ، فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه ، وهو صغير ، وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب . فهذه الآية أيضاً دليل واضح على ما ذكرنا ، فلا ينبغي للمتنبص الخلف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك والعلم عند الله تعالى . ا . هـ .

● من فضائل إسماعيل عليه السلام^(١)

● نبوة إسماعيل عليه السلام ورسالته

○ قال تعالى لنبية محمد ﷺ : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٢) [مريم : ٥٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ... ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ... ﴾ [البقرة : ١٣٦]

(١) قال ابن عثيمين - رحمه الله - (« شرح رياض الصالحين » ٧ / ١٢٣) : (.. إسماعيل أبو العرب ، وليس في ذريته رسول إلا رسول واحد ، ختم جميع الرسالات ، وبعث إلى الناس كافة من بعثته إلى يوم القيامة ، هذا الرسول الذي من بني إسماعيل هو محمد صلوات الله وسلامه عليه) .

(٢) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « التفسير » (٣ / ١٢١) :
 « في هذا دلالة على شرف إسماعيل على أخيه إسحاق ، لأنه إنما وصف بالنبوة فقط ، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وقد ثبت في « صحيح مسلم » : أن رسول الله ﷺ قال : « إن اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل » وذكر تمام الحديث ، فدل على صحة ما قلناه » . انتهى .

قلت : وهذه اللفظة ليست عند مسلم ، فليتبه !

● ثناء الله عز وجل

● على نبيه إسماعيل عليه السلام

○ قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

● وفاؤه وحلمه وصبره

○ قال تعالى مخبراً عن خليفه عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِقَلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿ [الصافات : ١٠١ ، ١٠٢] . وقد أكرمه الله سبحانه بأنه فداه بالذبح العظيم ، فقال : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠٧] .

● وصفه بصدق الوعد

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ (١) [مريم : ٥٤] .

(١) قال ابن الملقن - رحمه الله - (التوضيح ١٣١) : « قيل في قوله : ﴿ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾ إنه واعد رجلاً مكانه فأقام به يومه إلى الغد ينتظره » ١ هـ .

● ثناءات أخرى ●

○ قال تعالى : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم : ٥٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلِمُ أَنَّكُمْ أَعْلَمُ أَمَ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

» فذكر الله عنه كل صفة جميلة ، وجعله نبيه ورسوله ، وبراه من كل ما نسب إليه الجاهلون ، وأمر بأن يؤمن بما أنزل عليه عباده المؤمنون « (١) .

● فضل زمزم سقيا إسماعيل عليه السلام ●

○ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « يرحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكنت زمزم عينا معنا » (٢) .

ولزمزم من الفضائل الكثير والكثير (٣) . فمن ذلك : قول النبي ﷺ : «إنها طعام طعم ، وشفاء سقم» وهو حديث صحيح .

= قلت : والآية عامة في كل شيء ، والله أعلم . فیدخل فيها قوله لایبه : ﴿ سَجِدْنِي

إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] .

(١) «الحافظ ابن كثير» في «البداية» .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٦٢) .

(٣) قال ابن القيم - رحمه الله - « زاد المعاد » (٤ / ٣٩٢) :

« ماء زمزم سيد المياه ، وأشرفها ، وأجلها قدرًا ، وأحبها إلى النفوس ، وأغلاها ثمنًا ، وأنفسها عند الناس ، وهو هزيمة جبريل ، وسقيا الله إسماعيل » انتهى .

● تعويد الخليل ﷺ له ولأخيه ●

○ أخرج البخاري ^(١) وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال :
 « كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : إن أباكما كان يعوذ بهما
 إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل
 عين لامة » .

● وكان إسماعيل عليه السلام رامياً ●

○ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ على نفر من
 أسلم ينتضلون فقال رسول الله ﷺ : « ارموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان
 رامياً ، ارموا وأنا مع بني فلان » . قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ،
 فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم لا ترمون ؟ » . فقالوا يا رسول نرمي وأنت
 معهم ؟ قال : « ارموا وأنا معكم كلكم » ^(٢) .

● إسماعيل والخليل إبراهيم

● عليهما السلام في بناء البيت

○ عن ابن عباس : « أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل
 اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل -

(١) (برقم : ٣٣٧١) ، وأبو داود (٤٧٣٧) ، والترمذي (٢٠٦٠) ، والنسائي (٤ /

٧١١) ، وأحمد (١ / ٢٣٦) . وقد تقدم الحديث في فضائل الخليل إبراهيم عليه

السلام ، وكذا توضيح فقراته ، فانظرها هناك .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٣٧٣) .

وهي ترضعه - حتى وضعها عند البيت عند دُوْحَةٍ فوق زمزم في أعلى المسجد . وليس بمكة يومئذٍ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعها هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقًا ، فتبعته أم إسماعيل ، فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء ، فقالت له ذلك مرارًا ، وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَشْكُرُونَ ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها - وجعلت تنظر إليه بتلوى - أو قال - يتلبط - فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدًا ، فلم تر أحدًا ، فهبطت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدًا ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « فذلك سعي الناس بينهما » فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا ، فقالت : صه - تريد نفسها - ثم تسمعت أيضًا ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غَوَاثُ ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أو قال بجناحه - حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف . قال ابن عباس قال النبي ﷺ : « يرحم الله أم

إسماعيل لو تركت زمزم » - أو قال : « لو لم تغرف من الماء - لكانت زمزم ماءً معيناً » ، قال : فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن هاهنا بيت الله بيني هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم - أو أهل بيت من جرهم - مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً عاثفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جرياً أو جريين ، فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم بالماء ، فأقبلوا - قال : وأم إسماعيل عند الماء ، فقالوا : أتأذن لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : « نعم » ولكن لا حق لكم في الماء ، قالوا : « نعم » قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : « فالفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس » ، فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشبَّ الغلام وتعلم العربية منهم ، وأنفسهم وأعجبهم حين شب ، فلما أدرك زوجه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يتبغي لنا ، ثم سألها عن عيشهم ، وهيتهم فقالت : نحن بشر ، نحن في ضيق وشدة ، فشكت إليه ، قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له يغير عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عنك فأخبرته ، وسألني كيف عيشنا ، فأخبرته أنا في جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام ، ويقول غير

عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، الحقني بأهلك ، فطلقها ، وتزوج منهم أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد فلم يجده ، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت : خرج يبتغي لنا . فقال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيتهم ، فقالت : نحن بخير وسعة ، وأئنْتُ على الله ، فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم ، قال : ما شربكم ؟ قالت : الماء ، قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، قال النبي ﷺ : « ولم يكن لهم يومئذ حب ، ولو كان لهم دعا لهم فيه » ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة ، إلا لم يُوافقه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، ومريه يُثَبِّتُ عتبة بابي ، فلما جاء إسماعيل ، قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم ، أنا شيخ حسن الهيئة - وأئنْتُ عليه - فسألني عنك فأخبرته ، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير . قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ عليك السلام ، ويأمرُك أن تثبت عتبة بابك . قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة ، أمرني أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يُبْري نبلاً له تحت دوحَةٍ قريبة من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتاً - وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال : فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة . وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿ قَالَ : فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ ، وَهُمَا يَقُولَانِ : ﴿ رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ١ ﴾ .

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤) و (٢٣٦٨ ، ...) والنسائي في « الكبرى » (٥ / ١٠٠) ، وأحمد (١ / ٢٥٣ ، ...) .

قلت : وهذا الحديث قد سبق في فضائل الخليل والد إسماعيل عليهما السلام ، وإنما أعدته هنا لما فيه من تعلق واضح بشأن إسماعيل عليه السلام .

من فضائل إسحاق عليه السلام^(١)

أبوه نبي وابنه نبي وأخوه نبي

(١) وهو ابن إبراهيم النبي ﷺ ، وأخوه إسماعيل عليه السلام الذي سبق شيء من فضائله ، وهو والد النبي يعقوب عليه السلام ، الذي سنورد شيئاً من فضائله في الباب الذي يتلو هذا الباب إن شاء الله تعالى .

قال الحافظ ابن كثير في « البداية » (١ / ١٦٤) : « ذَكَرُ أولاد إبراهيم الخليل : أول من وُلِدَ له : إسماعيل من هاجر القبطية المصرية ، ثم ولد له إسحاق من سارة . . . » ثم عزاه لأبي القاسم السهيلي في « التعريف والإعلام » .

● من فضائل إسحاق بن إبراهيم

● الكريم ابن الكريم عليهما الصلاة والسلام

● تعويد إبراهيم الخليل عليه السلام

● له ولأخيه إسماعيل عليهما السلام

○ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول : « إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » (١) .

○ قال الخطابي : « كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق ، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق » (٢) .

● إسحاق كان غلاماً عليماً

○ قال تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَوَاعَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ

(١) حديث صحيح ، وقد سبق .

(٢) « الفتوح » (٦ / ٤٧٢) . وقال الحافظ :

قوله « وهامة » : بالتشديد واحدة الهوام ذوات السموم ، وقيل كل ما له سم يقتل ، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام ، وقيل المراد كل نسمة تهم بسوء .
قوله « ومن كل عين لامة » قال الخطابي :

المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخيل ، وقال ابن الأنباري : يعني أنها تأتي في وقت بعد وقت ، وقال لامة ليؤاخي لفظ هامة لكونه أخف على اللسان .

إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ (١) بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿

[الذاريات : ٢٤ - ٢٨] .

• نبوة إسحاق عليه السلام •

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا

إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ... ﴾ الآية [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤٩] .

○ وقال يعقوب لابنه يوسف : ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ

الْأَحَادِيثِ وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ (٢) وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٦] .

(١) فكان إسحاق هو المبشر به بتلك البشارة حينما جاءت رسل الله إلى أبيه إبراهيم الخليل ليخبروه خبر لوطا ، كما قال تعالى في الآية الأخرى حاكيا عن الملائكة قولهم : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَأَمْرُهُمْ قَاتِمَةٌ فَضَحِكَتْ قَبَشَّرْتَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ... ﴾ [هود : ٧٠ - ٧١] .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في « التفسير » (٢ / ٤٥٣) : ﴿ وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾ أي بإرسالك والإيحاء إليك . ولهذا قال ﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وهو الخليل ﴿ وَإِسْحَاقَ ﴾ ولده - وهو الذبيح في قول وليس بالرجيح - ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي هو أعلم حيث يجعل رسالته كما قال في الآية الأخرى « ١ » .

قلت : فأحد الأقوال أن النعمة على إسحاق إنما هي بالنبوة ، وعليه ؛ فإن ما ذكره ابن الجوزي في « زاد المسير » (٤ / ١٤٠) بأن نعمته على إسحاق هي أنه سبحانه نجاه من الذبح ، قول غير صحيح ، يخالف ما عليه من مذهب السلف من أن الذبيح إنما هو إسماعيل ، وقد سبق بيان ذلك في بابه ، والله الحمد والمنة .

○ وفي الصحيحين ^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : « أكرمهم أئقاهم » قالوا : يا نبي الله ليس عن هذا نسألك . قال : « فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله » ... الحديث .

● وصفُ النبي ﷺ له ولأبيه بالكرم ●

○ عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام » ^(٢) .

● ثناءات أخر على إسحاق عليه السلام ●

○ وصفه الله بالصلاح ، وبارك عليه وعلى آبيه إبراهيم عليهما السلام ، فقال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ^(١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات : ١١٢ ، ١١٣] .

وفي الآية نفسها أن إبراهيم عليه السلام بُشِّرَ بابنه إسحاق وأنه سيكون نبياً قبل أن يولد . وقد سمي بهذا الاسم قبل ولادته . على لسان رسل الله من الملائكة - فهي بشرى مباركة - قال تعالى : ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ

(١) البخاري (٣٣٧٤) وفي مواضع أخرى ، ومسلم (٢٣٧٨) ، والنسائي في « الكبرى » (١١٢٤٩ و ١١٢٥٠) ، وأحمد (٤٣١ / ٢) .

(٢) حديث صحيح . رواه البخاري في مواضع من صحيحه (٣٣٨٢ ، ٣٣٩٠ ، ٤٦٨٨) وأحمد (٩٦ / ٢) .

فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿١١﴾ [هود : ٧١] .

○ ووصفه الله سبحانه وتعالى بأنه قدوة يقتدى به في الأعمال الصالحة ،
ويقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، وكان عبداً لله ، وهذا هو معين التوحيد
الصابي ، أن يكون الإنسان عبداً لله ، فقال تعالى : ﴿ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَاكَ الزَّكَاةَ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٢ - ٧٣] .

○ وبراه الله سبحانه عما وصفه به الواصفون بأنه كان يهودياً أو نصرانياً بل
كان نبياً مسلماً ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٠] .

○ وأثنى الله عليه ثناء حسناً في ثلاث آيات متتابعات هو وأبوه إبراهيم
الخليل وولده يعقوب عليهم الصلاة والسلام فقال تعالى لنبيه ورسوله محمد
ﷺ : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥)
إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص :
٤٥ - ٤٧] .

(١) قال الحافظ ابن كثير في « القصص : ١٩٨ ط : دار بغداد » : « فقله تعالى :
﴿ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٧١] دليل على أنها تستمع بوجود
ولدها إسحاق ، ثم من بعده يولد ولده يعقوب ، أي يولد في حياتهما لتقر أعينهما به
كما قرت بولده ، ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من
دون سائر نسل إسحاق فائدة ، ولما عين بالذكر دل على أنهما يتمتعان به ويسران بولده
كما سرا بمولد أبيه من قبله » . انتهى .

قلت : وكلام الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فيه إشارة إلى أن إسحاق ليس هو الذبيح ،
بل الذبيح إسماعيل عليهما السلام ، فتنبه ولا تكن من الغافلين !! .

○ وأمر الله بالإيمان به كما أمر بالإيمان بسائر رسله عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، فقال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ [الأنعام : ٨٤] .

ثم قال بعدها : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴿ [الأنعام : ٨٩ - ٩٠] .

○ وقد كان الخليل إبراهيم عليه السلام يدعو لولديه إسماعيل وإسحاق بعد ما كان يحمد الله عز وجل فيقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿ [إبراهيم : ٣٩ ، ٤٠] .

من فضائل يعقوب عليه السلام^(١)

أبوه نبي وجدّه نبي وابنه نبي

﴿ وَإِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾

(١) وهو ابن نبي الله إسحاق عليه وعلى نبيينا وجميع أنبيائه الصلاة والسلام . وهو والد الكريم الصديق يوسف عليه السلام ، وهو إسرائيل كذلك كما ورد ذلك في كتاب الله عز وجل ، وقد ولد في زمن إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال ابن عثيمين - رحمه الله - في (« شرح رياض الصالحين » ٧ / ١٢٣) : « ويعقوب هو إسرائيل الذي من ذريته موسى وعيسى عليهما السلام ، وأكثر الأنبياء المذكورين في القرآن كلهم من ذرية إسرائيل » .

● البشارة بيعقوب

● بعد أبيه إسحاق قبل وجودهما

فقد جاءت البشرى للخليل إبراهيم عليه السلام هو وزوجه بأنها ستلد نبياً صالحاً يسمى (إسحاق) ثم ضوعفت هذه البشرى بأن سيكون لإسحاق عقبٌ من بعده ^(١) ، وهو يعقوب عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود : ٦٩ ، ٧١] .

● وتلك كرامة أخرى

لقد كان إبراهيم ﷺ شيخاً ، وامراته كانت عجوزاً حينما تلقيا البشارة بميلاد إسحاق ، ولذلك كانا مستغربين لهذه البشارة ، ولعل ذلك مرجعه إلى أن المعتاد في أحوال البشر أن امرأة في هذه السن لا تلد ، لأنها تكون قد بلغت سن اليأس ، أو يائسة من الحيض ، ومن هنا كان استغرابها : ﴿ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [هود : ٧٢] . ولكن الله سبحانه وتعالى هو الخالق ، وهو الذى ينشئ الأسباب ، وينشئ النتائج ، وليس بالضرورة أن تسبق النتائج أسباباً معينة ، وليس بالضرورة أن تأتى النتائج بعد أسباب

(١) « أخطاء يجب أن تُصحح في التاريخ - ذرية إبراهيم عليه السلام وبيت المقدس - »

(٨٠ ط. دار طيبة) .

معينة، فله الأمر من قبل ومن بعد .

ومن هنا كان الرد . رد الملائكة : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : ٣٠] . إن هذه البشارة قد جاءت إلى إبراهيم وزوجه سارة (١) ، في وقت كانا قد أسقطا من اعتبارهما إنجاب أى ولد ، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام للملائكة : ﴿ قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ۖ ﴾ [الحجر : ٥٤ - ٥٥] (٢) .

• نبوته ﷺ •

○ قال تعالى : في شأن خليفه إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤٩] .
○ وذكره الله في عدد من الأنبياء ثم قال : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] .

○ وقد تقدّم حديث أبي هريرة : « أكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله خليل الله ... الحديث » . وهو في الصحيحين .

○ وهو من المنصوص على الإيحاء إليهم ، فقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وهو من الأنبياء الذين أمرنا الله سبحانه بالإيمان بهم في قوله : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا

(١) والقول بأنها سارة قول كثير من العلماء إن لم يكن جميعهم .

(٢) « أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ - ذرية إبراهيم عليه السلام - » (٨٢ - ٨٣) .

أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة : ١٣٦﴾ .

○ هذا وقد كان يعقوب « إسرائيل » ^(١) على دين أبيه إسحاق ، وجده إبراهيم عليهم السلام ، وهو « الإسلام » ، فلم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا .

○ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٣٥) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣٦) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة : ١٣٠ - ١٣٣﴾ .

○ وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة : ١٣٥ - ١٣٦﴾ .

○ وما هو عليه السلام وصى بنيه حين حضرته الوفاة بما قد ذكره الله في كتابه حيث قال سبحانه : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِلَّهِ أَبَائُكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا

(١) وتسميته بـ « إسرائيل » واردة في كتاب الله عز وجل ، فقد قال تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنْزَلَ التَّوْرَةُ ﴾ [آل عمران : ٩٣] . وقد وردت جملة أحاديث عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه في بيان ذلك الشئ الذي حرّمه إسرائيل على نفسه ، وأسانيدنا فيها مقال ، لكن أمثل الأقوال في ذلك قول من قال إن الذي حرّمه إسرائيل على نفسه إنما هو اللحم (بما فيه من عروق) ، وانظر تفصيل ذلك في كتاب شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوى - حفظه الله - وهو « التسهيل لسورة آل عمران : ٢١٧ و ٢١٩ » فراجعه فإنه مهم .

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿ [البقرة : ١٣٣] .

○ ويراه الله سبحانه عما نسبته إليه اليهود والنصارى بأنه كان على ملتهم ،
فردَّ الله عليهم قولهم وكذبهم فقال تعالى : ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَلَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ [البقرة :
١٤٠] .

● وصفه رسولُ الله ﷺ بالكريم ●

○ أخرج البخاري ^(١) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي
ﷺ قال : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن
إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام » .

● وصفه بالصلاح ●

○ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾
[الأنبياء : ٧٢] .

● وكان ﷺ مهديًا ●

○ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ [الأنعام : ٨٤] .
○ وأثنى الله سبحانه وتعالى عليه هو وأبوه وجده في قوله : ﴿ وَاذْكُرْ
عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ
ذَكَرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ - ٤٧] .

(١) (برقم : ٣٣٩٠) و (٣٣٨٢ و ٤٦٨٨) وأحمد (٢ / ٩٦) .

○ وقد كانت له ﷺ عدة فراسات وتوسمات ، وصدق الله إذ يقول :
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] .

ومن تلك التوسمات التي تدل على فطته ، وفرط عقله وذكائه فيها :

○ قوله لولده يوسف - عليهما السلام - : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم ﴾ [يوسف : ٥ و ٦] .

○ ومن ذلك قوله لبنيه - حينما جاؤا ليلاً وقد جاؤوه بقميص يوسف ملطخاً بالدم الكذب - قال لهم : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُ أَنْفُسُكُمُ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ^(١) ﴾ [يوسف : ١٨] .

ولما أخذ يوسف أخاه حينما جاؤا للميرة ، جاء إخوته إلى أبيهم معتذرين ، فقال لهم مقالة الواثق بموعد الله وفضله ورحمته : ﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف : ٨٣] .

○ ثم قال : ﴿ يَا بُنَيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

ولما أرسل يوسف قميصه ، قال يعقوب : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف : ٩٦] .

(١) قال السعدي - رحمه الله - : « أي زينت لكم أنفسكم أمراً قبيحاً في التفريق بيني وبينه ، لأنه رأى من القرائن والأحوال ومن رؤيا يوسف ، التي قصها عليه ، ما دله على ما قال » .

ثم قال يعقوب لأولاده : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) [يوسف : ٩٦] .

وهكذا كل الأنبياء أعطاهم الله من الفراسة ، وكمال العقل ورجاحته ، وفرط الذكاء وقوته ، ما لم يعطاه أحد ، عليهم جميعاً من الله الصلاة وأتم التسليم .

● صبره وثقته في الله ●

○ شاء الله وقدر أن يتلى عباده المؤمنين ، كل بحسب إيمانه وقربه من ربه سبحانه ، وليس ذلك انتقاماً من الله لهم ، بل هو رفعة لدرجاتهم ، وخطأ لخطاياهم ، أما الكافرين فهي انتقاماً من العزيز الجبار لهم . فشاء الله سبحانه ، ومشيتته نافذة أن يتلى عبده ونبيه يعقوب عليه السلام بشتى الابتلاءات ، « فذهب بصره ، واشتد روعه ، وألقى ولده في الحب ، ولا يدرى عنه شيئاً ، وأخرج ولده - يوسف - من الحب ، ودخل قصر العزيز إلى أن شب وترعرع ، ثم راودته المرأة عن نفسها فأبى وعصمه الله ، ثم دخل السجن فلبث فيه بضع سنين ، ثم أخرج من السجن وكان على خزائن الأرض ،

(١) قال الجليل حفظه الله (*) : « وقوله تعالى عن قول يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه : ﴿ ... قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٩٦] . وذلك بعد أن جاء البشير بقميص يوسف عليه السلام ، فازند البصر إلى يعقوب عليه السلام ، وأخبرهم أنه يعلم من لطف الله سبحانه ورحمته ما يدفع عنه اليأس ويثمر الرجاء . وهذا الأثر العظيم من آثار علم يعقوب عليه السلام بأسماء الله عزوجل ، وصفاته ، مما لم يصل إليه أبناؤه الذين استكروا عليه أمله في رجوع يوسف عليه السلام » .

(*) « رسالة : فيهداهم اقتله » (ص ٥٠) .

ومع طول هذا الوقت كله قلب يعقوب متعلق به ، ويتقطع حزناً وشفقة عليه ، ويقول لبيه : ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٧] ، ^(١) . فصبر واحتسب ، وكان قوى الثقة في الله ، شديد الصلة به ، عظيم الأمل فيه ، يعلم أن مع العسر يسراً ، وبعد الضيق الفرج والمخرج ، والنصر لمن تمسك بالصبر ، فبعد تلك السنين الطويلة والأعمار المديدة رجع إليه ولده ، وأنعم الله عليه وأكرم ، وخرّوا له سجداً ، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمين .

(١) (د فقه الدعاء « لشيخنا مصطفى العدوي) (ص ٣٥ - ٣٦ بتصرف يسير) .

من فضائل يوسف عليه السلام^(١)

الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم

كما قال الرسول ﷺ

وعرض سريع لسيرته المباركة

(١) وهو ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله إسحاق ابن نبي الله إبراهيم عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، فهو نبي وأبوه نبي وجدته نبي وجد أبيه نبي وهو الخليل ﷺ، وقد سميت سورة بأكملها في الكتاب العزيز باسمه الكريم . حتى خصت تلك السورة بأنها أحسن القصص في القرآن من بين سائر الأقسام ، وذلك لأنه لا يوجد في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم والمواعظ والآداب ما تتضمن هذه القصة ، وقيل غير ذلك . قلت : وقد ذكر اسم يوسف في ثلاث سور من القرآن ، مرة في « الأنعام » (٨٤) ، ومرة في سورة « غافر » (٣٤) ، وجاءت سورة يوسف ، وأكثرت من ذكره وبيان قصته وسيرته ما لم تحمله أى سورة أخرى لنبي آخر .

قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في « منهج الانبياء » (*) : « أنزل الله في شأنه سورة طويلة تقص لنا حياته الكريمة ، ومراحلها من طفولته إلى موته ، وكيف تقلبت به الأحوال ، وما واجه من صعاب ، فتلقاها بقوة النبوة ، وصبرها ، وحكمتها ، وحلمها » .

● قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى ^(١) - ●

« وقد جمع يوسف عليه السلام مكارم الأخلاق ، مع شرف النبوة ، مع شرف النسب ، وكونه نبياً ابن ثلاثة أنبياء متناسلين ، أحدهم خليل الله عليه السلام وانضم إليه شرف علم الرؤيا ، وتمكنه فيه ، ورياسة الدنيا وملكها بالسيرة الجميلة ، وحياطته للرعية ، وعموم نفعه إياهم ، وشفقته عليهم ، وإنقاذه إياهم من تلك السنين ، والله أعلم » انتهى .

(١) (« شرح صحيح مسلم » ١٥ / ١٣٤) .

● من فضائل يوسف عليه السلام ●

● نبوته ●

○ ذكره الله مع عدد من أنبيائه ورسله مثبِّتاً عليهم فقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٣ - ٨٤ ، ٨٩ - ٩٠] .

قال صاحب المنار رحمه الله (١) : « فمعنى الجملة على هذا : أولئك الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرت أسماؤهم في الآيات المتلوة آنفاً ، والموصوفون في الآية الأخيرة بإيتاء الله إياهم الكتاب والحكم والنبوَّة ، هم الذين هداهم الله تعالى الهداية الكاملة ، فبهداهم - دون ما يغايره ويخالفه من أعمال غيرهم ، وهفوات بعضهم - اقتد أيها الرسول فيما يتناوله كسبك وعملك ، مما بعثت به من تبليغ الدعوة ، وإقامة الحجَّة ، والصبر على التكذيب والجحود ، وإيذاء أهل العناد والجمود ، ومقلدة الآباء والجدود ، وإعطاء كل حال حقها من مكارم الأخلاق ، وأحسن الأعمال ، كالصبر والشكر ، والشجاعة والحلم ، والإيثار والزهد ، والسخاء والبذل ، والحكم بالعدل، إلخ » .

(١) « تفسير المنار » (آية : ٩١ من سورة الأنعام) (٧ / ٥٩٧ دار المعرفة) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ ^(١) بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ [غافر : ٣٤] .

○ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ يعنى : أهل مصر . قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى عليه الصلاة والسلام ، وهو يوسف عليه السلام ، كان عزيز أهل مصر ، وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط ، فما أطاعوه تلك الطاعة ، إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوى ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ أى يشتم فقلتم طامعين ﴿ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ وذلك لكفرهم وتكذيبهم ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ أى : كحالكم هذا يكون حال من يضلله الله لإسرافه في أفعاله ، ، وارتباب قلبه . ا . ا . هـ .

« وهذا هو وصفهم الحقيقى ، الذى وصفوا به موسى ، ظلما وعلوا فهم المسرفون ، بتجاوزهم الحق ، وعدولهم عنه إلى الضلال ، وهم الكذبة ، حيث نسبوا ذلك إلى الله وكذبوا رسله » ^(٢) .

(١) وهذا يدل على أن يوسف كان قبل موسى عليهما السلام ، لسياق الآيات الكريمات .

(٢) من كلام الشيخ السعدى - رحمه الله تعالى - في « تفسيره » .

● كرمه ●

فقد كان يوسف عليه السلام من أكرم الناس بشهادته خاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ .

وهذه منقبة عظمى لنبى الله يوسف ﷺ .

○ ففي « الصحيحين » ^(١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : « أكرمهم أتقاهم » . قالوا : يا نبى الله ، ليس عن هذا نسألك ، قال : « فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله » . قالوا : ليس عن هذا نسألك . قال : « أفمن معادن العرب ^(٢) تسألوننى ؟ » قالوا : نعم . قال : « فخيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام إذا فقهوا » .

● حسنه ●

○ قال تعالى - حاكياً عن النسوة وحالهم حين رأوا نبى الله يوسف ﷺ - : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف : ٣١] .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » ^(٣) في حديث الإسراء من حديث

(١) خ (٣٣٧٤) وفي مواضع أخرى ، ومسلم (٢٣٧٨) ، وأحمد (٤٣١ / ٢) .
والنسائي في « الكبرى » (١١٢٤٩ - ١١٢٥٠) .

(٢) معادن العرب : أى أصولهم التى يُنسبون إليها ، ويتفاخرون بها . « الفتح » (٦ / ٤٧٧) .

(٣) (برقم : ١٦٢) (ص ١٤٥ محمد فزاد) .

أنس بن مالك رضى الله عنه مرفوعاً وفيه : « ... ففتح لنا فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب ودعالي بخير » .

وفي رواية لأحمد ^(١) وغيره : « أعطى يوسف عليه السلام شطر الحسن » - زاد بعضهم - : « وأمه » . وأخرجه أبو يعلى في « مسنده » (٣٣٧٣) .

(١) أخرجه أحمد (٢٨٦ / ٣) ، والحاكم في « المستدرک » (٥٧٠ / ٢) وابن جرير في « تفسيره » (٢٠٥ / ٧) (١٩٢٣٦) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٥٦٥ / ١١) وابن عدى في الكامل (٣٨٥ / ٥) من طرق عن :

حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعاً به . وإسناده صحيح . قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي . قلت : وراجع « الميزان » (٨١ / ٣) للإمام الذهبي - رحمه الله - ففيه إشارة إلى إعلاله ، من ناحية أن بعض الرواة أوقفوه ، وانظر كلام ابن عدى ، وراجع « الصحيحة » (٤٧٠ / ٣) (١٤٨١) .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - كما في « القصص ص ٧٣ ط دار بغداد » : قال بعض العلماء في قوله عليه السلام : « فمررت بيوسف ، وإذا هو قد أعطى شطر الحسن » قالوا : معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام ، وهذا مناسب ، فإن الله خلق آدم وصوره بيده الكريمه ، ونفخ فيه من روحه ، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشياء . انتهى .

قال السهيلي وغيره من الأئمة ^(١) : « معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام ، لأن الله تعالى خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، فكان في غاية نهايات الحسن البشرى ، ولهذا يدخل أهل الجنة الجنة ، على طول آدم وحسنه ، ويوسف كان على النصف من حسن آدم ، ولم يكن بينهما أحسن منهما ، كما أنه لم تكن أنثى بعد حواء أشبه بها من سارة امرأة الخليل عليه السلام » . انتهى .

قلت : ومجرد الحسن لا يعنى به تفضيله بالكلية على غيره من إخوانه من النبيين ، ولكنها منه ، وزيادة فضل من الرحمن لعبده المطيع أو سواه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى ^(٢) - : « وليس في دين الله محبة أحدٍ لحسنه قط ، فإن مجرد =

(١) « القصص للحافظ ابن كثير ص ٢٨٠ » .

(٢) « الاستقامة » (١ / ٣٤٩) .

● صبره ●

فثمة أمور صبر فيها نبي الله يوسف عليه السلام ، وابتلاءات وفقه الله للثبات عندها ، وللخلاص منها ، إذ هي عاقبة الصدق والإخلاص .
وكان من تلك الأمور :

(١)

● التدبيرُ في قتله ^(١)

ثم العزم على إلقائه في غيابات الحب ●

○ قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (٧) إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين (٨) اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين (٩) قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الحب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين (١٠) قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإننا له لنأصحبون (١١) أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإننا له لحافظون (١٢) قال إني ليعزني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون (١٣) قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون (١٤) فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الحب وأوحينا إليه نسبتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴿ [يوسف : ٧ - ١٥] .

= الحسن لا يثيب الله عليه ولا يعاقب ، ولو كان كذلك كان يوسف عليه السلام لمجرد حسنه ، أفضل من غيره من الأنبياء لحسنه ، وإذا استوى شخصان في الأعمال الصالحة ، وكان أحدهما أحسن صورة ، وأحسن صوتاً ، كانا عند الله سواء ، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم ... إلخ .

(١) وكان الداعي على ارتكاب ذلك المحظور ، وتلك الكبيرة ، إنما هو الحسد من الإخوان ، ذلك الداء العضال ، الذي يذهب بالحسنات ، ويكثر الخطيئات والسيئات ، ويحمل الشخص على عدم الإيمان والرضا بالأقدار ، وعلى الاعتراض لها .

(٢)

● مراودة امرأة

● العزيز له ، والتهديد له بالسجن

○ قال تعالى : ﴿ وَرَاودَتْهُ الْيَتِيمَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٢٣ - ٢٥] .

○ يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى^(١) - : (. . . البلاء بمخالفة دواعي النفس والطبع من أشد البلاء ، فإنه لا يصبر عليه إلا الصديقون ، وأما البلاء الذى يجري على العبد بغير اختياره كالمرض والجوع والعطش ونحوها ، فالصبر عليه لا يتوقف على الإيمان ، بل يصبر عليه البر والفاجر ، ولا سيما إذا علم أنه لا معول له إلا الصبر ، فإنه لم يصبر اختياراً . صبراً اضطراراً ، ولهذا كان بين ابتلاء يوسف الصديق بما فعل به إخوته من الأذى والإلقاء في الحبس ، وبيعه العبيد ، والتفريق بينه وبين أبيه ، وابتلاؤه بمراودة المرأة وهو شاب عزب غريب ، بمنزلة العبد لها ، وهى الداعية إلى ذلك ، فرق عظيم لا يعرفه إلا من عرف مراتب البلاء .

فإن الشباب داع إلى الشهوة ، والشباب قد يستحي من أهله ، ومعارفه ، من قضاء وطره ، فإذا صار في دار الغربة زال ذلك الاستحياء والاحتشام ، وإذا كان عزباً كان أشد لشهوته ، وإذا كانت المرأة هى الطالبة كان أشد ،

(١) في « طريق الهجرتين » (ص ٢٤٩) .

وإن كانب جميلة كان أعظم ، فإن كانت ذات منصب كان أقوى في الشهوة ، فإن كان ذلك في دارها وتحت حكمها بحيث لا يخاف الفضيحة ولا الشهرة كان أبلغ ، فإن استوثقت بتغليق الأبواب والاحتفاظ من الداخل كان أقوى أيضاً للطلب ، فإن كان الرجل كمملوكها وهي الحاكمة عليه الأمرة الناهية كان أبلغ في الداعى ، فإذا كانت المرأة شديدة العشق والمحبة للرجل قد امتلأ قلبها من حبه فهذا الابتلاء الذى صبر معه مثل الكريم ابن الكريم ابن الكريم صلات الله عليهم أجمعين . ولا ريب أن هذا الابتلاء أعظم من الابتلاء الأول ، بل هو من جنس ابتلاء الخليل بذبح ولده . إذ كلاهما ابتلاء بمخالفة الطبع ودواعى النفس والشهوة ومفارقة حكم طبعه ، وهذا بخلاف البلوى التى أصابت ذا النون والتى أصابت أيوب (١) .

(٣)

● صبره على طول مدته في السجن ●

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٠] .

○ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يرحم الله لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ، ثم أتاني الداعى لأجبتة » (٢) .

(١) ونحو ذلك نقله عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - كما في « مدارج السالكين » (٢ / ١٥٦) (مستفاد من رسالة د. عبد العزيز الجليل بعنوان « فبهدهم اقتده ») (ص ١٠٥ ، ١٠٦) .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٣٨٧) وأيضاً (٣٣٧٥) . ورواه مسلم مختصراً على الفقرة الأولى (رقم : ١٥٣) .

وتأمل ذلك الصبر البالغ ، وهذه الإرادة الحديدية التي تجلت في يوسف ، يطلبه الملك من السجن لحاجته إليه ، ومعنى ذلك أن مدة المحنة قد انتهت ، وأذنت بالخروج ، وكان المنتظر أن يتلقى يوسف ذلك الأمر بفارغ الصبر ، فيهرول إلى الخروج ، ولكن يوسف الصديق ، يوسف المُعَدُّ لأن يكون رسولا ، يوسف الذى امتحن بامرأة العزيز ، وارودته عن نفسه ، فقال لها : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف : ٢٣] . فحفظ لرب البيت إحسانه ، ولمولاه وخالقه فضله عليه ، يوسف صاحب هذا الخلق المتين لم يكن همه أن يخرج من السجن فحسب ، وإنما همه أن يخرج ظافراً منتصراً ، همه أن يخرج من هذه الفتنة كالإبريز الخالص ، وأن يظهر للجماهير أنه قدوة حسنة ، ومثال صالح في الخلق وحسن السيرة .

لو تصور الإنسان ذلك كله لعلم مقدار التضحية التي ضحى بها يوسف الصديق في رده رسول الملك ، وقوله له : ﴿ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف : ٥٠] . ومعنى ذلك أنه لا يريد أن يخرج من السجن إلا حيث ثبتت براءته ، وعلم الناس جميعاً أن صحيفته

= قال النووي رحمه الله : هذا ثناء على يوسف ﷺ ، وبيان لصبره وتأنيه ، والمراد بالداعي رسول الملك الذي أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال ﴿ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف : ٥٠] . فلم يخرج يوسف ﷺ مبادراً إلى الراحة ، ومفارقة السجن الطويل بل تثبت وتوقر وراسل الملك في كشف أمره الذى سجن بسببه ولتظهر براءته عند الملك وغيره ، ويلقاه مع اعتقاد براءته عما نسب إليه ، ولا خجل منه يوسف ولا غيره ، فبين نبينا ﷺ فضيلة يوسف في هذا ، وقوة نفسه ، وكمال صبره ، وحسن نظره ، وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله نراضعاً وإيثاراً للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف ﷺ ، والله أعلم .

بيضاء نقية ، لم تتدنس بشئ من الغبار ، وذلك حزم وعزم من يوسف يحفظه له التاريخ . وحسبه أن رسول الله ﷺ يقول فيه : « لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي » . وهي شهادة لها قيمتها ، ومنقبة ما أعظمها من منقبة ... (١) .

● عرض سريع لسيرة

هذا النبي الكريم عليه وعلى

جميع أنبياء الله ورسله الصلاة والسلام (٢) ●

○ سيرته من أحسن السير ، بل هي أحسنها على الإطلاق (٣) ، كما قال تعالى لنبية محمد ﷺ : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا

(١) قاله الشيخ محمد أحمد العدوي - رحمه الله تعالى - في كتابه « دعوة الرسل إلى الله تعالى » (ص ١٢٣) .

(٢) استخلصنا أغلب ما ورد في سيرته ، وما جرى له مع إخوته إلى غير ذلك ، من الكتاب العزيز ، مسترشدين في الحديث بكلام الحافظ ابن كثير في « بدايته » و « تفسيره » ومن كلام غيره من المفسرين رحمهم الله تعالى ، مع ذكر يسير من الفقه الوارد في تلکم السيرة المباركة . والله المستعان .

(٣) فليس هناك أحسن منها في القرآن . قال السعدى رحمه الله تعالى (١) : « واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب ، ثم ذكر هذه القصة ، وبسطها ، وذكر ما جرى فيها ، فعلم بذلك أنها قصة تامة ، كاملة حسنة ، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها ، بما يذكر في الإسرائيليات ، التي لا يعرف لها سند ولا ناقل ، بل أغلبها كذب ، وهو مستدرك على الله ، ومكمل لشئ ؛ يزعم أنه ناقص ، وحسبك بأمر ينتهى إلى هذا الحد قبحاً ، فإن تضاعيف هذه السورة ، قد ملئت في كثير من =

(١) « تيسير الكريم الرحمن » (سورة يوسف : ٤) .

الْقُرْآنَ ﴿ [يوسف : ٣] .

○ لما فيها من العبر والمواعظ كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف : ٧] .

○○ وقد ورد في تضاعيفها وثناياها جملة مباركة من المبشرات في رفعة يوسف وإكرامه ، واجتباء الله له واصطفائه ، وإتمام نعمته عليه ، بالعلم ، والعمل ، والتمكين في الأرض ، وأن هذه النعمة ستشمل آل يعقوب ، الذين سجدوا له سجوداً يحمل التعظيم ، والتحية ، والتكريم لهذا النبي الكريم يوسف بن يعقوب صلى الله عليه وعلى آبيه وعلى جميع أنبيائه وسلم .

○ فيرى يوسف ﷺ رؤيا في صغره كانت مقدمة لما وصل إليه يوسف من الارتفاع في الدنيا والآخرة . كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ^(١) وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] .

○ فحملت هذه الرؤيا معالم عظيمة خشى يعقوب ﷺ أن يقص يوسف رؤياه على إخوته ، خوف الحسد ، والتدبير له وإهلاكه ، ومن ثم حذره ونهاه عن ذلك ، وأورد له في خضم هذه النصيحة الغالية بشائر ومناقب

= التفاسير ، من الأكاذيب ، والأمور الشنيعة المناقضة ، لما قصه الله تعالى بشئ كثير . فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه ، ويدع ما سوى ذلك ، مما ليس عن النبي ﷺ ينقل .

(١) وفي تسمية الأحد عشر كوكباً لا يثبت الحديث الوارد فيها ، ففيه الحكم بن ظهير الفزارى ضعفه الأئمة ، وتركه الاكثرون ، كما قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى . قلت : وفيه علل أخرى .

وقد أولت هذه الرؤيا بأن الكواكب هم إخوة يوسف والشمس هي أمه والقمر أبوه .

عظيمة فقال يعقوب لولده يوسف عليهما الصلاة والسلام : ﴿ وَكَذَلِكَ
يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا
عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) [يوسف : ٦] .

○ فنعمة الله على العبد ، تستدر على من حوله من أقاربه ، ويحصل
لهم من الخير العظيم بسببه .

○ ولكن قدر الله أمراً وقضاه أن يتلى عبده وصفيه يوسف عليه السلام ،
فدبر له إخوته وحسدوه ، فأرادوا قتله أو إبعاده عن أبيه حتى يتمكنوا من
قلب أبيهم ، فيصفوا لهم ، يقبل عليهم وحدهم بالشفقة والمحبة ، فعزموا
على هذا الذنب الشنيع ، وهذا الأمر الفظيع المرير ، ألا وهو قتل يوسف
عليه السلام .

ولكن شاء الله وقدر أن تُقذف بعض الرحمة إلى قلب أحدهم فنهاهم
عن قتله ، وأمرهم بإلقائه في غيابات الحب المظلمة الدامس ظلامها .

قال السعدي - رحمه الله تعالى - : « وهذا القائل أحسنهم رأياً في
يوسف ، وأبرهم ، وأتقاهم في هذه القضية ، فإن بعض الشر أهون من
بعض ، والضرر الخفيف يدفع به الضرر الثقيل » . ا . هـ .

(١) قال السعدي - رحمه الله تعالى - : « أى : يصطفيك ويختارك بما من به عليك من
الأوصاف الجليلة ، والمناقب الجميلة ، ويعلمك من تأويل الأحاديث أى تعبير الرؤيا ،
وبيان ما تزول له الأحاديث الصادقة فالكتب السماوية ونحوها ، ويتم نعمته عليك في
الدنيا والآخرة بأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة كما أتمها على أبريك من
قبل إبراهيم وإسحاق حيث أنعم الله عليهما بنعم عظيمة واسعة ، دينية ودنيوية إن
ربك عليهما حكيم » . ا . هـ .

○ قال تعالى : ﴿ قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [يوسف : ١٠] .

فذهبوا به منفذين ما تواطؤوا عليه بعد ما أذن لهم أبوهم بخروجه معهم ، وكان قبل ذلك يشق عليه مفارقتة لحظة واحدة ، ولكنهم مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله معهم ، فلم يجد بداً من إرساله .

○ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ [يوسف : ١٥] .

○ حينئذ تأمل هذه البشارة الربانية ، والرحمة والرأفة من رب البرية سبحانه وتعالى ، فقد أنس وحشته ، وأزال رهبته وروعته .

○ قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف : ١٥] .

أى لطف بعد هذا اللطف ؟! وأى بشارة له أعظم من ذلك ؟!! وأى طمأنة بعد ذلك ؟!

○ وقد أجمل الوحي هنا : هل هو وحي بواسطة جبريل أم وحي إلهام ؟ كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص : ٢٧] .

ذهب القرطبي - رحمه الله - إلى أنه وحي حقيقى بواسطة جبريل ، وهذا يدل على نبوة يوسف في ذلك الوقت .

وفي الآية إشارة ليوسف بأنه سينجو مما وقع فيه ، وأن الله سيجمعه

بأهله وإخوته ، وسيخبرهم بأمرهم هذا الذي فعلوه معه ^(١) .

○ وقد أنجز الله ذلك الوعد في قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف : ٨٩] .

أما قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ، فذلك في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨] .

○ فمكث يوسف في الجب فجاءت سيارة - قافلة مسافرين - فأرسل مُقَدِّمُهُمْ دُلُوهُ ليملاؤه ، فأخرجه وقد تعلق فيه يوسف عليه السلام ، وخرج معه فلما رآه .

﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ [يوسف : ١٩] .

فاستبشروا به ، ثم باعوه ^(٢) ، فاشتراه عزيز مصر ، وأعجب به ، فقد

(١) هذا قول ، وقول آخر أن الضمير يرجع ليعقوب وأن الله أوحى إليه ما فعلوه بيوسف وهم لا يشعرون .

(٢) والذين باعوه على قول الأكثرين هم إخوته ، وقيل : بل السيارة ، والأول أقوى لأن قوله : ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف : ٢٠] ، إنما أراد إخوته ، لأن السيارة استبشروا به ، ولو كانوا فيه من الزاهدين لما اشتروه . ورجع شيخنا مصطفى حفظه الله القول الثاني ، ورداً على الوجه المذكور بما حاصله أنه قد يقال إن الله هو الذي ردهم فيه - ردهم في جماله ، وزهدهم في بيعه - ، لأن إخوته قد رموه وانصرفوا فرجع الضمير إلى الذين باعوه وهم السيارة .

قال محمد أحمد العدوي - رحمه الله - في « دعوة الرسل إلى الله تعالى » (ص ٩٨) : « ولقد كان زهد السيارة في يوسف على جماله ، وحسن طلعته ، لحكمة عالية ، وهي بيعهم له من عزيز مصر ، وكان من أمره مع ذلك العزيز ما كان ، مما سيشرحه القرآن الكريم في الآيات الآتية ، ورب مزهود فيه عند قوم ، مرغوب فيه عند آخرين ، وقد =

كان يوسف عليه السلام وسيماً جميلاً ؛ ووصى العزيز امرأته عليه .

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [يوسف : ٢١] .

○ وكان هذا الإكرام من عزيز مصر بمثابة التقدمة لتمكينه في الأرض - أعنى أرض مصر - وهذا أمر الله تعالى وقضائه .

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

○ وهذا ثناء من الله لعبده يوسف عليه السلام بأن جعله نبياً رسولاً ، وعالماً ربانياً ، فقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

○ ثم تأتي بعد ذلك مراودة امرأة العزيز ليوسف عليه السلام ، واتهامه بعد ذلك ؛ فنجاه الله سبحانه وتعالى من هذا كله ونزله عن الفاحشة ،

= يعثر الطفل أو الجاهل على الدرة فيظنها حجراً عادياً ، فيلقيها إلى من يعرف قيمتها ، ويعلم مقدارها . انتهى .

(١) وقد ورد في هذا الباب أثر عن ابن مسعود رضى الله عنه وفيه أنه قال : « أفرس الناس ثلاثة : عزيز مصر حين قال لامرأته : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ ، وابنة شعيب حيث قالت لآبيها : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦] ، وأبو بكر الصديق حين استخلف عمر » . وفي سنده علل ، وراجع النسخة المحققة لـ « القصص للمحافظ ابن كثير - رحمه الله » - للأخ السيد العربي وفقه الله (٢٧٥) .

وحماه عنها ، وصانه منها ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] .

○ ففصر عن معصية الله ، وكف عنها ، وقدم مراد الله على مراد النفس الأماره ، ولهذا : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [يوسف : ٢٣] .

○ حيثئذ كانت العاقبة له ، وظهر صدق يوسف ، بعد ما رمته امرأة العزيز في طهره وعفاه وشهد شاهد من أهلها . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف : ٢٨ ، ٢٩] .

○ قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - (١) : « يذكر تعالى ما كان من مراودة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه ، وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه ، وهى في غاية الجمال والمال ، والمنصب والشباب ، وكيف غلقت الأبواب عليها وعليه . وتهيات له وتصنعت ، ولبست أحسن ثيابها ، وأفخر لباسها ، وهى مع هذا كله امرأة العزيز . . . وهذا كله مع أن يوسف عليه السلام شاب بديع الجمال والبهاء ، إلا أنه نبي من سلاله الأنبياء ، فعصمه ربه عن الفحشاء ، وحماه من مكر النساء ، فهو سيد السادة النجباء ، السبعة الأتقياء ، المذكورين في الصحيحين عن خاتم الأنبياء في قوله عليه الصلاة والسلام من رب الأرض والسماء : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ،

(١) في « البداية » .

ورجل معلق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله
اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله
ما أنفقت يمينه ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل دعت امرأة ذات منصب
وجمال فقال إنني أخاف الله .

○ ثم تعرض لابتناء آخر متعلق بنسوة في المدينة ، حينئذ دعا ربه قائلاً :
﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

فاستجاب الله له دعائه ، كما قال : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف : ٣٤] .

○ ثم تعرض لمحنة السجن ، فقد سجن ظلماً وعدواناً ﷺ ، ولكن
كما قال الحافظ ابن كثير : « هذا مما قدر الله له ، ومن جملة ما عصمه به ،
فإنه أبعد له عن معاشرتهم ومخالطتهم » .

○ فدخل السجن وكان من أمره ما كان . دعا فيه إلى توحيد الله
وعبادته ، وذم عبادة ما سوى الله عز وجل ، وصغر أمر الأوثان وحقرها ،
وضعف أمرها . وكان ﷺ عالماً بتأويل الرؤى ، فقد عبر للسجين ما قد
طلبوا منه تعبيره .

○ أما الرؤيا فكما قال تعالى : ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ
الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٣٦] .

○ وأما تعبيرها ، فقد قال لهما : ﴿ يَا صَاحِبِي السِّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي

رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ [يوسف : ٤١] .

○ كما قد خُصَّ يوسف ﷺ بعلم بعض الأمور الغيبية ، وذلك في قوله : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَارِيحِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [يوسف : ٢٧] . كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

فالله سبحانه وتعالى يظهر على من يشاء من غيبه ، ويؤيد رسله بذلك كما قال : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن : ٢٦ ، ٢٧] .

○ ثم ها هي رؤيا أخرى تُعرض عليه من قبل الملك ، دلَّهم أحد السجينين الذي كان مع يوسف عليه السلام . وكان قد أوصاه بأن يذكر أمره عند الملك ، وأنه سجن بغير جرم ، فنسى تلك الوصية ^(١) ، إلى حين جاء

(١) أما من رأى أن الضمير في قوله : ﴿ فَأَنسَاهُ ﴾ [يوسف : ٤٢] ، عائد على يوسف ، فقول ضعيف ، والصواب في ذلك أن الضمير يرجع إلى الساقى ، فأنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف لربه يعنى سيده ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف : ٤٥] . وهذا ما رجحه شيخ الإسلام في « الفتاوى » (١١٢ / ١٥) حيث قال عن يوسف : « بل كان ذاكرًا لربه » وهو ما رجحه أيضًا تلميذه الحافظ ابن كثير وصوبه .

أما حديث أبي هريرة مرفوعًا : « رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها : ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف : ٤٢] ، ما لبث في السجن ما لبث - أو - طول ما لبث » في رواية أخرى ، فلا يصح عن رسول الله ﷺ ، وقد حكم بנקارة ذلك الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « البداية » وقد ورد نحو ذلك عن ابن عباس عند ابن جرير =

الوقت الذى تذكر فيه أمر يوسف ، وما كان أوصاه فيه من التذكار ، فلما سمع رؤيا الملك قال : ﴿ أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف : ٤٥] .

أى فأرسلوني إلى يوسف فجاءه فقال : ﴿ يَوْسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِشُونَ ﴾ [يوسف : ٤٦ - ٤٩] .

وهكذا عبر يوسف ﷺ لهم الرؤيا ، فكان ذلك سبباً للخروج يوسف ، وارتفاع شأنه وعلو قدره ، وإذا أراد الله شيئاً هياً له أسبابه . وأحاط الملك علماً بكمال علم يوسف عليه السلام ، وتمام عقله ، ورأيه السديد وفهمه ، حينئذ أمر بإحضاره ، ليكون من جملة خاصته . فلما جاءه الرسول أحب ألا يخرج حتى يتبين لكل أحد أنه حبس ظلماً وعدواناً ، وأنه برئ الساحة مما نسبوه إليه بهتاناً .

= وغيره ، وسنده معل . وقال الخافظ ابن كثير في « التفسير » (٢ / ٤٦٣) : « وهذا الحديث ضعيف جداً » .

قلت : ثم إن قوله ﴿ أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف : ٤٢] ، لا يتنافى التوكل ولا يتناقضه ، فليس فيه إلا مجرد إخبار الملك به . ليعلم حاله ليتبين الحق ، ويوسف كان من أثبت الناس . قاله ابن تيمية ، وانظر كلامه بعد ذلك . فتاوى (١٥ / ١١٤) . بل قال تلميذه البار ابن كثير رحمه الله في « البداية » : « وفي هذا دليل على جوار السعى في الأسباب ، ولا يتنافى في ذلك التوكل على رب الأرباب » .

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ٥٠ ﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاودْتُنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٥١ ﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ (١) وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ٥٢ ﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٠ - ٥٣] .

○ فحين ثبت للملك براءة يوسف ، ونزاهته ، وتحقق أمانته ، وفهم أيضاً صبره وجلده ، عظمت منزلته عنده ، وتيقن حسن خلاله ، حينئذ جعله من خاصته ، وأهل مشورته ، بل فوض إليه أمر مملكته .

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ [يوسف : ٥٤] . أى ذو مكانة ووجاهة .

فلما تمكن يوسف ﷺ من الولاية وسألها من الملك . قال تعالى : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٥٥] . وهذا طلباً للمصلحة العامة التى ستحصل على يديه ، فليس هذا من باب سؤال الإمارة المنهى عنها ، لأنه علم من حال القوم أنه لا أحد يقوم مقامه في الإصلاح ، وضبط الأشياء ، وتوصيل الفقراء حقوقهم مثله (٢) .

(١) صوب ابن كثير رحمه الله أن القائل هو امرأة العزيز فقط ، وقال : « وانتدب لنصره الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة » . ا . هـ . قلت : وانظر في ذلك الفتاوى (١٥ / ١٣٩) .

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في « الحسبة » (ص ٧) : « وكذلك يوسف الصديق كان نائباً لفرعون مصر - وهو وقومه مشركون - ، وفعل من العدل والخير ما =

وقد رأى القرطبي - رحمه الله تعالى - أن يوسف عليه السلام رأى ذلك فرضاً متعيناً عليه ، لأنه لم يكن هناك غيره ، قال : « وهو الأظهر والله أعلم » .

○ بهذه الأسباب والمقدمات المذكورة مكن الله ليوسف ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦) وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [يوسف : ٥٦ ، ٥٧] .

○ وكما قال بعض الشعراء : عند التناهي يكون الفرج ، فبعد الضيق والحبس والحصر ، بعد صبره على بلاء الله من إلقائه في الحب ، وبيعه عبداً ورقيقاً ، ومراودة امرأة العزيز له وصبره في ذلك مراقبة الله ، وابتغاء وجهه . آتاه الله مكانة عظيمة ، وجاهاً عريضاً ، ونعمة واسعة .

قال الشاعر :

أما في رسول الله يوسف أسوةً لمثلك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في الحبس برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك
وعند التناهي يكون الفرج ، وإن مع العسر يسراً ﴿ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٦] .

وقد قال بعضهم :

= قدر عليه ، ودعاهم إلى الإيمان بحسب الإمكان . (مستفاد من « منهج الأنبياء »
للشيخ ربيع بن هادي ص ٦٥) .

وراء مضيق الخوف متسعُ الأمنِ وأول مفروح به غاية الحزن
فلا تياس فالله مَلَكٌ يوسُفُ خزائنه بعد الخلاص من السجن

○ قال شيخنا مصطفى العدوي - حفظه الله تعالى : - فلا تخفى سيرة يوسف عليه السلام ، لا يخفى ما حلَّ به من البلاء والنكد صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن دائماً كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١٤٠] . وكما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح : ٦] . وكما قال سبحانه : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه : ١٣٢] .

فآلت مقاليد الأمور إلى يوسف عليه السلام ، فالله سبحانه وتعالى يُعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، يخفض ويرفع .

○ وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ » .

فالدنيا تُقبل وتُدبر ! والمناصب يتقلدها أقوام ثم تزول عنهم وتذهب ! والأموال يجمعها أناس ثم تذهب عنهم هي الأخرى ! وكان الأمر مع يوسف عليه السلام على النحو التالي : قال سبحانه : ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [يوسف : ٥٨] .

جاءوا ، وأتوا إليه من بلاد كنعان بعد أن أصابتهم المجاعات ، وضرب عليهم الجوع بخيامه ، فانطلقوا وقد حملوا معهم بعض البضاعات ، وانطلقوا راجين الرزق ، طامعين في الخبز ، طامعين في البر .

ولما سمعوا عن يوسف عليه السلام ، وسيرته العادلة ، وكرمه الزائد ، حملوا بضاعتهم ، وانطلقوا إلى يوسف عليه السلام في سنى المجاعة .

فدخلوا على يوسف عليه السلام ، وهو في أبهة الملك عليه الصلاة والسلام ، تُحيط به الحاشية ، ويقف أمامه الكبراء والعظماء ، كلُّ يرجوا فضله ، بعد فضل الله سبحانه وتعالى .

فجاء إخوة يوسف ، وهم أحد عشر رجلاً ، دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ، لا يتصورون ، ولا يتوقعون أبداً أنه يوسف عليه السلام ، فقد ألقوه منذ زمان بعيد في غيابات الحب ، ولم يدروا إلى أين ذهب . . ثم استطرد الشيخ متحدثاً في بقية فقه سيرة يوسف عليه السلام التي عرضتها الآيات الكريمة .

○ وقال الشيخ العدوى في كتابه « دعوة الرسل إلى الله تعالى » ^(١) :
« بعد أن أن مكن الله ليوسف في الأرض ، وأعطاه سلطة ونفوذاً ، وحلَّ بمصر ما حلَّ من القحط والمجاعة ، جاء إخوته يطلبون طعاماً ، فدخلوا عليه ، فعرفهم هو ، لأنه تركهم ، وهم كبار ، فلم يتغير فيهم شيء ، أما هم ، فأنكروه ولم يعرفوه ، لأنهم فارقوه ، وهو صغير ، ومن شأن الصغير أن يتغير بالكبر ، ولأن لباس الملك وعظمته من شأنها أن تلبس عليهم الأمور ، ومن شأنها أن تحول بين طالبي الحاجة وإخوة يوسف ، وبين الوالى كيوسف . . » إلخ ما قال رحمه الله تعالى .

○ ثم حكى الله تعالى ما دار بين نبي الله يوسف الكريم عليه السلام ، وبين

(١) (١٣٦ دار المعرفة) . وهو صاحب الرسالة المعروفة : « أصول في البدع والسنن » .

وقد توفي طيب الله ثراه .

إخوته ، وقد طلب منهم أخاهم الذي هو من أبيهم وهو شقيقه ، ثم شدد عليهم إن لم يأتوا به فإنه سيحرمهم من الطعام الذي سافروا من أجله ، وحضروا للحصول عليه .

ثم احتال ^(١) الكريم يوسف عليه السلام في أخذه منهم باتهامه بالسرقة ^(٢) ، وفي ذلك يقول سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ^(٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

وفي ذلك تنويه بشأن العلم والذكاء في يوسف عليه السلام .

فلما ذهبوا إلى أبيهم وأخبروه بالخبر ، كما قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ [يوسف : ٨١] .

ثم قال تعالى : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوسُفَ وَأَبِیضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ^(٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يَوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ^(٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٨٤ - ٨٦] .

أى : لست أشكو إليكم ، ولا إلى أحد من الناس ما أنا فيه ، إنما أشكوه إلى الله عز وجل ، وأعلم أن الله سيجعل لى ما أنا فيه فرجاً

(١) وهذه من الحيل المشروعة ، والمكائد التى يتوصل بها إلى الحقوق ، أما الحيل التى يتوصل بها إلى إسقاط واجب أو فعل محرم فممنوع .

(٢) قال ابن كثير رحمه الله : « وإنما فعل ما فعل عن أمر الله له في ذلك ، لأنه يترتب على هذا الأمر مصلحة عظيمة بعد ذلك ، من قدوم أبيه وقومه عليه ، ووفودهم إليه » .

(٣) أى في شريعة الملك وحكمه وسلطانه .

ومخرجاً^(١) وهذا من كمال حسنه الظن بربه سبحانه .

أعلم من رحمته وإحسانه ما لا تعلمون ، فأرجوا أن يأتيني الفرج من حيث لا أحسب^(٢) . أعلم أنه سيردهم على ، ويقر عيني بالإجماع بهم . ثم قال لهم محرصاً على تطلب يوسف وأخيه ، وأن يبحثوا عن أمرهما : ﴿ يَا بَنِي آدَمُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

فأخبر الله تعالى أنهم رجعوا إلى يوسف مرة أخرى ، وقدموا عليه ليسألوه الميرة ، والصدقة عليهم برد أخيه^(٣) إليهم .

فلما رأى ذلك منهم عطف عليهم ، وأخذته الشفقة لهم ، تعرف إليهم ،

(١) ابن كثير رحمه الله .

(٢) « دعوة الرسل » للعدوى أثابه الله ، وقال رحمه الله (ص ١٤٧) : « ولا ضير في أن يتألم نبي الله يعقوب لهذه الشدائد ، ويحزن الحزن العميق لتلك الأحداث ، لأن هذه طبع الإنسان واستعداده ، ويمتاز الصالحون بأنهم لا يغضبون ربهم في حزنهم ، ولا يخرجون به إلى ما لا يحسن ، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم ، وقال : « إن القلب يحزن ، والعين تدمع ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » . والأنبياء بشر يجرى عليهم ما يجرى على سائر الناس من الحزن والفرح ، والتألم للمصائب ، والاستبشار بالنعمة » .

(٣) قال شيخنا مصطفى العدوى حفظه الله : « ذكر جمهور المفسرين أن اسمه بنيامين ، فאלله أعلم بذلك » .

قلت (محمد) : والمراد بقولهم في الآية الكريمة ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ [يوسف : ٨٨] ، قيل : أى برد أخينا إلينا ، وقيل : تجوز عنا ، وقيل : تفضل علينا بما بين سعر الجياد والردي لقولهم ﴿ وَجِئْنَا بِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ﴾ أى قليلة وردية ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ ، فمعنى هذا الأخير : أغمض الطرف عن رداءة البضاعة أو قلتها ، وأعطنا حقنا ، وزدنا عليه صدقة منك علينا ، فقد مسنا وأهلنا الضر ، أى أصابنا الجوع والقحط وقلة الطعام .

وقال لهم بعد ما كشف وحسر لهم عن جبينه الشريف ^(١) ، وأظهره لهم : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ [يوسف : ٨٩] .

فلما خاطبهم بهذا الخطاب ، عرفوه في الحال والمآل ، فقال متعجبين كل العجب ، فقد ترددوا إليه مراراً عديدة ، ومع ذلك ما عرفوه .

○ قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَنْتَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف : ٩٠] .

فصرح لهم باسمه تعظيماً لما جرى عليه من ظلم إخوته كأنه قال : أنا الذى ظلمتمونى على أشنع الوجوه ، والله أوصلنى إلى أعظم المناصب ، أنا الاخ الذى قصدتم قتله ، ثم صرت إلى ما ترون !! أنا يوسف الذى صنعت مع ما صنعت ، وسلف من أمركم فيه ما فرطتم .

﴿ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾

ثم علل ذلك بقوله : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فيكافئه في الدنيا ، ويثيبه في الآخرة .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا نَالِلَهُ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف : ٩١] . اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى ، والصبر ، وسيرة المحسنين ، وإن شأننا أن كنا خاطئين ، قال الاموى : المخطئ من أراد الصواب ، فصار إلى غيره ، ومنه قولهم : المجتهد يخطئ ويصيب . والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي ؛ ويؤيده قول العزيز لامراته : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾

(١) وهذا من المحتمل ، وليس من اليقين والله أعلم .

[يوسف : ٢٩] . أى المتعمدين للإثم ^(١) .

قال تعالى : ﴿ قَالَ لَا تَقْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[يوسف : ٩٢] . أى لست أعاتبكم على ما كان منكم بعد يومكم هذا . ثم

الله يغفر لكم ، وذلك منتهى الكرم من نبي الله يوسف يعفو عنهم ، ثم

يدعو الله لهم ، ولا غرابة فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم

يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

○ قوله : ﴿ لَا تَقْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ فيها قراءتان في الوقف .

أما القراءة الأولى فيقرأ : ﴿ لَا تَقْرِبْ عَلَيْكُمْ ﴾ ثم يبدأ بقوله : ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ

لَكُمْ ﴾ . وهذه القراءة ضعفها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

أما الثانية فتقرأ جميعها : ﴿ لَا تَقْرِبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ذلك أن

المعنى المتعلق بهذه القراءة يختلف عن المعنى المتعلق بالقراءة الأولى .

فالأولى فيها الجزم بالمغفرة في اليوم ، وهذا لا يكون إلا عن وحى ،

والثانية فيها سؤال الله المغفرة .

قلت (محمد) : والآية قد تحتمل هذا ، وقد تحتمل هذا ، والله أعلم .

○ ثم أمرهم يوسف ﷺ بأن يذهبوا بقميصه ^(٢) ، فيضعوه على وجه

أبيه ، ليرجع إليه بصره ما كان قد ذهب ، بإذن الله ، وهذا من خوارق

العادات ، ودلائل النبوات ، وأكبر المعجزات .

(١) « دعوة الرسل » (ص ١٤٩) .

(٢) يذكرون في القميص روايات وخصائص ، وكل ما تعطيه الآية أنه قميص كان معروفاً

لنبي الله يعقوب فهو أمانة على أن صاحبه حى ، قاله العدوى رحمه الله .

○ ثم أمرهم بأن يحملوا أهلهم أجمعين إلى ديار مصر حيث هناك ﷺ ، إلى الخير والدعة ، وجمع الشمل بعد الفرقة على أكمل الوجوه ، وأعلى الأمور .

○ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ أي أشم رائحته ، وذلك من خوارق العادات لنبي الله يعقوب أن يدرك بحاسة الشم من مسافات ليس من شأنها أن يبلغ الشم إليها ^(١) .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يوسف : ٩٦ - ٩٨] .

فلما رجع بصره حين ألقى القميص على وجهه ، وبرأ من آثار الحزن ، وابيضت عيناه ، ورجعت إلى ما كانت ، تجهزوا للرحلة من بلادهم ، قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر وسكنائها .

○ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ (٢) وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا (٣) وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا

(١) وهذا من التوسم والفراسة ، أو نوع من المكاشفة يعطيها الله لمن شاء من عباده ، وقد بلغ النبي ﷺ خبر النجاشي لما مات ، ونعى رسول الله ﷺ ، زيداً وجعفرأ وابن رواحة لما قُتلوا في غزوة مؤتة ، وعمر رضى الله عنه لما رأى جيش المسلمين سيلحقهم العدو قال وهو على المنبر : « يا سارية الجبل » أي : الزم الجبل ، ولا أحد يدرى ما يقول أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه . فهذا كله نوع من المكاشفات والكرامات ، والله تعالى أعلم .

(٢) أي سرير الملك ، ومجلس العز .

(٣) وهو سجود تعظيم وتبجيل وإكرام ليوسف ﷺ ، وكان هذا مشروعاً لهم ، ولم يزل =

تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا (١) وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿ [يوسف : ٩٩ - ١٠٠] .

ولما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض والملك ، وأقر عينه بأبويه وإخوته ، وبعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه ، أقر بتلك النعمة ، وشكرها ، ودعا بالثبات ، والوفاء على الإسلام (٢) .

● وختاماً ●

○ انظروا إلى يوسف عليه السلام ، وتمعنوا ما حدث له من صنوف البلايا ، والمحن ، وألوان الشدائد ، والنكبات ، وما له من ضروب المحن :
محنة حسد إخوته ، وكيدهم له .

ومحنة رميه في الحب .

ومحنة تعلق امرأة العزيز به ، وعشقها له ، ثم مراودتها له عن نفسه بشتى طرق الفتنة ، والإغراء .

ثم محنة السجن بعد ذلك العز ورغد العيش .

= حتى حرم ، وقد قال الشيخ العدوى - رحمه الله تعالى - « ولعلها كانت انحناء ، لأن هذا هو اللائق بمركز نبي الله يعقوب ويوسف عليهما السلام ، ولا يعارض ذلك قوله ﴿ وَخَرُّوا ﴾ لأنه يأتي بمعنى المرور ، كقوله : ﴿ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان : ٧٣] ، أى لم يمرؤا عليها ﴿ صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ . »

(١) فلم يجعلها أضغاث أحلام . بل جعلها رؤيا صادقة ، فذلك تأويلها وتعبيرها .

(٢) قاله السعدى - رحمه الله تعالى .

○ انظروا إليه كيف أنه لما صبر على الأذى في سبيل العقيدة وصبر على الضر ، والبلاء ، نقله الله من السجن إلى القصر ، وجعله عزيزاً في أرض مصر ، وملكه الله خزائنها ، فكان السيد المطاع ، والعزيز المكرم ... «وهكذا أفعَل بأوليائي ، ومن صبر على بلائي » ، فلا أن توطدوا النفس على تحمل البلاء اقتداء بمن سبق من المرسلين .

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الاحقاف : ٣٥] .

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل : ١٢٧] .

○ وهكذا جاءت قصة يوسف الصديق التي قيل عنها : « سورة يوسف ومريم مما يتفكّه بهما أهل الجنة في الجنة » ، « لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها » . تسلية لرسول الله عما يلقيه ، وجاءت تحمل البشر ، والأنس ، والطمأنينة ، لمن سار على درب الأنبياء ، فلا بد من الفرج بعد الضيق ، ومن اليسر بعد العسر ، ويبشر بالنصر لمن تمسك بالصبر ، وسار على طريق الأنبياء والمرسلين ، والدعاة المخلصين ^(١) . وصلى الله وسلم وبارك علي محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) « أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ » (١٠٢ ، ١٠٣ دار طيبة) .

● طلبه الوفاة على

● الإسلام واللحوق بالصالحين

○ قال تعالى - عنه - : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ

الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ^(١)
وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١] .

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - ^(٢) : « جمعت هذه الدعوات الإقرار بالتوحيد ، والاستسلام للرب ، وإظهار الافتقار إليه ، والبراءة من موالاة غيره سبحانه . وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد ، وأن ذلك بيد الله ، لا بيد العبد ، والاعتراف بالمعاد ، وطلب مرافقة السعداء » .

(١) وهذا طلب لحسن الخاتمة ، والوفاة على الإسلام ، واللحوق بالصالحين من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وقيل غير ذلك .

أما طلب الموت لمصيبة حلت بالشخص فهذا مما لايجوز ، لقول النبي ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ... الحديث » . وهو في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه .

وأما إذا كان المرء يخشى على نفسه الفتنة في الدين ففي هذه الحالة ، يجوز تمنى الموت وسؤاله ، كما قالت مريم : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا ﴾ [مريم : ٢٣] ، وغير ذلك من النصوص .

وقد قال النبي ﷺ : « اللهم احقني بالرفيق الأعلى » وهو في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها . وهذا قاله عند الاحتضار ﷺ ، وهذا سائغ وجائز بل مشروع ، وعليه فقد حمل البعض دعاء يوسف عليه السلام .

(٢) « الفوائد » (٢٢٣) .

● قبر يوسف عليه السلام ●

○ عن يونس بن أبي إسحاق أنه تلا قول الله عز وجل : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعَبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٢] . فقال أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال : نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له رسول الله ﷺ : « تعهدنا اثنا » فأتاه الأعرابي ، فقال له رسول الله ﷺ : « ما حاجتك ؟ » فقال : ناقة برحليها ، وبحر لبنها أهلى ^(١) . فقال رسول الله ﷺ : « عجز هذا أن يكون كعجوز بنى إسرائيل » ، فقال له صاحبه : ما عجوز بنى إسرائيل يا رسول الله ؟ فقال :

○ « إن موسى حين أراد أن يسير بينى إسرائيل ضل عنه الطريق ، فقال لبنى إسرائيل : ما هذا ؟ قال : فقال له علماء بنى إسرائيل :

○ إن يوسف عليه السلام حين حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى تنقل عظامه معنا ، فقال موسى : أيكم يدرى قبر يوسف ؟ فقال علماء بنى إسرائيل : ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبنى إسرائيل ، فأرسل إليها موسى ، فقال : دلينا على قبر يوسف ؟ قالت : لا والله حتى تعطينى حكماً ، فقال لها : ما حكمك ؟ قالت : حكى أن أكون معك في الجنة ، فكانه كره ذلك ، قال : فقبل له ^(٢) : أعطها حكمها ، فأعطاهما حكمها ، فانطلقت بهن إلى بحيرة مستنقعة ماء ، فقالت لهن : انضبوا هذا الماء ، فلما

(١) وفي رواية ابن حبان : (ناقة نركبها ، وأعنز يحلبها أهلى) .

(٢) وفي رواية ابن حبان : (فأوحى الله إليه : أن أعطها حكمها) .

أنضبوا ، قالت لهم : احفروا فحفروا ، فاستخرجوا عظام يوسف ^(١) ، فلما أن أقلوه من الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار ^(٢) .

(١) قال الشيخ الألباني عليه رحمة الله في « الصحيحة (٣١٣) :

« (فائدة) كنت استشكلت قديماً قوله في هذا الحديث « عظام يوسف » لأنه يتعارض بظاهره مع الحديث الصحيح : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » حتى وقفت على حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ لما بدن ، قال له تميم الداري : ألا أتخذ لك منبراً يا رسول الله ، يجمع أو يحمل عظامك ؟ قال : بلى ، فاتخذ له منبراً مرقأتين . أخرجه أبو داود (١٠٨١) بسناد جيد على شرط مسلم . فعلمت منه أنهم يطلقون « العظام » ويريدون البدن كله ، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، كقوله تعالى ﴿ قُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي صلاة الفجر . فزال الإشكال والحمد لله ، فكتبت هذا لبيانه « انتهى .

(٢) والحديث أخرجه الحاكم في « المستدرک » (٢ / ٤٧٦) (٣٥٨٠) وأبو يعلى في مسنده « (١٣ / ٢٣٦) (٧٢٥٤) ، وابن حبان من طريقه كما في « صحيحه » (٧٢٣) ، وابن أبي حاتم كما في « تفسير ابن كثير » (٣ / ٢٨٨ دار القلم) . وقد قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « هذا حديث غريب جداً ، والأقرب أنه موقوف والله أعلم » .

وضعه أيضاً محققوا « الموارد » (ص ١٠٩٦ ، ١٠٩٧) (حديث ٢٤٣٥) ، أما الشيخ ناصر الدين - رحمه الله تعالى رحمة واسعة - فقد أورده في « صحيحته » (حديث ٣١٣) فلينظر ذلك هناك .

من فضائل أيوب عليه السلام ^(١)

﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

(١) لُقِبَ بالميتلى الصابر ، وهو من ذرية إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٤] . على أن الصحيح أن الضمير عائد على إبراهيم الخليل دون نوح عليهما السلام . قاله ابن كثير - رحمه الله - وقد رتبته الحافظ ابن كثير - رحمه الله - بعد قصة يوسف عليه السلام - وقبل قصة ذى الكفل عليه السلام .

● من فضائل

● نبي الله أيوب عليه السلام

● نبوته

○ فهو من الأنبياء المنصوص على الإحياء لهم :

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ [الأنعام : ٨٣ ، ٨٤] .

ثم قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيُؤْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ﴿ [الأنعام : ٨٩ ، ٩٠] .

وفي ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم ، من التنويه بهم ، والثناء الصادق عليهم ، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن ، إيماناً بهم ومحبة لهم ، واقتداء بهديهم ، واستئناً بستهم ، ومعرفة بحقوقهم . وقد أثنى عليهم ربنا ، فوصفهم بالإحسان ، وإذا كان كل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه ، فهؤلاء الرسل - خاصة المسمون هنا - في المرتبة العليا من الإحسان (١) .

(١) « تيسير الكريم الرحمن بتصرف ص ١٧٧ ط الرسالة » .

● ومن فضل الله

● على عبده ونبيه أيوب

○ أنه قد شفاه بعد ما عجز الأطباء عن علاجه ، ورد عليه عافيته لما اغتسل بالماء البارد وشرب منه ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ (١) ، وأنزل عليه جراداً من ذهب ، وجراداً من فضة ، فأغناه الله عز وجل بعد ذلك كله ، ورد عليه أهله وماله ، ومثلهم معهم .

○ قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ (٢) هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٣) (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخَذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا (٤) فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ (٥) إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤١ - ٤٤] .

○ قال السعدي - رحمه الله تعالى - (٦) : « أى : واذكر عبدنا ورسولنا

(١) (ص : ٤٢) .

(٢) أى : اضرب بها الأرض .

(٣) أى فركض فنبعت عين جارية ، فاغتسل فيها ، فخرج صحيحاً ، ثم نبعت عين أخرى فشرب منها ماءً عذباً بارداً .

وقيل : اغتسل فذهب الداء من ظاهره ، ثم شرب فذهب الداء من باطنه .

(٤) الضغث : الحزمة الكبيرة من شماريخ النخل وقضبانها .

(٥) أى : اضرب به ، ولا تحنث في يمينك ، وكان أيوب قد حلف أن يضرب امرأته مائة جلدة ، للذنب جنته ، فجعل الله له هذا مخرجاً له من يمينه . ملخصاً من « ربة التفسير من فتح القدير » للأشقر سده الله .

(٦) ولست أعنى في تفسير الآية المتقدمة بل التي تليها . « تيسير الكريم الرحمن » : (الأنبياء : ٨٣ - ٨٤) . لكن التفسير يشمل الآيتين معاً .

أيوب ، مثنياً ومعظماً له ، رافعاً لقدره ، حين ابتلاه ، ببلاء شديد ، فوجده صابراً راضياً عنه ، وذلك أن الشيطان سلط على جسده ، ابتلاء من الله ، وامتحاناً ، فنفخ في جسده ، فتقرح قروحاً عظيمة ، ومكث مدة طويلة ، واشتد به البلاء ، ومات أهله ، وذهب ماله ، فنادى ربه قائلاً رب : ﴿ أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه ، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ ، وبرحمة ربه الواسعة العامة ، استجاب الله له ، وقال : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] ، فركض برجله ، فخرجت من ركضته عين ماء باردة ، فاغتسل منها وشرب ، فأذهب الله عنه ما به من الأذى . ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ﴾ أى : رددنا عليه أهله وماله . ﴿ وَمَثَلُهُمْ مَعَهُمْ ﴾ بأن منحه الله العافية ، ومن الأهل والمال شيئاً كثيراً . ﴿ رَحْمَةً مِنَّا ﴾ به ، حيث صبر ، ورضى ، فأثابه الله ثواباً عاجلاً ، قبل ثواب الآخرة . ﴿ وَذِكْرُنَا لِلْعَابِدِينَ ﴾ أى : جعلناه عبرة للعابدين ، الذين يتفعلون بالصبر ، فإذا رأوا ما أصاب أيوب عليه السلام من البلاء ، ثم ما أثابه الله بعد زواله ، ونظروا السبب ، وجدوه ؛ الصبر ، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] . فجعلوه أسوة وقدوة ، عندما يصيبهم الضر « انتهى .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - (١) : « وقوله : ﴿ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا ﴾ أى فعلنا به ذلك رحمة من الله به ، ﴿ وَذِكْرُنَا لِلْعَابِدِينَ ﴾ أى : وجعلناه في ذلك قدوة ، لئلا يظن أهل البلاء أننا فعلنا بهم ذلك لهوانهم

(١) « التفسير » (٣ / ١٨٢ المكتبة القيمة) .

علينا ، وليتأسوا به في الصبر على مقدورات الله ، وابتلائه لعباده بما يشاء ، وله الحكمة البالغة في ذلك .

○ وقال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً (*) مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَابِدِينَ ﴿ [الانبياء : ٨٣ - ٨٤] .

○ قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - (١) :

« فائدة »

○ قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الانبياء : ٨٣] :

« جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد ، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ، ووجود طعم المحبة في التملق له والإقرار له بصفة الرحمة ، وأنه أرحم الراحمين ، والتوسل إليه بصفاته سبحانه وشدة حاجته وهو فقره ، ومتى وجد المبتلى هذا كشفت عنه بلواه ، وقد جُرب أنه من قالها سبع مرات (٢) ، ولا سيما مع هذه المعرفة كشف الله ضره » .

(*) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « التفسير » (٣ / ١٨١ ، ١٨٢) : « وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة ، فإن كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة ، وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب ، وصح ذلك عنهم ، فهو مما لا يصدق ولا يكذب » .

(١) « الفوائد » (٢٢٢ و ٢٢٣ دار الكتب) .

(٢) هذا من خلال التجربة ، أما من خلال ورود خبر في ذلك عن رسول الله ﷺ ، فلم يرد والله تعالى أعلم .

○ وأخرج البخارى في « صحيحه » ^(١) من حديث أبي هريرة رضى الله

عنه .

عن النبي ﷺ قال : « بينما أيوب يغتسل عرباناً ^(٢) خرَّ عليه رجلٌ جراد ^(٣) من ذهب ، فجعل يحثى ^(٤) في ثوبه ، فنادى ربه ^(٥) : يا أيوب : ألم أكن أغنيك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ، ولكن لا غنى لى عن بركتك » ^(٦) .

● صبر أيوب وثناء ربه عليه ●

○ قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ^(٧) ﴾ [ص : ٤٤] .

○ وأخرج الحاكم وأبو يعلى وابن حبان ^(٨) من حديث أنس بن مالك أن

رسول الله ﷺ قال :

(١) (برقم : ٣٣٩١) وأحمد (٢ / ٣١٤) والنسائي (١ / ٢٠٠ ، ٢٠١) .

(٢) قال السندى - رحمه الله - : « الأعرى في محلٍّ مأمون عن نظر الغير بمنزلة الستر ، وهذا

مبنى على أن شرع من قبلنا شرع لنا » .

(٣) أى جماعة جراد .

(٤) يحثى : أى يأخذ بيديه جميعاً .

(٥) وفي رواية عند البخارى (٧٤٩٣) : « فناداه ربه » .

(٦) وفي رواية : « عن بركتك » .

قلت : وظاهر الحديث أن الله تعالى كلَّمهُ بلا واسطة ، وعليه : فهذه فضيلة عظيمة من

الله لأيوّب عليه السلام أن يكون بواسطة الملك . قاله السندى بتصرف .

(٧) أى رجاء ثواب كثير التوبة والإنابة .

(٨) حديث صحيح . أخرجه الحاكم (٢ / ٥٨١ ، ٥٨٢) وأبو يعلى (٦ / ٢٩٩) وابن

حبان (« موارد » ٢٠٩١) وابن جرير في « تفسيره » (١٠ / ٥٩) والضياء في

« الأمراض والكفارات » (رقم : ١٠) . وقد ذهب الحافظ ابن كثير - رحمه الله - إلى

غرابته فقال : (وهذا غريب رفعه جداً ، والأشبه أن يكون موقوفاً) . ا . ه . =

○ « إن أيوب نبي الله ﷺ لبث في بلائه ثمانى عشرة سنة ، فرفضه البعيد والقريب ، إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه : تعلم - والله - لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين . فقال له صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله ، فيكشف ما به .

○ فلما راحا إليه ، لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب : لا أدري ما تقول ، غير أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله ، وأرجع إلى بيتى ، فأكفر عنهما ، كراهية أن يذكر الله إلا في حق ، قال : وكان يخرج إلى حاجته ، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليهما .

○ فأوحى الله إلى أيوب في مكانه : ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] ، فاستبطأته ، فبلغته ، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء ، فهو أحسن ما كان ، فلما رآته قالت : أى ! بارك الله فيك ، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ؟ ووالله على ذلك ما رأيت أحداً كان أشبه به منك إذ كان صحيحاً ، قال : إني أنا هو .

○ وكان له أندران ^(١) ، أندر القمح ، وأندر الشعير ، فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر القمح ، أفرغت فيه الذهب حتى فاضت ، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضت . والورق : الفضة .

= وسنده - عندي الآن - صحيح ، والله أعلم .

وقد قال الضياء المقدسي : « هذا حديث غريب مليح ، ورجال إسناده ثقات » .

(١) الأندر : اليدر الذى يداس فيه الطعام .

● رقة قلبه ونقاؤه ●

○ عن المقدم بن معدى كرب أن رسول الله ﷺ قال : « ما من أحد يموت سقطاً ولا هرمًا - وإنما الناس فيما بين ذلك - إلا بُعث ^(١) ابن ثلاثين سنة، فمن كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم ، وصورة يوسف ، وقلب أيوب ، ومن كان من أهل النار عظموا ^(٢) وفخموا كالجبار » . قواه بطرقه وشواهد الشيخ ناصر الدين رحمه الله ^(٣) .

○ هذا ؛ وما ذكر عن أيوب بعد ذلك من أخبار وحكايات تصف لنا درجة بلائه الذي حلَّ بجسده - سوى ما ذكرناه - فتخاليط واهيات ، وخرافات وترهات ، فلم يثبت منها شيء ، بل تطفح بالجهل بعباد الله ، فضلاً عن أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ^(٤) .

(١) أى : أحياء الله تعالى

(٢) عظموا : أى كبرت أجسامهم

(٣) في « صحيحته » (٦ / ١ / ٤٤) (٢٥١٢) .

والحديث أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٠ / ٢٧٠) والبيهقي في « البعث » (٤٦٦)

وقد قال المنذرى « رواه البيهقي بإسناد حسن » . انتهى . ولعل المراد بشواهد - والله

أعلم - كما قد مضى .

(٤) قال أبو بكر ابن العربي - رحمه الله تعالى -

« ولم يصح عن أيوب في أمره إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين ، الأولى قوله

تعالى . ﴿ وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] ، والثانية في : [ص .

٤١] ، ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ . وأما النبي ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره

بحرف واحد إلا قوله « بينما أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل من جراد من ذهب »

الحديث . وإذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه - « قلت محمد . بل ثبت

غير ذلك كما في الأصل من حديث المقدم وحديث أنس بن مالك - عند ابن =

= حبان - . فمن الذى يوصل السامع إلى أيوب خبره ، أم علي أى لسان سمعه ؟
والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ،
وأصمم عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطى فكرك إلا خيالاً ، ولا تزيد فؤادك إلا
خبالاً . ١ . هـ . من تفسير القرطبي عند آية ص : ٤١ . وقد أفادنى بهذا الموضع
الشيخ الكريم أبو عبد الله مصطفى بن العدوى حفظه الله تعالى .

من فضائل

ذی الکفل علیہ السلام^(١)

(١) وقد ورد في تسميته بذی الكفل روايات كلها ضعيفة لا تثبت ، حاصلها أن الله سماه بذلك لأنه تكفل بأمر فوفى به .

* أمّا هل هو المذكور في حديث : « كان الكفل من بنى إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله ، فأنته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت منه وبكت ، فقال لها : ما يبكيك ؟ أأكرهتك ؟ قالت : لا ، ولكن هذا عمل لم أعمله قط ، وإنما حملتني إليه الحاجة ، قال : فتفعلين هذا ولم تفعلينه قط ! ثم نزل ، فقال : اذهبي بالدنانير لك . ثم قال : والله لا يعصى الله الكفل أبداً ، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه ، قد غفر الله للكفل » .

أخرجه أحمد (٢ / ٢٣) والترمذي (٢٤٩٦) . وانظر « تحقيق المسند » (برقم : ٤٧٤٧) ط الرسالة .

وقد قال الحافظ ابن كثير :

« حديث غريب جداً ، وفي إسناده نظر » « وإن كان محفوظاً ، فليس هو ذا الكفل وإنما لفظ الحديث : « الكفل » من غير إضافة ، فهو رجل غير المذكور في القرآن والله أعلم » . ١ . هـ . وانظر نحوه من ذلك في التفسير له [(٣ / ١٨٣) المكتبة القيمة] .

● من فضائل ذي الكفل عليه السلام ●

● ثناء الله عليه ●

- قال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٨٥)
وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [الأنبياء : ٨٥ - ٨٦] .
- وقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ إسماعيلَ وإيسعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ ﴾
[ص : ٤٨] .

● نبوته ●

- قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « فالظاهر في ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي ، عليه من ربه الصلاة والسلام ، وهذا هو المشهور » .
- وفي تأويل الآية الأولى ، وهي قوله : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥] .

يقول العلامة السعدى - رحمه الله تعالى - :

« أي : واذكر عبادنا المصطفين ، وأنبياءنا المرسلين ، بأحسن الذكر ، وأثن عليهم ، أبلغ الثناء ، إسماعيل بن إبراهيم ، وإدريس ، وذا الكفل ، نبين من أنبياء بنى إسرائيل . كل من هؤلاء المذكورين ، من الصابرين .

ثم قال - رحمه الله تعالى بعد ما عرّف الصبر وبين أنواعه - :

« فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قد وصفهم الله بالصبر ، فدلّ

أنهم وفوها حقها ، وقاموا بها كما ينبغي ، ووصفهم أيضاً بالصلاح ، وهو يشمل صلاح القلب ، بعرفة الله ومحبه ، والإنابة إليه كل وقت ، وصلاح اللسان بأن يكون رطباً من ذكر الله ، وصلاح الجوارح ، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي .

فبصبرهم وصلاحهم ، أدخلهم الله في رحمته ، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين ، وأثابهم الثواب العاجل والآجل . ولو لم يكن من ثوابهم إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين ، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين ، لكفى بذلك شرفاً وفضلاً ، انتهى .

^(١) من فضائل شعيب عليه السلام

وعرض سريع لسيرته وما جرى له مع قومه

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾

(١) بالنسبة للترتيب الزمني لنبي الله شعيب ، فمنهم من رأى بأن شعيباً كان ممن آمن بإبراهيم يوم أحرق بالنار ، وهاجر معه ، ومنهم من قال بأنه صهر موسى يعنون الرجل الصالح الذي زوجه ابنته ، وكل ما ورد في ذلك فضعيف غير ثابت عن النبي ﷺ ^(١) ، ومنهم من قال : كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة ، لأنه قال لقومه : ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴾ ^(٢) [هود : ٨٩] ، وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن ، ولكن تعقب هذا القول آخرون فقالوا : إنه قد عاش مدة طويلة حتى أدركه موسى عليه السلام .

ثم قول القائل بأن شعيباً صهر لموسى ، تُعقب بأنه لو كان كذلك لنص على اسمه في القرآن في الموضع الذي فيه : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٣] . =

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وما جاء في بعض الأحاديث من التصريح بذكره في قصة موسى لا يصح إسناده » . ا . هـ .

(٢) وقيل : وما قوم لوط منكم ببعيد في المحلة والمكان ، وقيل في الصفات والأفعال المستقبحات من قطع الطريق ونحو ذلك ، وعلى هذا فإن الآية ليست بحجة للقاتلين بأنه قبل موسى بزمان طويل !!

= قالوا (١) : فهذا من المقويات لكونه ليس بشعيب ﷺ .
* قال الطبري - رحمه الله تعالى - :

«وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تحجب حجته ، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه » . ١ . هـ . يعني قوله تعالى : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [الفصص : ٢٣] .

وهذا وقد رتب الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : في « البداية والنهاية » هذا النبي بعد لوط عليه السلام اقتداءً بالقرآن فقال ما نصه بعد أن ذكر قوم لوط (٢) - : « وأتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شعيب عليه السلام ، لأنهما قريتهما في كتاب الله عز وجل في مواضع متعددة فذكر تعالى بعد قصة لوط : قصة مدين ، وهم أصحاب الأيكة على الصحيح ، كما قدمنا .

فذكرناها تبعاً لها ، اقتداءً بالقرآن العظيم » . ١ . هـ .

(١) وهو الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى .

(٢) عقب باب : « ذكر ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام » .

○ لم يثبت لدى في شأن نبي الله شعيب عليه السلام أى حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ ، وكل ما ورد في شأنه ضعيف ^(١) أو موضوع .

○ وكان بعض السلف يسمى شعيباً «خطيب الأنبياء» ويعنى لفصاحته ^(٢) ، وعلو عبارته ، وبلاغته في دعاية قومه إلى الإيمان برسالته ، كما قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -

○ وقال أبو إسحاق الثعلبي ^(٣) : « وكان يقال له : خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه » .

○ أما حديث : « ذاك خطيب الأنبياء » ، فهو مع شهرته ، فهو لا يكاد يصح عن رسول الله ﷺ في شأن شعيب عليه السلام ^(٤) .

(١) فمن ذلك ما تداوله كثير من أهل السير والمؤرخين ، وقد عزو تصحيحه لابن حبان لكونه أخرجه في صحيحه ، فقد قال الحافظ ابن حجر ^(١) - رحمه الله - : وفي حديث أبي ذر الطويل الذى صححه ابن حبان أنه قال : « أربعة من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك يا أبا ذر » . ١ . هـ . وهو حديث ضعيف جداً . وقد أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٩٤ - موارد) ، وفي « المجروحين » (٣ / ١٣٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١ / ١٦٦) والأجري في « الأربعين » (١٠٩) من حديث أبي ذر رضى الله عنه ، وقد توسعت في تخريجه في « تحقيق رسالة ابن طولون : إن إبراهيم كان أمه رقم ١٥ » .

(٢) وفي الإشارة إلى فصاحته وبلاغته عليه السلام ، تراجع الآيات من سورة (هود : ٨٤ - ٩٥) فهي واضحة في هذا الصدد .

(٣) « عرائس المجالس » (ص ١٨٧) ، وذكر هذا القول عن سفيان .

(٤) وراجع النسخة المحققة لـ « قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير » (١٩٣ بتحقيق الأخ السيد العربي وفقه الله) .

(١) فيما انتخبه من الجزء الخاص بقصص الأنبياء من « البداية والنهاية » (ص ٢٤٦) - بتحقيق الأخ غنيم بن عباس جزاء الله خيراً .

● بعثته ورسالته ●

○ بعث الله عز وجل عبده ونبيه شعيباً عليه السلام إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة ^(١) ، كما هو رأي جمهور أهل العلم ^(٢) ، والأيكة الشجر الملتف .

وكان قوم شعيب أهل كفر ، وبخس للناس ، يطففون المكايل والموازين ، وكان الله قد وسَّع عليهم في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجاً منه لهم .

فبعث الله فيهم رجلاً منهم ، وهو رسول الله شعيب عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهاهم عن تعاطي هذه الأفاعيل

(١) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « ومن زعم من المفسرين كقتادة وغيره : أن أصحاب الأيكة أمة أخرى غير أهل مدين ، فقلوه ضعيف . وإنما عمدتهم شيثان أحدهما : أنه قال ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ ﴾ [الشعراء : ١٧٦ - ١٧٧] .

ولم يقل أخوهم ، كما قال : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف : ٨٥ وهود : ٨٤] . والثاني : أنه ذكر عذابهم يوم الظلة وذكر في أولئك الرجفة أو الصيحة . والجواب عن الأول : أنه لم يذكر الأخوة بعد قوله : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٦] ، لأنه وصفهم بعبادة الأيكة ، فلا يناسب ذكر الأخوة هاهنا . ولما نسبهم إلى القبيلة ساغ ذكر شعيب بأنه أخوهم . وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة .

وأما احتجاجهم يوم الظلة ، فإن كان دليلاً بمجرد على أن هؤلاء أمة أخرى ، فليكن تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلاً على أنهما أمتان أخريان ، وهذا لا يقوله أحد يفهم شيئاً من هذا الشأن .

(٢) « الفتح » (٦ / ٥١٨) . وراجع كلام الحافظ هناك .

القييحة ، من بخس الناس أشياءهم ، ومن فساد في الأرض ، وقطع للطريق وللمارة ، فأمن به بعضهم ، وكفر أكثرهم ، حتى أحل الله بهم البأس الشديد ، وهو الولي الحميد .

○ قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ [هود : ٨٤] .

○ ولما قابلوا دعوته بالكذب والاستخفاف والسخرية ، كان عليه السلام يخوفهم من بأس الله وعقابه ، ويأمرهم بطاعته وتقواه (١) :

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [الشعراء : ١٧٦ - ١٧٩] .

وقال : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود : ٩٠] .

وقال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَىٰ ﴾ [الشعراء : ١٨٤] .

وقال : ﴿ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١٨٨] .

○ وقد كان شعيب عليه السلام قدوة حسنة في سمو خلقه ، ورجاحة

(١) « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لمحمد سرور » (الجزء الثاني ص ٥٤) بتصرف .
وما بعدها أيضًا من كلامه .

عقله ، وعفة نفسه ، وعلو همته ، وصفاء سريرته ، ورباطة جأشه ، فبعد أن دعا قومه إلى وحدانية الله تعالى ، وإلى العدل والمساواة والرحمة ، قال بكل صدق وثقة : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنهَأَكُم عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .

○ قال العدوى أتابه الله في « دعوة الرسل » (ص ١٧٠) :

« يطالب قومه أن يخبروه إن كان على بينة من ربه بالعلم والهداية ، والدين والنبوة ، ورزقه رزقًا حسنًا استغنى به عن أن يسأل الناس أجرًا على هدايتهم وتبليغهم الدين ، ولا يريد أن يخلف قومه إلى ما ينهأهم عنه فيستأثر به دونهم ، وإنما يريد أن يصلح ما استطاع إصلاحه ، ولا يعتمد في إصلاحه إلا على ربه ، فهو الذي يوفقه ، ويزيل من بين يديه عقبات الإصلاح ، وهو الذي يرجع إليه . ويعتمد عليه .

يطالب قومه أن يخبروه إن كان على هذه الصفات أيليق بهم أن يقولوا في شأنه ما قالوا ، وأن يتكلموا به ذلك التهكم الشائن ؟ وقد خاطبهم بأسلوب غير القاطع فأتى بـ (إن) ترفقًا بهم ، وكأنه يريد أن أولئك الصفات لا تتفق مع السفه بحال من الأحوال ، فإن الرجل الذي آتاه الله علمًا وهداية ، فكان على بينة من ربه ، ورزقه الرزق الحسن ، فكان يعيش من كسبه وكده ، ولم يطلب من قومه أجرًا على دعوته ، ولا يريد أن يسبقهم إلى شهواتهم التي نهاهم عنها ، من تطيف الكيل وإخسار الميزان ، وما إلى ذلك ، وإنما هو مؤمن بما يدعو إليه ، قدوة صالحة في تمسكه بالفضيلة ، وبعده عن الرذيلة ، وهذه الصفة من أخص صفات الدعاة الصادقين ، . . إلخ

ما قال رحمه الله تعالى » .

○ وهكذا كان نبي الله شعيب عليه السلام متحلياً بالصدق والأمانة في جميع

أقواله وأفعاله كسائر أنبياء الله ورسله .

○ فأنبياء الله كلهم أمناء صادقين .

○ قال شعيب عليه السلام : ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩)

وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٨ - ١٨٠] .

وكذلك أنبياء الله جميعاً ، كما حكاها الله عنهم في كتابه العزيز في

سوره . فشعيب عليه السلام كان أميناً صادقاً ، ورغم ذلك فقد أیده الله بمعجزة تدلُّ

على صدق نبوته ورسالته كما قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا

تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾ [الاعراف : ٨٥] .

ولم يبين لنا جلَّ وعلا نوع هذه المعجزة ، وحسبنا أنها معجزة .

○ قال العدوى أثابَهُ الله (١) :

» ومن المفسرين من يرى أن هذه المعجزة لشعيب عليه السلام لم تذكر

في القرآن كما ذكرت معجزة صالح وهي الناقة . ومعجزة موسى عليهم

السلام ، والأصل أن كل رسول يؤتيه الله من الآيات ما من شأنه أن يؤمن

بمثله البشر .

(١) « دعوة الرسل » (ص ١٥٢ ، ١٥٣) ط : دار المعرفة .

روى الشيخان من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « ما من الأنبياء نبي إلا وقد أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

ومنهم من قال : إن البينة كل ما تبين به الحق ، فهي تشمل المعجزات الكونية والبراهين العقلية .

○ ويرجح الأول قوله : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾ إلخ ، فإن عطف الأمر بالفاء لا يصح إلا إذا كان مبنياً على ما هو سبب له ، وهو البينة على صدقه ، ووجوب طاعته ، ولو كان معطوفاً على قوله ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ لعطف بالواو . ا . هـ .

○ ومع هذه الآيات والحجج والبراهين ، صمموا على ما هم عليه مشتملون ، وبه متلبسون : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لئنِ اتَّبَعْتُمْ شُعْبَاً إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٠] .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود : ٩١] .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُدُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٨] .

وكانوا قد اتهموه بأبشع التهم : ف ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾

[الشعراء : ١٨٥] .

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ^(١) وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٦] .

وقالوا : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ

إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] .

○ فهكذا كان موقف القوم مع نبي الله شعيب موقف الجاحدين لدعوته ، المكذبين لرسالته ، فما كان منهم إلا أن طلبوا منه العذاب ، كما هو حال أهل الكفر في كل زمان ومكان ، فقالوا : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الشعراء : ١٨٧] . وهو نظير قول عاد لهود : ﴿ فَأَتَيْنَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الاعراف : ٧٠] ، وقول ثمود لنبي الله صالح : ﴿ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الاعراف : ٧٧] .

ويشبه قول كفار قريش لمحمد ﷺ : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال : ٣٢] .

حيثُ جاء أمر الله بالهلاك والعذاب ، وقد جمع الله عليهم أنواعاً من العقوبات ، وصنوفاً من المثلات ، وأشكالاً من البليات ، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات ، سلَّط الله عليهم رجفة شديدة أسكتت الحركات ، وصيحة عظيمة أخدمت الأصوات ، وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات .

○ فيتلخص هذا الهلاك في مرات :

○ فمرة كان هذا الهلاك بالرجفة .

○ ومرة كان بالصيحة .

(١) عجباً لأهل الضلال !! لم يرضوا للرسالة ببشر ، ورضوا للألوهية بحجر .

○ ومرة أخذهم عذاب يوم الظلة .

ولكن الله تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ، ويوافق طبقها كما قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - وقال مضيئاً :

○ ففى سياق قصة الأعراف أرجفوا نبي الله وأصحابه ، وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم ، أو ليعودن في ملتهم راجعين . فقال تعالى : ﴿ فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ ﴾ [الأعراف : ٩١] .

فقابل الإرجاف بالرجفة ، والإخافة بالخيفة ، وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق بما تقدمه من السياق .

○ وأما في سورة هود : فذكر أنهم أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص : ﴿ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود : ٨٧] .

فناسب أن يذكر الصيحة التى هى كالزجر عن تعاطى هذا الكلام القبيح ، الذى واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة أسكتتهم .

○ وأما في سورة الشعراء : فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة ، وكان ذلك إجابة لما طلبوا ، وتقريباً إلى ما إليه رغبوا ، فإنهم : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١٨٥ - ١٨٨] .

قال الله تعالى - وهو السميع العليم - : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ

إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ [الشعراء : ١٨٩] .

○ نجى الله شعبياً ومن معه من المؤمنين ، كما قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَبِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْثَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ ﴿٩٤﴾ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ ﴿ [هود : ٩٤ - ٩٥] .

○ ثم ذكر تعالى أنه أعرض عنهم مولياً عن محللتهم التى يسكنون ، وبلادهم التى يقطنون بعد هلكتهم ، وإنزال العذاب بهم ، ونعاهم إلى أنفسهم موبخاً ومؤنباً ومقرعاً ، فقال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿ [الأعراف : ٩٣] .

أى قد أدبت ما كان واجباً على من البلاغ التام ، والنصح الكامل ، وحرصت على هدايتكم بكل ما أقدر عليه وأتوصل إليه ، فلم ينفعكم ذلك ، لأن الله لا يهدى من يضل ، وما لهم من ناصرين ^(١) .

فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله ، وأتوجع لهلاكهم ^(٢) .

﴿ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ .

○ وهكذا استفرغ نبى الله شعيب عليه السلام وسعه ، وبذل أقصى ما وهبه الله جل وعلا من جهد وطاقة ، ولم يستجب له إلا نفر قليل من قومه ، ومن سنن الله في خلقه هلاك الكافرين الظالمين إذا كذبوا أنبيائهم ، وأعرضوا

(١) « البداية والنهاية » (١ / ١٩٦ دار الحديث) للحافظ ابن كثير - رحمه الله - .

(٢) « تفسير الطبرى عند آية الأعراف : ٩٣ » .

عنهم ، وسخروا منهم .

قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَمْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف : ٥٨] . أي : وقتاً محدداً مقدراً .

○ وقال تعالى - قبلها - : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [الكهف : ٥٥] ^(١) .

(١) « منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لمحمد سرور بن نايف ص ١١٣ » .

من فضائل موسى عليه السلام ^(١)

﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾

﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾

(١) وهو ابن عمران . كليم الله عز وجل ، أخوه هارون النبي ، الذي كان وزيراً له ﷺ ،

وسيرة هذا النبي الكريم موسى عليه السلام ، لا تخفى على أحد ، وهي مبسوبة في كتاب الله عز وجل ، كررها الله في كتابه بسياقات مختلفة ، وبأساليب متنوعة ، قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن . وذكر قصته في مواضع متعددة مبسوبة ، وغير مطولة » .

لذا ؛ فإننا أحبل القارئ الكريم إلى الكتاب العزيز في شرح سيرة نبي الله موسى الكليم صوات الله وسلامه عليه . وأخص حديثي بما يتعلق بمن الله عز وجل عليه ، وفضائله ، ومعجزاته . فهذا هو أصل تصنيفي لهذا الكتاب الذي هو : « روضة المشتاقين في فضائل الأنبياء والمرسلين » . والله الموفق .

● من فضائل موسى عليه السلام ●

● بشارة أم موسى

بحفظ الله له من كيد فرعون

● وأنه تعالى سيجعله نبياً رسولاً عليه السلام ●

○ قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (٨) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٩) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١١) وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [القصص : ٧ - ١٣] .

● امتنان الله عز وجل

● على موسى عليه السلام بهذه المنة ●

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴾ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿ [طه : ٣٧ - ٣٩] .

• آتاه الله حكماً

• وعلمًا حين بلغ أشده •

○ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص : ١٤] .

• من أولى العزم من الرسل •

○ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الاحزاب : ٧] .

• جمع الله له بين الرسالة والنبوة •

○ قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥١] .

• وجاهته عند ربه عز وجل •

○ قال تعالى : ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الاحزاب : ٦٩] .

• محبة الخلق له عليه السلام •

○ قال تعالى : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] .

● وفاء موسى عليه السلام ●

○ قال الرجل الصالح لموسى ﷺ : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (٢٨) فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿ [القصص : ٢٧ - ٢٩] .

○ وعن سعيد بن جبير قال : « سألتني يهودى من أهل الحيرة أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أدري ، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله ، فقدمت فسألت ابن عباس فقال : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل » (١) .

● حياء موسى ●

● عليه السلام وتبرئة الله له ●

○ قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

○ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى في « صحيحه » (٢٦٨٤) وابن أبى شيبة (١١ /

٥٣٣) والطبرى في « تفسيره » (١٠ / ٦٥) عن ابن عباس موقوفاً به .

قال الحافظ : قوله : « إن رسول الله ﷺ إذا قال فعل » المراد برسول الله ﷺ : « من اتصف بذلك ، ولم يرد شخصاً بعينه » .

موسى كان رجلاً حياً ستيراً ، لا يرى من جلده شيء استحياء منه ^(١) ، فأذاه من أذاه من بنى إسرائيل ، فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص ، وإما أدرة ^(٢) ، وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبراه مما قالوا لموسى ، فخلا يوماً وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه ^(٣) ، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر ، فجعل يقول : ثوبى حجر ، حتى انتهى إلى ملا من بنى إسرائيل ، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله ، وبراه الله مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فو الله إن بالحجر لندباً ^(٤) من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً ^(٥) . فذلك قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ ^(٦) [الأحزاب : ٦٩] .

○ وفي « الصحيحين » ^(٧) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « كانت بنوا إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض ، وكان موسى يغتسل وحده ، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ، فذهب

(١) قال الحافظ - رحمه الله - : « هذا يشعر بأن اغتسال بنى إسرائيل عراة ، بمحض منهم ،

كان جائزاً في شرعهم ، وإنما اغتسل موسى وحده استحياء » .

(٢) أى : انتفاخ الحصى .

(٣) أى : مضى مسرعاً ، وجرى به .

(٤) الندب : هو الأثر .

(٥) قوله : « فو الله إن الحجر لندباً » إلخ الحديث ، من قول أبي هريرة ، وذلك بين في

رواية أخرى في « الصحيح » (٢٧٨) .

(٦) أخرجه البخارى (٤ - ٣٤ ، ٧٧٩٩) والترمذى (٣٢٢١) .

(٧) خ (٢٧٨) وم (٢٣٩) (ص ١٨٤١) (٣٣٩) .

مرة يفتسل ، فوضع ثوبه على حجر ، ففر الحجر بثوبه ، فخرج موسى في أثره ، يقول : ثوبى يا حجر ، ثوبى يا حجر ^(١) ، حتى نظرت ^(٢) بنوا إسرائيل إلى موسى ، فقالوا : والله ما بموسى من بأس ، وأخذ ثوبه فطقق بالحجر ، فقال أبو هريرة : والله إنه لندب بالحجر ستة أو سبعة ضرباً بالحجر .

○ وفي « صحيح مسلم » ^(٣) من حديث أبي هريرة قال : « كان موسى عليه السلام رجلاً حياً ، قال : فكان لا يرى متجرداً . قال : فقال بنوا إسرائيل : إنه آدر . قال : فاغتسل عند مؤبّه . فوضع ثوبه على حجر ، فانطلق الحجر يسعى ، واتبعه بعصاه يضربه ، ثوبى حجر ، ثوبى حجر ، حتى وقف على ملاء من بنى إسرائيل ، ونزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ [الأحزاب : ٦٩] .

● صبره ●

○ أخرج البخارى في « صحيحه » ^(٤) من حديث عبد الله بن مسعود

(١) أى : أعطنى ثوبى أو رد ثوبى .

قال الحافظ : « وإنما خاطبه لأنه أجراه مجرى من يعقل ، لكونه فرّ بثوبه فانتقل عنده من حكم الجماد ، إلى حكم الحيوان فناده ، فلما لم يعطه ضربه .
وقيل : يحتمل أن يكون موسى أراد بضربه إظهار المعجزة بتأثير ضربه فيه ، ويحتمل أن يكون عن وحى » .

(٢) قال الحافظ : « ظاهره أنهم رأوا جسده ، وبه يتم الاستدلال على جواز النظر عند الضرورة لداواة وشبهها » .

(٣) (ص : ١٨٤٢) .

(٤) (٣٤٠٥) ومسلم (١٠٦٢) وأحمد (١ / ١٨٠ ، ٣٩٥ ، ٤٣٥) وأبو داود (٤٨٦٠ و ٣٨٩٦) ، والترمذى (٣٨٩٧) .

رضى الله عنه قال : « قسم النبي ﷺ قسماً ، فقال رجل : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله . فأتيت النبي في وجهه ، ثم قال : يرحم الله موسى ، قد أودى أكثر من ذلك فصبر » (١) .

● كرمه ﷺ وأمانته ●

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَذُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الدخان : ١٧ - ١٨] .

● تواضعه ●

● صور من تواضعه : رعى الأغنام ●

○ عن عبدة بن حزن قال : تفاخر أهل الإبل ، وأهل الشاء ، فقال النبي ﷺ : « بعث موسى وهو راعي الغنم ، وبعث داود وهو راعي الغنم ،

(١) قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في « الحد الفاصل » (١٢٦) :

« لقد اعتبر رسول الله ﷺ نبي الله موسى قمة وقدوة في الصبر ، روى الإمام البخاري رحمه الله - ثم أورد حديث الباب ثم قال : « فهذا رسولنا الكريم ﷺ وصف موسى بأنه كان صبوراً حليماً ، يصبر على الأذى الكثير ويجعل منه أسوة وقدوة في الصبر ، وسيد قطب ! يرميه بأنه عصبي المزاج ، متوتر الأعصاب ، بل النموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج ، والله يحكى وصفه بالقوي الأمين ، فغضبه الله ، وأخذ به برأس أخيه يجره إليه ، وقوله للسامري : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنْهَرِكُمْ ثُمَّ لَنْسِفْنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه : ٩٧] ، دليل على قوته في دين الله ، لا على عصبية ، وكل ما وصفه الله به أدلة على كرامته ومنزله عند الله ؛ لا على ما وصفه به سيد قطب ، والله يقول له : ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴾ [الأعراف : ١٤٤] ... الخ ما ذكره الشيخ في ذلك » .

وبعث أنا وأنا أرعى غنماً لأهلى بأجباد» (١) .

قال الحافظ في «الفتح» (٤ / ٥١٦) :

قال العلماء : « الحكمة في إلهام الأنبياء من رعى الغنم قبل النبوة ، أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكفلونه من القيام بأمر أمتهم ، ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم الحلم والشفقة ، لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ، ونقلها من مسرح إلى مسرح ، ودفع عدوها من سبع وغيره ، كالسارق ، وعلموا اختلاف طباعها ، وشدة تفرقها مع ضعفها ... فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعى الغنم ، ثم قال :

وفي ذكر النبي ﷺ بذلك بعد أن علم كونه أكرم على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه ، والتصريح بمته عليه ، وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى سائر الأنبياء » ١- هـ .

○ وما هو ﷺ لما ورد ماء مدين وجد عليه امرأتين تذودان (٢) - أى :

تمنعان وتحبسان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس ، فلما رأى موسى ذلك منهما : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢٢) فَسَقَى

(١) رجاله ثقات . أخرجه البخارى في «الأدب المفرد» (٥٨٩) والنسائي في «الكبرى»

(٦ / ٣٩٦) والطيالسى في «مسنده» (١٣١١) قال الحافظ في «الفتح» (٦ /

٥٠٦) : « رجاله إسناده ثقات » .

قلت : ويشهد له ما في «الصحيح» (البخاري : ٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة عن

النبي ﷺ قال : « ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ... » .

(٢) أى : تكفكان عنهما غنمهما أن تختلط بغنم الناس .

لَهُمَا ﴿ [القصص : ٢٣ ، ٢٤] .

وهذا فيه من التواضع ما فيه .

○ ومن تواضعه ﷺ قوله : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ

رَدُّوْا يُصَدِّقُنِي ﴿ [القصص : ٢٤] .

إلى غير ذلك ، فصلوات الله وسلامه عليه من نبي كريم متواضع .

● موسى والخضر عليهما السلام ^(١) ●

○ أخرج الشيخان من حديث سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس :

إن نوحًا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بنى

(١) قال شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوى :

اختلف أهل العلم في الخضر هل هو حى إلى الآن أم أنه مات ؟ فذهب النوى وابن الصلاح - ونقلًا عن جمهور العلماء - إلى أنه حى وذهب البخارى وإبراهيم الحربى وغيرهم إلى أنه مات .

أما من ذهبوا إلى أنه حى فلم يذكروا شيئًا صحيحًا ثابتًا عن رسول الله ﷺ ، وكل ما ذكره حكايات مأثورة عن بعض السلف أو أحاديث واهية لا تقوم بها حجة ذكر بعضها الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح البارى ٦ / ٤٣٥) ، وتركز اهتمام من قالوا بحياته على تقنيد أدلة من قال إنه مات .

أما الذين ذهبوا إلى أنه مات فقد استدلوا بجملة أدلة ذكر بعضها الحافظ ابن حجر في فتح البارى (٦ / ٤٣٤) بقوله : وعمدتهم الحديث المشهور (قلت وهو في الصحيح) عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته : « لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد » قال ابن عمر أراد بذلك انخراط قرنه .

وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذٍ على وجه البحر ، أو هو مخصص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق .

إسرائيل، إنما هو موسى آخر، فقال: كذب عدو الله (١).

حدثنا أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فقال له: بلى عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به؟ وربما قال سفيان أي رب وكيف لي به قال: تأخذ حوتاً (٢) فتجعله في مكث (٣) حيثما فقدت الحوت فهو ثم (٤) - وربما قال: فهو ثمه، وأخذ حوتاً فجعله في مكث ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتي إذا أتيا الصخرة وضعا

= ومن حجج من أنكروا ذلك قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ وحديث ابن عباس «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري.

ولم يرد في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فلو كان الخضر موجوداً لم يصح هذا النفي، وقال ﷺ: «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرها» فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التمني ولا حضره بين يديه وأراه العجائب، وكان أدعى لإيمان الكفرة ولا سيما أهل الكتاب.

ثم طفق الحافظ يبين ما ورد في وجوده من أحاديث ضعيفة، ضعفها يغني عن ذكرها. «راجع الصحيح المسند من الأحاديث القدسية لشيخنا حفظه الله ص ٢٠٤».

(١) قال النووي (٢٣١/٥): قوله (كذب عدو الله) قال العلماء: هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل قوله لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة إنما قاله مبالغة في إنكاره قوله لمخالفته قول رسول الله ﷺ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره وحال الغضب تطلق الألفاظ، ولا تراد بها حقائقها والله أعلم. وينحوه قال الحافظ في الفتح (٤١٢/٨).

(٢) في رواية لمسلم: «ف قيل له تزود حوتاً مالحاً» قال الحافظ ابن حجر (٤١٤/٨): «ويستفاد من هذه الرواية أن الحوت كان ميتاً لأنه لا يملح وهو حي».

(٣) المكث: القفة والزنبيل.

(٤) ثم: أي هناك.

رُءوسهما فرقد موسى واضطرب الحوتُ فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرّياً فأمسك الله عن الحوتِ جريّة الماء فصار مثل الطاق - فقال هكذا مثل الطاق ^(١) - فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما حتى إذا كان من الغد قال لفتاه : ﴿ آتَا عِدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ولم يجد موسى النّصب حتى جاوزَ حيث أمرهُ الله قال له فتاه : أرايت إذ أويتا إلى الصخرة فإني نسيتُ الحوتَ ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكرهُ واتخذ سبيله في البحر عجباً فكان للحوت سرّاً ولهما عجباً ، قال له موسى : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدُّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ رجعا يَقْصَانِ آثَارَهُمَا - حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مُسَجًى ^(٢) بثوبٍ فسلم موسى فردّ عليه فقال : « وَأَنْتَى بِأَرْضِكَ السّلام ^(٣) » قال : « أنا موسى » قال : « موسى بنى إسرائيل ؟ » قال : « نعم أُنْتُكَ لَتَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا » . قال : « يا موسى إني على علم علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله عِلْمَكَ الله لا أعلمه » قال : « هل أَتْبَعُكَ ؟ » قال : ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ^(٤) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ ، إلى قوله ﴿ إِمْرًا ﴾ ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة كملوهم أن يحملوهم فعرفوا الخضرَ فحملوهم بغير نَوْلٍ ^(٥) فلما ركبا في السفينة جاء عُصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين قال له الخضر : « يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله

(١) الطاق : عقد البناء ، وجمعه : طيقان ، وأطواق ، وهو الأزج ، وما عقد أعلاه من البناء ، وبقي ما تحته خالِبًا .

(٢) أى : مغطى .

(٣) أى : من أين السّلام في هذه الأرض التي لا يعرف فيها السّلام .

(٤) أى بغير أجره . والنول والنوال : العطاء .

إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر » إذ أخذ الفأس فنزع لوحًا قال : فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحًا بالقدوم فقال له موسى : « ما صنعت قومٌ حملونا بغير نول عمدتَ إلى سفيتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئًا إمرا » قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿ [الكهف : ٧٢ - ٧٣] ، فكانت الأولى من موسى نسيانا فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعبُ مع الصبيان فأخذ الخضر برأسه فقلعه هكذا ، - وأوما سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئًا - فقال له موسى : ﴿ أَتَأْتِلُفُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ قال : ﴿ إِنْ سَأَلْتِكِ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدوا فيها جدارًا يريد أن ينقض مائلاً - أوما بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسخ شيئًا إلى فوق فلم أسمع سفيان يذكر « مائلاً » إلا مرة - قال : « قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم لو شئت لانتخذت عليه أجرا » .

قال : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٧٨] . قال النبي ﷺ : « وددنا أن موسى كان صَبْرًا فَقَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِمَا » (١) . قال سفيان قال النبي ﷺ : « يرحم الله موسى لو كان

(١) قال النورى - رحمه الله تعالى : « وفي هذه القصة أنواع من القواعد ، والأصول ، والفروع ، والآداب ، والنفائس المهمة ، سبق التنبيه على معظمها ، سوى ما هو ظاهر منها ، ومما لم يسبق أنه لا بأس على العالم والفاضل أن يخدمه المفضل ، ويقضى له حاجة ، ولا يكون هذا من أخذ العوض على تعليم العلم والآداب ، بل من مروءات الأصحاب ، وحسن العشرة ، ودليله من هذه القصة : حمل فتاه غداءهما ، وحمل =

صبر يقص الله علينا من أمرهما « وقرأ ابن عباس : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا . وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين . ثم قال لى سفيان : سمعته منه مرتين وحفظته منه . قيل لسفيان : حفظته قبل أن تسمعه من عمرو أو تحفظته من إنسان ؟ فقال : ممن أتخفظه ، ورواه أحد عن عمرو وغيرى ؟ سمعته منه مرتين أو ثلاثا وحفظته منه « (١) .

● تكليم الله

● عز وجل لنبيه موسى عليه السلام (٢)

○ قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي (٣) فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

= أصحاب السفينة موسى والخضر بغير أجره لمعرفة الخضر بالصلاح . والله أعلم . ومنها الحث على التواضع في علمه وغيره ، وأنه لا يدعى أنه أعلم الناس ، وأنه إذا سئل عن أعلم الناس يقول : الله أعلم ، ومنها بيان أصل عظيم من أصول الإسلام ، وهو وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع ، وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول ، ولا يفهمه أكثر الناس ، وقد لا يفهمونه كلهم كالقدر ، وموضع الدلالة : قتل الغلام ، وخرق السفينة فإن صورتها صورة المنكر ، وكان صحيحا في نفس الأمر له حكم بينة ، ولكنها لا تظهر للخلق ، فإذا أعلمهم الله تعالى بها علموها ولهذا قال : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف : ٨٢] . يعنى : بل بأمر الله تعالى .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (٣٤٠١) ومسلم (رقم : ٢٣٨٠) (٤ / ١٨٤٧) وأبو دارد (٤٧٠٧) والترمذى (٣١٤٩) والنسائي في « الكبرى » (٦ / ٣٨٦) وأحمد (١١٨/٥ ، ١١٩ ، ..) وعبد بن حميد (المنتخب ١٩٩) .

(٢) وقد كَلَّمَ الله غيره من الأنبياء كنبينا محمد ﷺ ، لكن موسى عليه السلام نال مزيدا من ذلك .

(٣) وعليه : فإننا ثبت لله صفة من صفاته العليا ، ألا وهى : « صفة الكلام » فالله يتكلم بكلام يُسمع له صوت ويخرف كما هو مذهب السلف الصالح - رحمهم الله - .

○ وقال تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾

[مريم: ٥٢].

○ وقال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [الاعراف : ١٤٣] .

○ أخرج الإمام مسلم - رحمه الله - في « صحيحه » ^(١) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم وموسى . قال : أنت آدم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلي الأرض ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه ، وأعطاك من الألواح فيها نبيان كل شيء وقربك لحجياً ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاماً ، قال آدم : فهل وجدت فيها : وعصى آدم ربه فغوى ؟ (٢٠ / ط : ١٢١) قال : نعم ، قال : أفتلومني على أن عملت ما كتبه الله عليّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله ﷺ : « فحج آدم موسى » .

○ وفي « الصحيحين » ^(٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « احتج آدم وموسى فقال موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ، فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته ، وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قدّر عليّ قبل أن أخلق ؟ فقال رسول الله ﷺ : فحج آدم

(١) (٢٦٥٢) .

(٢) خ (٣٤٠٩) وم (٢٦٥٢) .

موسى « مرتين .

○ وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم ... (وفيه : اتوا إبراهيم ، فيقول إبراهيم) : ائتوني موسى الذى كلمه الله ... الحديث » (١)

● سؤالات موسى

● عليه السلام لربه عز وجل

○ عن المغيرة بن شعبة يحدث عن المنبر عن رسول الله ﷺ قال : « سأل موسى ربه ، ما أدنى أهل النار منزلة ؟ قال : هو رجل يجيئ بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة . فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول : أى رب ! كيف ؟ وقد نزل الناس منازلهم ، وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ! فيقول : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ! فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله . ولك ما اشتئت نفسك . ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب ! قال : رب ، فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت ، غرست كرامتهم بيدي ، وختمت عليها ، فلم تر عين ، ولم تسمع أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصادقه في كتاب الله عز وجل : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ » (٢)

[٣٢ / السجدة الآية ١٧]

(١) أخرجه البخارى (٦٥٦٥) ومسلم (١٩٣) .

(٢) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٨٩) .

● وحيُّ الله عزَّوجلَّ لنبيه موسى

عليه السلام في رجلين قد انتسبا في زمنه ●

أحدهما انتسب إلى أبيه وعشيرته ، والآخر انتسب إلى الإسلام ، فأوحى الله إلى عبده ونبيه موسى عليه السلام بما ورد في هذا الحديث الآتي .

○ عن أبي كعب قال : انتسب رجلان على عهد رسول الله ﷺ ، فقال أحدهما : أنا فلان ابن فلان ، فمن أنت لا أم لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : انتسب رجلان على عهد موسى عليه السلام ، فقال أحدهما : أنا فلان ابن فلان حتى عدتُّ تسعة ، فمن أنت لا أم لك ؟ قال : أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام ، قال : فأوحى الله إلى موسى عليه السلام ، إن هذين المتنسبين ، أما أنت أيها المتتمى أو المتنسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم ^(١) ، وأما أنت يا هذا المتنسب إلى اثنين في الجنة ، فأنت ثالثهما في الجنة ^(٢) .

(١) قوله : « أما أنت أيها المتتمى أو المتنسب إلى تسعة في النار فأنت عاشرهم » . قال شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوي في « الصحيح المسند من الأحاديث القدسية » ^(١) :

« وهذا منزلق خطير رَأَتْ فيه أقدام كثير من المسلمين فتسربت إلى قلوبهم أنواع من العصبيات الجاهلية : فمنهم من تعصب لشعبه وبنى جنسه .

ومنهم من تعصب لقبيلته وعشيرته .

ومنهم من تعصب لحزبه وجماعته .

ومنهم من تعصب لأصحاب مهته وحرفته .

إلى غير ذلك من سائر العصبيات الجاهلية التتة التي ما أنزل الله بها من سلطان التي فرقت شعوب المسلمين ، وصفوف المسلمين ، وقلوب المسلمين ، وفرقت وحدتهم =

= وجماعتهم ، وشت شملهم ، وتسبب في قتل سرائهم ، وإشعال الفتن ، وإثارة القلاقل بينهم ، فإلى الله المشتكى ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقد تحققت أحاديث رسول الله ﷺ الواردة في ذلك . ا.هـ المراد .

(٢) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١٢٨ / ٥) وعزاه المزي في « تحفة الأشراف » للنسائي في عمل اليوم والليلة . وعبد بن حميد في (المنتخب ١٧٩) وانظر «الصحيحة» (٣ / ٢٦٥) للشيخ الألباني عليه رحمة الله وله طريق آخر عند أبي داود (٤٧٨٠) وغيره لكنه منقطع ، ففي إسناده ابن أبي ليلى وهو لم يسمع من معاذ .

● معجزات موسى ﷺ ●

فقد أظهر الله سبحانه على يديه من الآيات ما يعجز أقوى القوى على
ظهر الأرض ، عن الإتيان بمثلا ، فأيده الله من الآيات والمعجزات ما قد
تحدى بها قومه ، وأظهره بها عليهم .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ ^(١) [الإسراء : ١٠١] .

وهي العصا ، واليد ، وغيرهما مما هو مذكور في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ
أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ ^(١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ
قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(١٣١) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ^(١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ [الاعراف : ١٣٠ - ١٣٣] .

● تلبية موسى ﷺ ●

○ أخرج مسلم في « صحيحه » ^(٢) من حديث ابن عباس رضى الله
عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادى الأزرق فقال : « أى واد هذا ؟ فقالوا :
هذا وادى الأزرق ، قال : كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الشنية ،
وله جوار ^(٣) إلى الله بالتلبية » .

وفي رواية : « كأنى أنظر إلى موسى ﷺ فنعت من طوله وشعره ولونه

(١) وقد كانت معجزة كل نبي تناسب حال القوم الذين أرسل إليهم ، فلما كان السحر
متفشياً في قوم فرعون ، جاءهم موسى ﷺ بالعصا التى تلف ما يافكون ، وغير ذلك
مما هو مذكور في الأصل .

(٢) (برقم ١٦٦) وسبأني في فضائل نبي الله يونس ﷺ .

(٣) الجوار : الابتهاال ورفع الصوت .

واضعاً إصبعين في أذنيه له جوار إلى الله ماراً بهذا الوادى ... الحديث .

● قول النبي ﷺ :

« أنا أولى بموسى منهم » ●

ويعني بذلك صيام يوم عاشوراء حين صامه اليهود ، فصامه وأمر بصيامه :

○ أخرج الشيخان ^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ : « لما قدم إلى المدينة وجدهم يصومون يوماً - يعنى يوم عاشوراء ، فقالوا : هذا يوم عظيم ، وهو يوم نجي الله فيه موسى ، وأغرق آل فرعون ، فصام موسى شكراً لله ، فقال : أنا أولى بموسى منهم ، فصامه وأمر بصيامه » .

○ وعن أبي هريرة قال : « مر النبي ﷺ بأناسٍ من اليهود قد صاموا يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا من الصوم ؟ قالوا : هذا اليوم الذى نجي الله موسى وبنى إسرائيل من الغرق ، وغرق فيه فرعون ، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي ، فصامه نوح وموسى شكراً لله تعالى ، فقال النبي ﷺ : أنا أحق بموسى ، وأحق بصوم هذا اليوم ، فأمر أصحابه بالصوم » ^(٢) .

(١) البخاري (٣٣٩٧) وفي مواضع أخرى ، ومسلم (١١٣٠) وأحمد (٢٩١/١) .

(٢) أخرجه أحمد (٣٥٩ / ٢) . وإسناده ضعيف ، وتشهد له رواية الصحيحين التي

مضت - دون قصة نوح عليه السلام - ففيها غرابة ، والله أعلم .

● تعلق موسى عليه السلام

● بقائمة من قوائم العرش يوم القيامة

○ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إننى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة ، فإذا موسى متعلق بالعرش ، فلا أدري أكذلك كان ، أم بعد النفخة » (١) .

○ وأخرج البخاري ومسلم (٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : « استب رجل من المسلمين ، ورجل من اليهود ، فقال المسلم : والذي اصطفي محمداً ﷺ على العالمين - في قسم يقسم به - فقال اليهودى : والذي اصطفي موسى على العالمين . فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودى ، فذهب اليهودى إلى النبى ﷺ ، فأخبره الذى كان من أمره ، وأمر المسلم ، فقال : « لا تخبرونى على موسى ، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش (٣) بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق (٤) ، فأفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله » (٥) .

(١) أخرجه البخارى (٤٨١٣) .

(٢) خ (٣٤٠٨) و (م رقم : ١٦٠) (ص : ١٨٤٤) .

(٣) البطش : الأخذ بقوة ، وأخذ بجانب من العرش أى بشئ من العرش بقوة .

(٤) قال النووى - رحمه الله (شرح مسلم ١٥ / ١٣٠) : « الصعق والصعقة : الهلاك والموت ، ويقال منه : صعق الإنسان ، وصُعِقَ بفتح الصاد وضمها ، وأنكر بعضهم الضم . . » .

(٥) قال الطحاوى في « المشكل » (٣ / ٥٤) : يعنى بذلك استثنى الله عزوجل بقوله :

﴿ فَصَيَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الزمر : ٦٨] .

○ وفي رواية أبي سعيد الخدري عند الشيخين ^(١) أيضاً : « لا نخبروني من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري ، أفاق قبلي ، أم جوزى بصعقة الطور » .

● وفاة موسى ●

وقد طلب من ربه سبحانه أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، ليدفن فيها .

○ ففي الصحيحين ^(٢) (البخارى ومسلم واللفظ له) من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك ، قال : فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ، قال : فرجع الملك إلى الله تعالى ، فقال : أرسلتنى إلى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عينى ، قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إلى عبدى فقل : الحياة تريد؟ فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ^(٣) ثور فما توارت يدك ^(٤) من شعره ، فإنك تعيش بها سنة ، قال : ثم مه؟ قال : ثم تموت ، قال : فالآن من قريب رب أمتنى من الأرض المقدسة رمية بحجر ^(٥) ، قال رسول الله ﷺ : والله

(١) (خ ٤٦٣٨) و (م ٢٣٧٤) .

(٢) البخارى (٣٤٠٧) ، (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢) (ص ١٨٤٣) والنسائي (٤ /

١١٨) وأحمد (٢ / ٢٦٩) وابن حبان كما في « الإحسان » (٦٢٢٣) .

(٣) متن ثور أى جلد ثور .

(٤) فما توارت يدك أى ما غطت يدك .

(٥) قال الحافظ في (الفتح ٣ / ٢٠٧) أى : قدر رمية حجر أى ادنى من مكان إلى الأرض المقدسة هذا القدر أو ادنى إليها حتى يكون بينى وبينها هذا القدر ، وهذا الثانى أظهر وعليه شرح ابن بطال وغيره .

لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر « (١) .

● فصل في حديث موسى مع ملك الموت ●

○ قال أبو القاسم الأصبهاني في « الحجة في بيان المحجة » (٢ / ٤٠٨) :
« وهذا حديث أهل الحفظ بصحته ، وحمله أهل السنة على ظاهره ، وأن ذلك الفعل كان من موسى عليه السلام على الحقيقة » .

○ وقال أبو حاتم ابن حبان - رحمه الله - كما في « الإحسان » (١٤ / ١١٤-١١٦) : إن الله عز وعلا بعث رسول الله ﷺ معلماً لخلقهِ ، فأنزله موضع الإبانة عن مراده ، فبلغ ﷺ رسالته ، وبين عن آياته بالفاظ مجملة ومفسرة ، عقلها عنه أصحابه أو بعضهم ، وهذا الخبر من الأخبار التي يدرك معناه من لم يحرم التوفيق لإصابة الحق .

وذاك أن الله جل وعلا أرسل ملك الموت إلى موسى رسالة ابتلاء واختبار ، وأمره أن يقول له : أجب ربك ، أمر باختبار وابتلاء ، لا أمراً يريد الله جل وعلا إمضائه كما أمر خليله صلى الله على نبينا وعليه بذبح ابنه أمر اختبار وابتلاء دون الأمر الذي أراد الله جل وعلا إمضائه ، فلما عزم على ذبح ابنه ، وتله للجبين ، فداه بالذبح العظيم .

وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها كدخول

(١) قال في « اللسان » (٣٨٢٦) : « والكثيب من الرمل : القطعة تنقاد مُحدَرَدَةً ، وقيل : هو ما اجتمع واحدودب ، والجمع أكثبة ، وكثب وكثبان ، مشتق من ذلك ، وهى تلال الرمل ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِلًا ﴾ [الزمل : ١٤] قال الفراء : الكثيب الرمل ، والمهيل : الذى تحرك أسفله ، فينهال عليك من أعلاه »

الملائكة على رسوله إبراهيم ولم يعرفهم ، حتى أوجس منهم خيفة ،
وكمجئ جبريل إلى رسول الله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام فلم
يعرفه المصطفى ﷺ حتى ولى .

فكان مجئ ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه
موسى عليه السلام عليها ، وكان موسى غيوراً فرأى في داره رجلاً لم
يعرفه ، فشال يده فلطمه فانت لطمته على فقه عينه في الصورة التي يتصور
بها ، لا الصورة التي خلقه الله عليها ، ولما كان المصريح عن نبينا ﷺ في
خبر ابن عباس ، حيث قال : « أمني جبريل عند البيت مرتين » فذكر الخبر ،
وقال في آخره : « هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك ^(١) كذا في هذا الخبر البين
الواضح أن بعض شرائعنا قد تتفق ببعض شرائع من قبلنا من الأمم .

ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل داره بغير إذنه ، أو الناظر
إلى بيته بغير أمره من غير جناح على فاعله ، ولا حرج على مرتكبه ،
للأخبار الجمة الواردة فيه التي أمليناها في غير موضع من كتبنا ^(٢) - كان
جائزاً اتفاق هذه الشريعة بشرعية موسى بإسقاط الحرج عمن فقأ عين الداخل
داره بغير إذنه ، فكان استعمال موسى ها الفعل مباحاً له ، ولا حرج عليه
في فعله .

فلما رجع ملك الموت إلى ربه ، وأخبره بما كان من موسى فيه ، أمره
ثانياً بأمر آخر ، أمر اختبار وابتلاء كما ذكرنا قبل ، إذ قال الله له : قل له :

(١) انظر : « يواقيت الفلاة في مراقبات الصلاة » (٣٠) فقد حسنه شيخنا هناك بمجموع
طرقه .

(٢) انظر : (صحيح البخارى ٦٩٠٠ - ٦٩٠٢) ، ومسلم (٢١٥٨) .

إن شئت ، فضع يدك علي متن ثور ، فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة فلما علم موسى - كليم الله - صلى الله على نبينا وعليه أنه ملك الموت ، وأنه جاء بالرسالة من عند الله ، طابت نفسه بالموت ، ولم يستمهل ، وقال: فالآن .

فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت ، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به ، ضد قول من زعم أن أصحاب الحديث حمالة الخطب ، ورعاة الليل ، يجمعون ما لا ينتفعون به ، ويروون ما لا يؤجرون عليه ، ويقولون بما يبطله الإسلام ، جهلاً منه لمعاني الأخبار ، وترك التفقه في الآثار ، معتمداً منه على رأيه المنكوس ، وقياسه المعكوس^(١) .

(١) انظر في ذلك جملة أبحاث : في « الفتح » (٦ / ٥١٠) ، « وشرح مسلم للنووي » (١٥ / ١٢٨) ، « وشرح السنة للبغوي » (٥ / ٢٦٦) .

وقد قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على « المسند » (عقب حديث رقم ٨٦٠١) : « ولا يعترض على هذا الحديث ، بما أورده البعض من شبه ، فإن الإجابة عليها واضحة :

أولاً : لو قيل إن فقاً العين ظلم ، فكيف يقع من نبي ؟
لنجيب : بأن موسى ما كان ليعلم أنه ملك الموت ، وأن الله بعثه إليه ، بل حسب أنه إنس ، كما حسب إبراهيم ولوط الملائكة الذين جاؤهما أناس ، فكان دفاعه عن نفسه أمراً واجباً ، وربما حسب أن الملك ليس ملزماً بقبض روحه فطلب الإمهال ، ولعله لا يقصد فقاً العين ، كما حدث مع القبطي الذي قتله عندما أراد تخليص الإسرائيلي منه ، فكانت الضربة القاضية عليه .

ثم لا مانع أن يكون إرسال الملك ليتوفاه ، ليس على الإلزام ، فقد ورد في الصحيح أن الأنبياء لا يموتون حتى يخبروا بين الموت والحياة ، فإن الملك كان على أن الموت في تلك الساعة غير واجب ، ولذا لم يسارع بتوفيه » . ١ . ه .

● رؤية النبي ﷺ

له وهو يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر●

○ عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « مررت على موسى ليلة أسرى بي عند الكثيب الأحمر ، وهو قائم يصلي في قبره » (١) .

● صفته ﷺ

○ أخرج البخاري ومسلم (٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلاً طوالاً كأنه من رجال شنوءة ... » الحديث .

○ وأخرج مسلم (٣) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ، وفيه : « وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلي ، فإذا رجل ضرب (*) جعد (**) كأنه من رجال شنوءة ... » الحديث . . . شنوءة حي

(١) أخرجه مسلم (٢٣٧٥) ، وأحمد (٣ / ١٢٠ ، ١٤٨) ، والنسائي (٣ / ٢١٥) ، (٢١٦) وفي « الكبرى » (١٢٣٧ ، ١٢٣٨) وأبو يعلى (٢٣٢٥) وابن حبان كما في « الموارد » (١ / ٢٤٢) .

(٢) (برقم : ٣٢٣٩) ومسلم (١٦٥) (ص ١٥١) وسيأتي في صفة عيسى ﷺ .
(٣) (١٧٢) وهو في الصحيحين بسياق آخر . (البخاري ٣٣٩٤ ومسلم ١٦٨) من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(*) أي : نحيف . وتؤيدها رواية : « كأنه من رجال الزط » .

(**) وفي رواية في « الصحيح » (٣٤٣٨) : « وأما موسى فأدم جسم سبط » . قال الحافظ : « أي ليس بجعد ، وهذا نعت لشعر رأسه » . وقوله : « جسيم » كيف يجمع بينه وبين قوله : « ضرب من الرجال » يعني : خفيف اللحم ؟ وأجاب الحافظ بأنه لا مانع أن يكون مع كونه خفيف اللحم . جسيماً بالنسبة لطوله . «فتح» ٥٥٩/٦ .

من اليمن ، قاله الحافظ .

وفي الصحيحين ^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ... وأما موسى فجعد آدم على جمل أحمر مخطوم بخلبة ، كأني أنظر إليه انحدر في الوادي » .

○ وأخرج أحمد ^(٢) بإسنادٍ صحيح من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ (فذكر الحديث وفيه) : « ورأيت موسى أسحم ^(٣) آدم كثير الشعر . شديد الخلق » .

○ وأما جسده عليه السلام ، فهو أحسن ما خلق الله عز وجل ^(٤) كما ورد في سياق حديث : « إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً ... وكانت بنو إسرائيل يفتسلون عراة .. الحديث بطوله وفيه : فأواه عرياناً أحسن ما خلق الله » . وقد سبق في باب حياء موسى ﷺ .

(١) سبق في باب صفة إبراهيم ﷺ .

(٢) سبق في باب صفة إبراهيم ﷺ .

(٣) أسحم : أي أسود .

(٤) كما ورد في رواية بلفظ : « كأحسن الرجال خلقاً » .

من فضائل هارون عليه السلام ^(١)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(١) وهارون هو نبي وأخوه نبي وهو الكليم موسى - ابنا عمران عليهما الصلاة والسلام - ، أثنى الله سبحانه وتعالى عليه في كتابه ، وذكره في جملة من ذكره من الأنبياء ، وأنه كان نبياً مرسلأ مع أخيه موسى عليهما السلام ، وكيف كان بينهما من ترابط وقوة مؤازرة وصلّة في مجال الدعوة إلى الله ، فبين الله كيف كان الجهد الذي بذلاه في مواجهة أعدى الأعداء وهو فرعون الطاغية ، وقومه المسرفين ، فكانت النصرّة والغلبة لهما والهلكة لأعدائهم تعالى ؛ والعاقبة للمتقوى فصلوات الله عليه وعلى أخيه الكليم موسى وعلى جميع أنبيائه وسلم .

تنبيه : نقل غير واحد من المؤرخين أن هارون توفي قبل أخيه موسى ، ومنهم الحافظ ابن كثير رحمه الله قال : « قالذي عليه الجمهور أن هارون توفي بالتيه قبل موسى أخيه بنحو من ستين ، وبعده موسى في التيه أيضاً كما قدمنا ، وأنه سأل ربه أن يقربه إلى بيت المقدس فأجيب إلى ذلك » ١ . ه .

قلت : وليس معنا دليل من كتاب أو سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ يفيد ما ذكر ، فنترقب إلي حين يأتي الدليل ، وإن كان الحافظ ابن كثير قد نقل ذلك عن الجمهور والله أعلم .

● بعثته ﷺ ●

فقد كان هارون مبعوثاً من قبل الله عز وجل كأخيه موسى ﷺ ، وهو من الأنبياء المنصوص على نبوتهم ، وعلى الإيحاء إليهم ، وأنه كان نبياً مرسلًا ﷺ (١) .

○ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٣] .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴾ [المؤمنون : ٤٥ - ٤٦] .

○ وقال الله تعالى لموسى وهارون : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرُقَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَايَةً مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه : ٤٣ ، ٤٧ - ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٨٧] .

وقد أثنى عليه ربه سبحانه ، وذكره مع عدد من أنبيائه ، فقال تعالى - حاكياً عن إبراهيم - : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ

(١) وهذا من فضل الله عز وجل ، ثم من فضل أخيه موسى عليه السلام عليه ، إذ قد دعا له عليه السلام أن يكون مساعداً له ، ووزيراً كذلك ، كما حكى الله ذلك في كتابه . وكما قال بعض العلماء : إن هذه أفضل دعوة دعاها أخ لأخيه .

يَكْفُرُ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أَوَلَمْ تَكُ الذِّينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ ﴿ [الانعام : ٨٤ ، ٨٩ - ٩٠] .

● رسالته إلى فرعون

مع أخيه موسى عليهما السلام ●

فقد أرسلنا إلى فرعون وقومه بالحجة والبرهان ، ودعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، إذ هي دعوة المرسلين أجمعين .

○ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْزِلْ لَنَا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿ [المؤمنون : ٤٥ - ٤٨] .

وقال الله لنبية موسى ﷺ : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا ^(١) فِي ذِكْرِي ﴿٤٦﴾ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٧﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٨﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٩﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٥٠﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٥١﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿ [طه : ٤٢ - ٤٨] .

(١) أى لا تفتروا في ذكرى إذا قدمتما عليه ، ووفدتما عليه ، فإن ذلك عون لكما على مخاطبته ومحاربته ، وأداء النصيحة إليه ، وإقامة الحجة عليه . قاله الحافظ ابن كثير .

● مؤازرة هارون

● لأخيه موسى في مجال الدعوة

فلم يكن ثمَّ شقاق ، ولا اختلاف بينهما ، بل كان كلُّ منهما معيَّناً للآخر ومساعداً له في أداء الرسالة ، وقد جعله الله تعالى وزيراً لموسى عليهما الصلاة والسلام .

○ قال موسى ﷺ : ﴿ وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ^(٢٩) هَرُونَ أَخِي ^(٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ^(٣١) وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي ^(٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ^(٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ^(٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ^(٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿ [طه : ٢٩ - ٣٦] .

○ وقال أيضاً ﷺ : ﴿ وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ^(٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿ [القصص : ٣٣ - ٣٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيرًا ﴿ [الفرقان : ٣٥] .

○ وفي « الصحيحين » ^(١) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

(١) البخاري (حديث ٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) وهذا لفظه .

● شهادة الله لهارون بالبلاغ ^(١)

○ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه : ٩٠] .
 أى : إنما فتنتم بالعجل ، وقد جعل لكم فتنة واختباراً .

● دعاء موسى وتأمين هارون ^(٢)

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٨٨ ، ٨٩] .

(١) وذلك لما نهاهم وزجرهم وحذرهم من عبادة العجل ، فلم يطيعوه ولم يتبعوه ، فاقبل موسى على أخيه هارون عليهما السلام قائلاً له : ﴿ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٨٧) أَلا تَتَّبِعَنِ ﴾ [طه : ٩٢ - ٩٣] . أى هلا لما رايت ما صنعوا اتبعنتى فأعلمتني بما فعلوا .
 ﴿ أَفَقَصَّتْ أَمْرِي ﴾ [طه : ٩٣] . وأقبل يحجره من رأسه ولحيته .
 كما قال تعالى : ﴿ وَآخِذْ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الاعراف : ١٥٠] .
 وكما قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا بَنُوؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [طه : ٩٤] . فأبان هارون عذره في ذلك بعد إبلاغه وتحذيره إياهم حيث قال : ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَفُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الاعراف : ١٥٠] ، وقال : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه : ٩٤] ، فنهاهم هارون عليه السلام عن هذا الصنيع وزجرهم عنه أيما زجر ، ولكن كان حال القوم الإباء والرفض والعتاد ، حيثذ قال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الاعراف : ١٥١] .

(٢) قال الترمذى الحكيم في (نواذر الأصول) :

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا رزين مؤذن مسجد =

= هشام بن حسان ، قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أعطى أمتي ثلاثاً لم تُعط أحدًا قبلهم السلام ، وهو تحية أهل الجنة ، وصفوف الملائكة ، وآمين ، إلا ما كان من موسى وهارون » . رزين الصواب زربي كما في رواية ابن خزيمة .

نقلنا هذا السند والمتن من القرطبي في تفسير سورة الفاتحة الباب الثالث .
وأخرجه ابن خزيمة في « صحيحه ١٥٨٦ » : قال حدثنا محمد بن معمر القيسي ، قال حدثنا أبو عامر . ح ، وحدثنا محمد بن معمر أيضاً قال : حدثنا حرمي بن عمار عن زربي ، مولى لآل المهلب ، قال سمعت أنس بن مالك يقول : « كنا عند النبي ﷺ جلوساً ، فقال : إن الله أعطاني خصالاً ثلاثاً وأعطاني التأمين ، ولم يعطه أحدًا من النبيين قبل ، إلا أن يكون الله أعطى هارون ، يدعو موسى ، ويؤمن هارون » .
والحديث ضعيف ، ففي سنده زربي ، وهو ابن عبد الله الأزدي إمام مسجد هشام بن حسان قال فيه البخاري : فيه نظر ، وقال ابن عدي : أحاديثه بعض متونها منكورة ، وقال الحافظ : ضعيف .

قلت (محمد) : وقد توبع من أوفى كما عند الترمذي الحكيم في المنهيات (ص ٢٣١) باب الانحناء أو السجود لغير الله ، وهذا هو السند : حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أوفى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى أعطاني ثلاث خصال وذكره » . وأظن أن (أوفى) صحفت والصحيح (زربي) والله أعلم .

قال القرطبي في « تفسير سورة الفاتحة - الباب الثالث » (١ / ٩١ ، ٩٢ دار الكتب العلمية) : كلمة آمين لم تكن قبلنا إلا لموسى وهارون عليهما السلام . ذكر الترمذي الحكيم ثم ذكره وقال : قال أبو عبد الله : معناه أن موسى دعا على فرعون ، وأمن هارون ، فقال الله تبارك اسمه عندما ذكر دعاء موسى في تنزيله : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس: ٨٩] . ولم يذكر مقالة هارون ، وقال موسى : ربنا ، فكان من هارون التأمين فسماه داعياً في تنزيله ، إذ صير ذلك منه دعوة ، وقد قيل : إن آمين خاص لهذه الامة ، لما روى عن النبي ﷺ أنه قال : « ما حسدتكم اليهود على شيء ، ما حسدتكم علي السلام والتأمين » أخرجه ابن ماجه من حديث حماد بن سلمة عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ فقال الحديث . =

● ومن فضائله

بقاؤه في إحدى السموات ●

فقد رآه رسولنا محمد ﷺ في ليلة الإسراء في السماء الخامسة .

○ ففي صحيح البخارى ^(١) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة : أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به : « حتى أتى السماء الخامسة ، فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فردّ ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح » .

= وأخرج أيضاً من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « ما حسدتكم اليهود على شئ ما حسدتكم على آمين ، فأكثروا من قول آمين » .

قال علماؤنا - رحمة الله عليهم : إنما حسدنا أهل الكتاب لأن أولها حمد الله ، وثناء عليه ، ثم خضوع له واستكانة ، ثم دعاء لنا بالهداية إلى الصراط المستقيم ، ثم الدعاء عليهم مع قولنا آمين . ١ . هـ .

قلت - (محمد) - : قوله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس : ٨٩] ، من خطاب الواحد بلفظ الاثنين ، فالخطاب من الله لموسى وحده ، لأنه الداعى ، كقوله تعالى : ﴿ أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ ﴾ [ق : ٢٤] ، والخطاب لمالك خازن النار ، وقيل : لخزنة النار والزبانية ، فيكون من خطاب الجميع بلفظ الاثنين ، وقيل : للملكين الموكلين في قوله : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق : ٢١] فيكون على الأصل . فقوله ﴿ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا ﴾ خطاب لموسى وحده ، وقيل : لهما ، لأن هارون آمن على دعائه والمؤمن أحد الداعيين [الإتقان ٣ / ٩٠ للسيوطي - رحمه الله - دار الفكر] .

(١) (حديث : ٣٣٩٣) .

من فضائل يوشع عليه السلام^(١)

(١) وهو من الأنبياء الذين لم يُنص عليهم في الكتاب العزيز باسمه ، ولكنه مذكور مُصرَّحاً باسمه في السنة الصحيحة . كما سيأتي إن شاء الله .

● من فضائل

● نبي الله يوشع عليه السلام^(١)

وهو يوشع بن نون^(٢) ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿ [الكهف : ٦٠ - ٦٥] .

وهذه الآيات فيها منقبة عظمى لنبي الله يوشع عليه السلام ، إذ كان مصاحباً لنبي الله موسى ﷺ - وهو من أولى العزم من الرسل - ، فكان معاوناً ومرافقاً له في أسفاره ، فصلوات الله عليهما وعلى جميع رسله وعلى نبينا وسلم .

وقد ورد في السنة شيء من معجزات هذا النبي الكريم ، فمن ذلك :

(١) وقد كان مصاحباً لنبي الله موسى عليه السلام في رحلته للخضر .

(٢) كما صرّحت بذلك رواية الصحيحين في قصة موسى مع الخضر ، وقد سبق ذكرها بطولها . وانظر : (« صحيح البخاري » حديث ٣٤٠١) .

● تأخر الشمس عن وقت الغروب

إجابة من الله له بعد أن قام بدعائه ●

○ ففي « مسند أحمد » و « الطحاوى في المشكل » وغيرهما ^(١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس » .

وقد ورد هذا الحديث في سياق أتم من هذا ، فقد أخرج البخارى ومسلم في « صحيحهما » ^(٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « غزا نبى من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجل ملك بضغ امرأة ، وهو يريد أن يبنى بها ، ولما بين بها ، ولا أحد بنى بيوتاً ، ولم يرفع سقفها ، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات ، وهو ينتظر ولادها ، فغزا ، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه ^(٣) ، فجمع الغنائم

(١) حديث حسن . وأخرجه أحمد (٣٢٥ / ٢) والطحاوى في « المشكل » (٢ / ١٠) ويعقوب بن سفيان في « المعرفة والتاريخ » (٢ / ١٧٢) من طريق : أبي بكر - وهو ابن عياش - عن هشام بن حسان عن ابن سيرين به . قلت : إسناده حسن ، من أجل أبي بكر ابن عياش ، وفيه كلام لا ينزل عن رتبة الحسن ، وقد قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٢٥٥) : « رجال إسناده محتج بهم في الصحيح » .

(٢) خ (٣١٢٤) وم (١٧٤٧) .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٢٥٥) : « وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدة

فوالله لا أدرى أحلام نائم المت بنا أم كان في الركب يوشع

ثم قال : ولا يعارضه (أى : حبس الشمس ليوشع) ، ما ذكره يونس بن بكير في =

فجاءت - بمعنى النار - لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولا ، فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده ، فقال فيكم الغلول ، فليبايعني قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب ، فوصفوها فجاءت النار فأكلتها ، ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا ، فأحلها لنا .

= « زيادته » في « مغازي ابن إسحاق » : « أن النبي ﷺ لما أخبر قريشاً صبيحة الإسراء أنه رأى العير التي لهم ، وأنها تقدم مع شروق الشمس ، فدعا الله فحبست الشمس حتى دخلت العير » .

وهذا منقطع ، لكن وقع في « الأوسط للطبراني » من حديث جابر : « أن النبي ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار » وإسناده حسن ، ووجه الجمع أن الحصر محمول على ما مضى للأنبياء قبل نبينا ﷺ ، فلم تحبس الشمس إلا ليوشع ، وليس فيه نفى أنها تحبس بعد ذلك لنبينا ﷺ .

(١) من فضائل يونس عليه السلام

﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

(١) وهو ابن متى ، كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ ، ولقبه رسول الله ﷺ أيضاً - كما يأتي - بـ « ذى النون » وكما قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] .

قال أبو إسحاق الثعلبي في « عرائس المجالس » (ص ٤٦٠) :

« قيل : متى أمه ، ولم يُنسب أحد من الأنبياء إلى أمه ، إلا عيسى ابن مريم ، ويونس ابن متى عليهما السلام » .

قلت : وهذا يحتاج إلى دليل يفيد بأن : « متى » اسم امرأة ، فهناك من الأسماء ما تشترك بين النساء والرجال سواء كاسم « هنيذة » و « جهاد » وعليه ؛ فلا نستطيع تمييز ذلك الاسم إلا بقرينة تثبت هذا أو ذاك والله تعالى أعلم .

قلت (محمد) : وقد قلت هذا الكلام بادئ ذي بدء ثم لما اطلعت ونظرت ، فوجدت رواية « الصحيحين » (البخاري ٣٤١٣ ومسلم ١٥ / ١٣٤ نووي) عن ابن عباس مرفوعاً : « ما ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » ونسبه إلى أبيه .

قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٢١) :

« وأما قوله في الرواية الأولى : « ونسبه إلى أبيه » ففيه إشارة إلى الرد على من رعم أن « متى » اسم أمه وهو محكي عن وهب بن منبه في « المبتدأ » وذكره الطبري ، وتبعه ابن الأثير في « الكامل » والذي في الصحيح أصح .
وقال الحافظ كذلك في « فتحه » (٦ / ٥٢٠) : « ووقع في تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه ، وهو مردود بما في حديث ابن عباس في هذا الباب : « ونسبه إلى أبيه » فهذا أصح » . انتهى .

● موجز ما ورد فيه في الكتاب العزيز ●

● نبوته ورسالته ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يُؤْسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ (١) إِلَى الْفَلَكِ الْمَشْهُونَ (٢) ﴿ فَسَاهَمَ (٣) فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (٤) ﴾ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (٥) ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (٦) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧) ﴾ (١٤٤) فَنبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ (٦) وَهُوَ سَقِيمٌ (٧) ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ (٨) ﴾ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَأَمْتُوا فَمَتْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿ [الصافات ١٣٩ - ١٤٨] .

● ثناء ربه عليه ●

فقد ذكره مع عددٍ من أنبيائه ورسله ، فقال : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٩) ﴾ .

-
- (١) أي : من ربه ضبا له ظاناً أنه لا يقدر عليه .
 (٢) أي : المملوء بالأمّعة . فنقلت السفينة ، فاحتاجوا إلى إلقاء بعض الركاب .
 (٣) أي : قارع .
 (٤) أي : المغلوبين .
 (٥) أي : فاعل ما يلام عليه ، وهو مغاضبته لربه .
 (٦) أي : الأرض الحالية التي ليس فيها نبت ولا بناء .
 (٧) أي : ضعيف البدن .
 (٨) اليقطين : هو القرع ، وكل شجرة لا ساق لها ، فهي من اليقطين ، ومن فوائد اليقطين : سرعة نباته ، وتظليل ورقه لكبره ونعومته ، وأنه لا يقربها الذباب ، وجودة تغذية ثمره .
 (٩) أي عالمي زمانه . قال صاحب المنار (٧ / ٥٨٨) : « وما وجد من نبين فأكثر في عالم أرقوم ، فقد يكونون مع تفضيلهم على غيره متفاضلين في أنفسهم ، فلا شك أن إبراهيم أفضل من لوط المعاصر له ، وأن موسى أفضل من أخيه هارون الذي كان وزيره ، وأن عيسى أفضل من ابن خالته يحيى صلوات الله عليهم أجمعين » .

ثم قال تعالى بعد ذلك : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ ﴿ [الانعام : ٨٨ ، ٩١ - ٩٢] .

● قول النبي ﷺ « لا ينبغي

لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » ●

○ أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » .

○ وفيهما أيضًا ^(٢) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » .

○ وأخرج البخاري ^(٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم إني خير من يونس » زاد بعض الرواة « يونس بن متى » .

قلت : وقد تفرد بعض الرواة فروى هذا الحديث وزاد فيه بأنه : « سُبْح

(١) خ (٣٤١٦) (٤٦٣١) و (م ٢٣٧٦) وأحمد (٢ / ٢٠٥ و ٤٦٨) والطحاوي في « معاني الآثار » (٤ / ٣١٦) . وعند البخاري (٤٦٠٤) بلفظ : « من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب » لكنها من رواية فليح بن سليمان وفليح هذا متكلم فيه . وكذا رواه الحاكم من طريق فليح (٢ / ٥٨٣ و ٥٨٤) .

(٢) خ (٣٣٩٥ و ٣٤١٣) وفي مواضع أخرى ، وم (٢٣٧٧) وأحمد (١ / ٢٤٢ و ...) وأبو داود (٤٦٦٩) والطحاوي في « معاني الآثار » (٤ / ٣١٦) .

(٣) (٣٤١٢ ، ٤٦٠٣) وأحمد (١ / ٣٩٠ ، ٤٤٠) .

الله في الظلمات » (١) .

وهذا كله من باب التواضع من نبينا ﷺ ، والله أعلم . كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله (٢) .

● دعوة ذى النون عليه السلام ●

ففيها من الفضل العليم لعامة المسلمين الذين حلَّ بهم همٌّ أو غمٌّ أو نزل بهم بلاءٌ أو كرب ، فيها تستجابُ الدعوات ، وتقضى الحاجات :

○ قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الانبياء : ٨٧ - ٨٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُعْثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣] .

○ وأخرج الترمذى في « سننه » (٣) : من حديث سعد بن أبي وقاص

(١) وقد أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه (١١ / ٥٤٠) والطحاوى في (المشكل ١ / ٤٤٧) والرازى في فوائده (كما في روائد الأجزاء المنتورة) (٨٧٨) وفي إسناده عبد الله بن سلمة ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه .

(٢) « انتخابه لقصص الأنبياء من البداية للحافظ ابن كثير » (ص ٢٩٦ بتحقيق الأخ الفاضل غنيم بن عباس) .

(٣) (برقم : ٣٥٠٥) ، وأحمد (المسند ١ / ١٧٠) ، والنسائي في (الكبرى ١٠٤٩٢ / ٦) ، والحاكم (٥٠٥ / ١) ، والبيهقى في (الشعب ٦٢٠) [الباب السبعين] . من طرق عن يونس بن أبي إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده به مرفوعاً .

قال : قال رسول الله ﷺ « دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له » . صححه شيخنا لشواهد^(١) .

وفي رواية للحاكم : « ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا ، دعا به يفرج عنه ؟ فقيل له : بلى ، فقال : دعاء ذي النون^(٢) لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » .

= قلت : وسند رجاله كلهم ثقات ، عدا يونس بن إسحاق فقيه كلام .
قال الحاكم : « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه » . وقال الذهبي : « صحيح » .

قلت : وللحديث متابعات تقويه عن سعد بن أبي وقاص ، انظر : « تخريج أحاديث الكشاف » للزيلعي ٢ / ٣٦٩ ، وأبي يعلى (٧٠٧) .

(١) في « الأذكار » .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية : « والمقصود أنه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللبية ، ويقتحم به لجج الموج الأجاجي ، فسمع تسييح الحيتان للرحمن ، وحتى سمع تسييح الحصى لفالق الحب والنوى ، ورب السموات السبع ، والأرضين السبع ، وما بينهما ، وما تحت الثرى ، فعند ذلك وهنالك ، قال ما قال ، بلسان الحال والمقال ، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال ، الذي يعلم السر والنجوى ، ويكشف الضر والبلوى ، سامع الأصوات وإن ضعفت ، وعالم الخفيات وإن دقت ، ومجيب الدعوات وإن عظمت ، حيث قال في كتاب المبين ، المنزل على رسوله الأمين ، وهو أصدق القائلين ، ورب العالمين ، وإله المرسلين : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ ﴾ أي إلى أهله ﴿ مَغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَمْرِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧ - ٨٨] .

انتهى كلام الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - .

وفي ختام هذا المبحث يقول العلامة السعدي - رحمه الله تعالى - عند تفسير هذه الآية الكريمة : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذُهِبَ مَغَاضِباً ﴾ : « أي : واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون وهو =

● تلبية يونس عليه السلام ●

○ أخرج مسلم في « صحيحه » ^(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرَّ بوادي الأزرق فقال : « أى وادٍ هذا ؟ فقالوا :

= يونس ، أى : صاحب النون ، وهى الحوت ، بالذكر الجميل ، والثناء الحسن ، فإن الله تعالى أرسله إلى قومه فدعاهم ، فلم يؤمنوا ، فوعدهم بنزول العذاب بآمد سماء لهم فجاءهم العذاب ، وراوه عياناً ، فعجزوا إلى الله ، وضجوا وتابوا ، فرفع الله عنهم العذاب ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] .

وقال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ (١٤٧) فَأَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [الصافات : ١٤٧ - ١٤٨] . وهذه الأمة العظيمة الذين آمنوا بدعوة يونس من أكبر فضائله ، ولكنه عليه الصلاة والسلام ذهب مغاضباً ، وأبق عن ربه للذنوب التى لم يذكرها الله لنا في كتابه ، ولا حاجة لنا إلى تعيينها لقوله : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ (١٤١) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (١٤١) فَالتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات : ١٤٠ - ١٤٢] ، أى : فاعل ما يلام عليه ، وظن أن الله ، لا يقدر عليه ، أى : يضيق عليه في الحوت ، أو ظن أنه سيفوت الله تعالى ، ولا مانع من عروض هذا الظن للكل من الخلق على وجه لا يستقر ، ولا يستمر عليه ، فركب في السفينة مع أناس ، فاقتنعوا ، مَنْ يلقون منهم في البحر ؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم ، فأصابته القرعة يونس ، فالتقمه الحوت ، وذهب فيه إلى ظلمات البحار ، فنادى في الظلمات : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] ، فأقر الله تعالى بكمال الألوهية ، ونزّهه عن كل نقص ، وعيب ، وآفة ، واعترف بظلم نفسه وجنابته .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (١٤٦) لَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٣] ، ولهذا قال هنا : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] ، أى : الشدة التى وقع فيها . ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] ، وهذا وعدٌ وبشارة ، لكل مؤمن وقع في شدة وغم ، أن الله تعالى سينجيه منها ، ويكشف عنه ويخفف ، لإيمانه كما فعل بـ « يونس عليه السلام » .

(١) (حديث ١٦٦) رواه عن أحمد كما في « المسند » (١ / ٢١٥ ، ٢١٦) ، وابن ماجه (٢٨٩١) ، وابن خزيمة (٢٦٣٢ ، ٢٦٣٣) ، وابن حبان في « صحيحه » (١ - ٣٨٠) .

هذا وادى الأزرق ، قال : كأنى أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية وله جوار إلى الله بالتلبية ثم أتى على ثنية هرشى ، فقال : أى ثنية هذه ؟ قالوا : ثنية هرشى ^(١) ، قال : كأنى أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة ^(٢) عليه جبة من صوف ، خطامُ ناقته خلبة ^(٣) ، وهو يلبي .

● ومن فضائله إيمان

الجم الغفير من قومه لدعوته ﷺ

○ قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَأَمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى

حِينَ ﴾ [الصافات : ١٤٧ - ١٤٨] .

وهذه مئة عظمى امتن الله بها عليه ، فصار هذا العدد الذي هو ﴿ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ في موازينه ، لأنه الداعي لهم ^(٤) .

وقال سبحانه : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس : ٩٨] .

(١) قال النووي - رحمه الله - : « هرشى بفتح الهاء ، وإسكان الراء ، والشين المعجمة ، مقصورة الألف ، وهو جبل على طريق المدينة قريب من الجحفة . وقال ياقوت : وهي ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر ، وله طريقان ، فكل من سلك واحداً منها أفضى به إلى موضع واحد . ولذلك قال الشاعر :

خذ أنف هرشى أو قفاها فإنما كلا جانبي هرشى لهن طريق » .

(٢) ناقة حمراء جعدة : أى مكشزة اللحم شديدة .

(٣) الخلبة : أى الليف .

(٤) قال السعدي - رحمه الله - :

« هذه الأمة العظيمة الذين آمنوا بدعوة يونس من أكبر فضائله » .

(١) من فضائل إلياس عليه السلام

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾

(١) وهو رسول بنص كتاب الله عزوجل ، أثنى الله عليه ثناءً عاطراً ، وبين فضله ، ودعوته ، بياناً مجملاً في عددٍ من الآيات ، يؤدى الغرض المرجو .

وهل هو إلياس أو إلياسين ؟ وهل هو إدريس أم لا ؟

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « والعرب تلحق النون في أسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا : إسماعيل وإسماعين ، وإسرائيل وإسرايين ، وإلياس وإلياسين ، وقد قرئ : سلام على آل ياسين ، أى على آل محمد ، وقرأ ابن مسعود وغيره : سلام على إدريس ، ونقل عنه من طريق إسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال : إلياس هو إدريس . وإليه ذهب الضحاك بن مزاحم ، وحكاه قتادة ومحمد بن إسحاق ، والصحيح أنه غيره كما تقدم والله أعلم » .

وقال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٣٠) : « وأما قوله تعالى : ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصافات : ١٣٠] ، فقرأ الأكثرون بصورة الاسم المذكور ، وزيادة ياء ونون في آخره ، وقرأ أهل المدينة : « آل ياسين » ، وكان بعضهم يتأول أن المراد : سلام على آل محمد ﷺ ، وهو بعيد . ويؤيد الأول أن الله تعالى إنما أخبر في كل موضع ذكر فيه نبياً من الأنبياء في هذه السورة ، بأن السلام عليه ، فكذلك السلام في هذا الموضع على إلياس المبدأ بذكره ، وإنما زيدت فيه الياء والنون كما قالوا في إدريس إدراسين والله أعلم » انتهى .

● من فضائل إلياس عليه السلام ●

● نبوته وثناء الله عليه ●

○ قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ^(١) ﴾ - إلى قوله ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ^(٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ^(٩٠) ﴾ [الانعام : ٨٥ و٨٩ - ٩٠] .

● رسالته ودعوته وثناء من الله عليه ●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِن إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ^(١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ^(١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ^(١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُم لَمُحْضَرُونَ ^(١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ^(١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ^(١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ^(١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ^(١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٢٣ - ١٣٢] .

(١) فهؤلاء من الصالحين في أخلاقهم ، وأعمالهم ، وعلومهم ، بل هم سادة الصالحين ، وقادتهم ، وأئمتهم ، قاله السعدى - رحمه الله تعالى - يسير من التصرف .

(٢) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « التفسير » (٢ / ١٤٩) : « قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ يعنى المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أى هم أهل الهدى لا غيرهم ﴿ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ أى اقتد واتبع ، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ ، فامته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به » .

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - معلقاً على هذه الآيات : « يمدح تعالى عبده ورسوله إلياس عليه الصلاة والسلام ، بالنبوة والرسالة ، والدعوة إلى الله وأنه أمر قومه بالتقوى ، وعبادة الله وحده ، ونهاهم عن عبادتهم صنماً لهم يقال له « بعل » وتركهم عبادة الله ، الذي خلق الخلق ، وأحسن خلقهم ، ورباهم فأحسن تربيتهم ، وأدرّ عليهم النعم الظاهرة والباطنة ، وأنكم كيف تركتم عبادة من هذا شأنه ، إلى عبادة صنم ، لا يضر ، ولا ينفع ، ولا يخلق ، ولا يرزق ، بل لا يأكل ، ولا يتكلم !! »

وهل هذا إلا من أعظم الضلال ، والسفه ، والغى !! فكذبوه فيما دعاهم إليه ، فلم ينقادوا له ، قال الله متوعداً لهم : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ أى : يوم القيامة في العذاب ، ولم يذكر لهم عقوبة دينية ^(١) .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ أى : الذين أخلصهم الله ، ومنّ عليهم باتباع نبيهم ، فإنهم غير محضرين في العذاب ، وإنما لهم من الله جزيل الثواب .
قال ابن كثير - رحمه الله - ^(٢) :

وقوله : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، أى أبقينا بعده ذكراً حسناً له في العالمين ، فلا يذكر إلا بخير ، ولهذا قال : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ « انتهى المراد .

قال السعدي رحمه الله : « ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ أى : تحية من الله ، ومن عباده عليه ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فأثنى الله

(١) رجح ابن كثير رحمه الله تعالى أن ذلك العذاب في الدنيا والآخرة كما في « البداية » . وفي « التفسير » قصّره علي يوم القيامة .

(٢) كما في « البداية » وهذا أضفته ، وليس من كلام السعدي - رحمه الله تعالى -

عليه كما أثنى على إخوانه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين » انتهى .
 ○ هذا ؛ ولم يثبت لدى في شأن هذا الرسول الكريم إلياس عليه السلام حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ ، وقد ورد في أحاديث واهية ، وضعيفة جداً بأنه يلتقى مع الخضر كل عام في المواسم وهي أخبار منكرة بكرة ، أنكرها جماعة من الحفاظ .

وكذلك القائلين بأن الخضر وإلياس أحياء ، نقول لهم : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . والله يقول لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] .

○ وقد ثبت في الصحيحين ^(١) من حديث عبد الله بن عمر قال : صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته ، فلم سلم قام ، فقال : « أرايتكم ليلتكم هذه ، فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد » .

○ وسئل الإمام البخاري رحمه الله تعالى ^(٢) عن الخضر وإلياس : هل هما في الأحياء ؟ فقال : كيف يكون هذا ، وقد قال النبي ﷺ « لا يبقى علي رأس مائة سنة من هو على ظهر الأرض اليوم » .

وكذلك ما ورد من أن إلياس اجتمع بالنبي ﷺ ، وأكل معه من مائدة من السماء ، فموضوع وكذب ، ومخالف للنصوص الصحيحة ، والله تعالى أعلم .

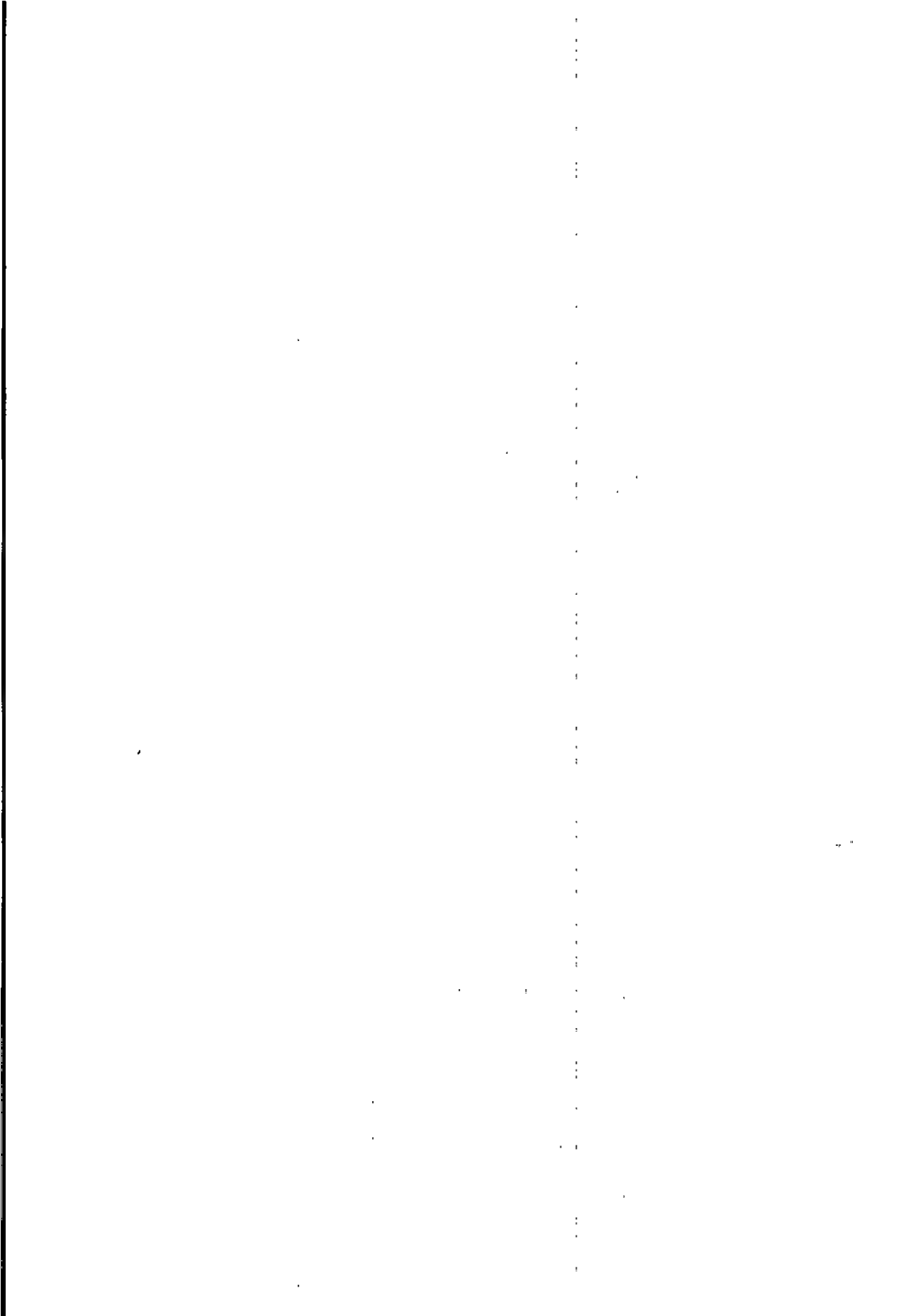
(١) أخرجه البخاري (١١٦) ومسلم (٢٥٣٧) .

(٢) كما في « المنار المنيف » (ص ٥١ ، ٥٢ لابن القيم) ط دار العاصمة ، و « المغنى عن الحفظ والكتاب » (ص ٧٧ لعمر بن بكر الموصلي) .

من فضائل اليسع عليه السلام ^(١)

(١) لم أقف لنبي الله «يسع» عليه السلام ، على أي خبر يصح في شأنه صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه .

ويكفي في هذا الباب أن الله اصطفاه ، واختاره ، وفضله ، وأكرمه بالنبوة ، وآتاه الكتاب والحكم ، ووصفه بالصفات الحميدة ، والخصال السديدة ، وأمرنا بالاعتداء به كما أمرنا بالاعتداء بغيره من الرسل الكرام ، كما ستوضحه الآيات الكريمات التي نسوقها بإذن الله تعالى .



● من فضائل اليسع ^(١) عليه السلام ●

● آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة ●

○ قال تعالى : بعد ذكره هو وعدد من أنبياء الله : - ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا ^(٢) هَؤُلَاءِ ^(٣) فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ^(٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ [الأنعام : ٨٩ - ٩٠] .

● اليسع عليه السلام ●

● ممن اصطفاه الله واختاره وفضله على عالمي زمانه ●

○ قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص :

٤٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى

الْعَالَمِينَ ^(٥) ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

(١) وهو - كما مضى - من الأنبياء الذين لم أقف لهم على خبر صحيح عن رسول الله ﷺ .

(٢) أى : بالنبوة ، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على هذه الأشياء الثلاثة « الكتاب والحكم والنبوة » . قاله ابن كثير - رحمه الله تعالى - .

(٣) أى : أهل مكة .

(٤) قال السعدى في « تفسير الكريم الرحمن » : أى : وادكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر

وأتى عليهم أحسن الثناء ، فإن كلا منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق ،

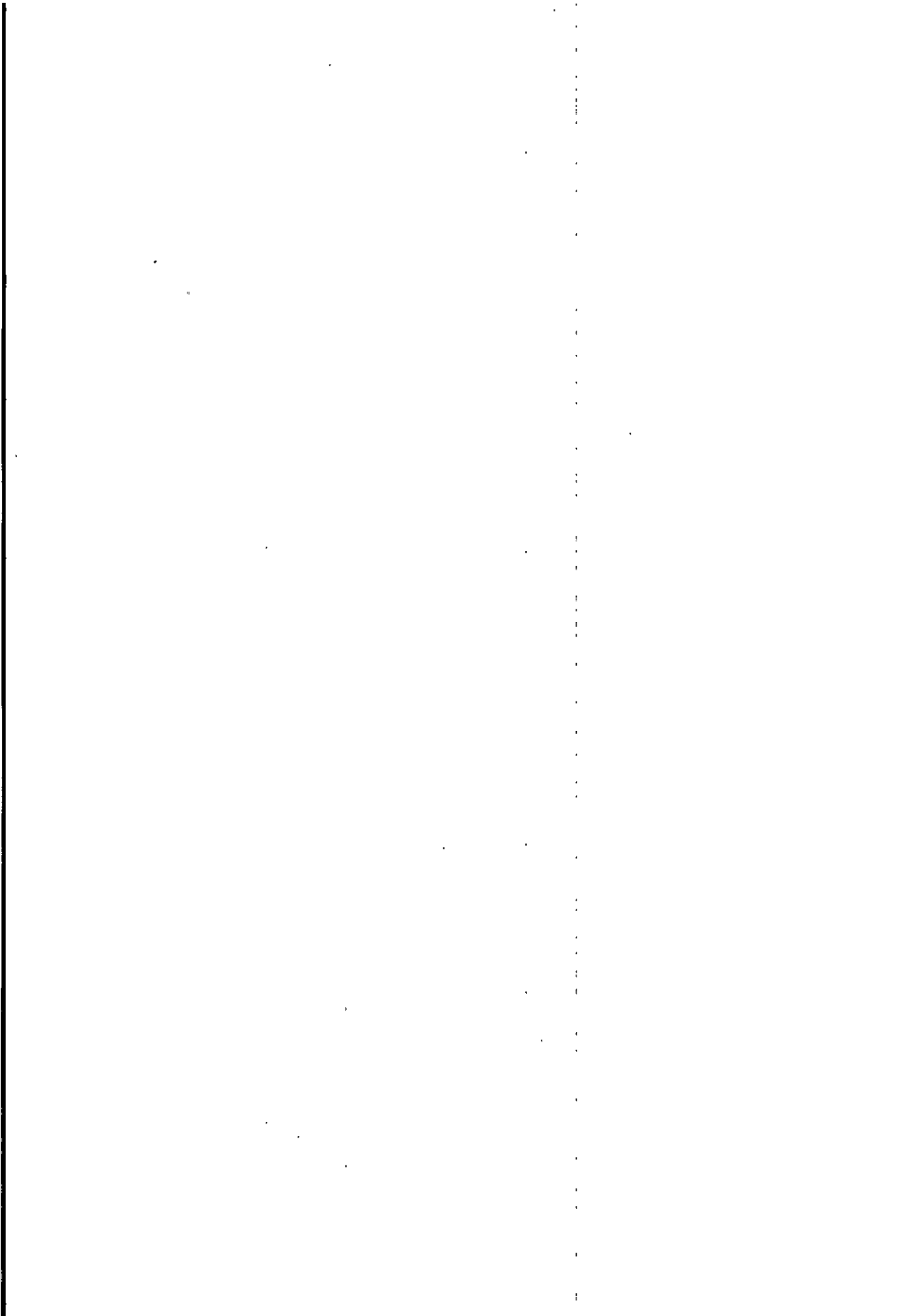
واختار لهم أكمل الأحوال من الأعمال ، والأخلاق ، والصفات الحميدة ، والخصال

السديدة .

من فضائل داود عليه السلام ^(١)

﴿وَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾

(١) وهو بعد زمان موسى عليه السلام ، لدلالة الآيات الواردة في سورة البقرة من قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَةً مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ - إلى قوله - وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصِرْنَا عَلَى قَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿ [البقرة : ٢٤٦ -



● طرف من الثناء

● الوارد عليه في الكتاب العزيز ^(١)

○ جعله الله تعالى خليفة في أرضه ، لتنفيذ أوامره وأحكامه ، كما قال تعالى : ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ [ص : ٢٦] .

○ وعلمه الله صنعة لبوس ، والآن له الحديد ، كما قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٨٥] .
وقال تعالى : ﴿ وَاللَّا لَهُ الْحَدِيدُ ۚ ۝ أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبا : ١٠ - ١١] .

○ قال الحافظ ابن كثير : « أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء ، وأرشده إلى صنعتها وكيفيتها ، فقال : ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ أى لا تدق المسمار فينفلق ، ولا تغلظه فينفصم » .

فكان ماهراً ﷺ في صنع تلك الدروع ، ولم لا ؟ وهو المعلم من قبل الله في ذلك !

○ وجمع الله له بين الملك والنبوة ، بين خيري الدنيا والآخرة ، فاجتمع في داود الأمران - ﷺ - ، كما قال تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

(١) إذ قد قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ [سبا : ١٠] .

○ قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - ^(١) : « أي لولا إقامة الملوك حكاماً على الناس ، لأكل قوى الناس ضعيفهم » .

○ وكما قال تعالى في شأنه وشأن سليمان : ﴿ وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

○ وكما قال تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ ^(٢) ﴾ [ص : ٢٠] .

○ قال الحافظ ابن كثير : « أي أعطيناه ملكاً عظيماً ، وحكماً نافذاً ، وقوله تعالى ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴾ أي النبوة » .

وقال العدوى - رحمه الله - ^(٣) : « يذكر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بأنه شدَّ ملك داود ، وقوَّاه ، وهى نعمة عظمى من الله تعالى ، يكافئ بها نبيه داود على قوته في دينه ، ورجوعه إلى ربه وخالقه ، وهو كقوله في سورة طه [٣٢] : ﴿ وَاجْعَلْ لِّي وَزيراً مِّنْ أَهْلِي ^(٢٩) هَرُونَ أَخِي ^(٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ^(٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ انتهى » .

○ وكذلك آتاه الله الزبور ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾ [الإسراء : ٥٥] .

(١) في « البداية » .

(٢) قيل هو الفصل في الكلام وفي الحكم ، وقال بعضهم : فصل الخطاب : أما بعد . وقال القاسمى في « محاسن التأويل » : « أي فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل ، ورفع الشبه ، وإقامة الدلائل ، وكان يُقيم بذلك العدل الجالب محبة الخلائق ، ولا يخالفه أحد من أقاربه ، ولا من الأجانب » .

(٣) « دعوة الرسل » (ص ٣٢٣) .

○ وقال أيضاً في سورة النساء : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً ﴾ [النساء : ١٦٣] .

○ ومن نعمه سبحانه وتعالى عليه كذلك : أنه سخر له الجبال تسبيح معه وكذلك الطير ، كل له أوَّاب ، يُردَّد التسبيح معه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فقد وهبه الله صوتاً حسناً ، ونعمة في القراءة وترغماً ، مما يجعل الطير يرجع بترجييعه ، ويسبح بتسبيحه ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٨ - ١٩] .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

○ وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ (١) ﴾ [سبأ : ١٠] . فكانت الجبال والطير ترجع بترجييعه .

○ وذلك لحسن صوته ، وجمال نغمته عند القراءة كما تقدم ، فقد أخرج البخاري ومسلم (٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يا أبا موسى ، لقد أوتيت زمزماً من مزامير آل داود » وفي رواية عن أبي هريرة مرفوعاً : « لقد أعطى أبو موسى من مزامير داود » (٣) .

○ وقد علَّمه الله تعالى منطق ، ولغة الطير كما قال سليمان عليه

(١) أوَّبى معه : أى سبَّحى معه ، وذلك أن الله قد وهبه من الصوت العظيم ، ما لم يُعطه أحداً ، بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقفُ الطير في الهواء يرجع بترجييعه ويسبح بتسبيحه ، وكذلك الجبال تحميه ، وتسبح معه كلما سبَّح بكرة وعشياً صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) خ (٥٠٤٨) وم (٧٩٣) (٦ / ٨٠ نووى) .

(٣) وإسنادها حسن . أخرجه أحمد (٢ / ٣٥٤) وابن ماجه (١٣٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

السلام: ﴿ عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٦] .

إلى غير ذلك من أنواع ما علمه ﷺ ^(١) ، من أنواع العلوم الدينية والدنيوية ، والله سبحانه يقول : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ [النمل: ١٥] ، فيدخل كل ذلك فيها ، وغير ذلك مما وهبه الله إياه .

○ فمن أجل ذلك فقد جعله الله تعالى من المقربين لديه ، فوعده بالزلفى وكذلك بالمآب الحسن ، والكرامة في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ ^(٢) [ص : ٢٥] .

○ وقد وهبه الله سليمان ولدًا له ، ونعمت الهبة .

قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] .

قال السعدى رحمه الله تعالى ، وهو يُعَدُّ فوائد تتعلق بقصة داود وسليمان عليهما السلام تحت هذه الآية : « ومنها : أن سليمان عليه السلام ، من فضائل داود ، ومن منن الله عليه ، حيث وهبه له . وأن أكبر نعم الله على عبده ، أن يهب له ولدًا صالحًا ، فإن كان عالمًا ، كان نورًا على نور » .

○ وقد وهبه أبو البشر آدم ﷺ من عمره أربعين سنة ، فأكمل لداود مئة سنة بعد أن كان عمره ستين سنة ، وتلك كرامة وأى كرامة !! وسيأتى الحديث بذلك في « جماله » ﷺ ، في الباب القادم .

قلت : ورواية ابن ماجه فيها : (من مزامير آل داود) .

(١) « القرطبي » (في جامعه ٣ / ١٦٨ دار الكتب) .

(٢) قال ابن كثير : « وهو الدرجات العالية في الجنة لنبوته ، وعدله التام في ملكه ، كما جاء في الصحيح : « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلنا يديه يمين الذين يقسطون في أهلهم وما ولوا » . ١ . هـ . والحديث في صحيح مسلم .

● جمال داود عليه السلام ●

وقد أوتى داود عليه السلام جمالاً وبهاءً . فكان من أضوء أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ^(١) .

○ ففي « سنن الترمذى » ^(٢) و « صحيح ابن حبان » وغيرهما من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم ، ونفخ فيه الروح عطس ، فقال الحمد لله ، فحمد الله بإذنه ، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة ، إلى ملائمتهم جلوس ، فقل : السلام عليكم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه ، فقال : هذه تحببتك ، ونحية بنيتك بينهم ، فقال الله له ويداه مقبوضتان : اختر أيهما شئت ، فقال : اخترت يمين ربى ، وكلتا يدي ربى يمين مباركة ، ثم بسطها ، فإذا فيها آدم وذريته فقال : أى رب ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء ذريتك ، فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عيني ، فإذا فيهم رجل أضوؤهم - أو من أضوئهم - ، لم يكتب له إلا أربعون سنة ، قال يا رب ما هذا ؟ قال : هذا ابنك داود ... » الحديث .

(١) وهذا لا معنى أنه أضوؤهم وأحسنهم جمالاً على الإطلاق ، فإن يوسف ﷺ قد أوتى شطر الحسن كما قال نبينا محمد ﷺ . وقد سبق الحديث في ذلك .

(٢) (برقم ٣٣٦٨) ، وابن حبان (الموارد برقم ٢٠٨٢) ، والبيهقى في « الأسماء والصفات » (٢ / ١٤٠ - ١٤١) ، وابن عبد الواحد المقدسى (رقم : ٣ بتحقيقى) وهو بهذا اللفظ المذكور يصح بالشاهد الذى يتلوه .

أما هبة آدم عليه السلام لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فصحت من الحديث القادم ، وهى هنا منكورة والله أعلم ، ففيها أن آدم أن أعطاه ستين سنة ، وهذا بخلاف أغلب الروايات بما فيها الضعيفة كذلك ، وانظر في ذلك تحقيقى لكتاب : « أحاديث الأنبياء برقم ٣ » لابن عبد الواحد المقدسى ، فقد توسعت في هذا الحديث هناك .

وأخرج الترمذی فی « سننه » ^(١) بإسناد صحیح عن أبی هريرة رضی الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم مسح ظهره ، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور ، ثم عرضهم على آدم ، فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ^(٢) ما بين عينيه ، فقال : أي رب من هذا ؟ فقال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له : داود ، فقال : رب كم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة ، قال : أي رب زدّه من عمري أربعين سنة ... الحديث » .

● شجاعته ﷺ ●

○ قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ^(٣) [ص : ١٧] .
وهذه صفة جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ^(٤) .

(١) (حديث ٣٠٧٦) ، وابن سعد في « الطبقات » (١ / ٢٤ - ٢٥) والحاكم (المستدرک ٤١٩١ ت : الشيخ مقبل) من طريق : هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضی الله عنه مرفوعاً .
قال الترمذی : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) وبيص : أي يريق ولعاب .

(٣) قال الحافظ : الأيد : القوة ، وكان داود موصوفاً بفرط الشجاعة .

(٤) وقد سبق في الباب شجاعة الخليل إبراهيم ﷺ في جملة مواطن ، فمنها عند محاجة الجبابرة كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم ، وذكره رسوله ﷺ في حديثه في قصته مع سارة في دخولهم على الجبار ، وكذلك صبره على الإلقاء في النار ، ومقابلة ذلك بجلد وشجاعة وثقة في الله وتوكل عليه ، وكذلك إقدامه على ذبح ولده ، ولُب فؤاده ، ومدى امتثاله لأمر الله في ذلك الأمر ، وإقدامه على الختان وهو ابن ثمانين سنة ، وقبل ذلك كله تكسيره لأصنام قومه ، وما فيه من الجرأة لدين الله عزوجل ، فصلوات =

ففي القتال ، ولقاء العدو ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيقُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿ [آل عمران : ١٤٦ - ١٤٧] .

وهكذا كان الشأن مع داود النبي ﷺ كان مجاهداً مغواراً .

○ قال تعالى فيما قصه علينا في كتابه من شأن طالوت الملك (١) ، عندما واجه جالوت (٢) العدو وجنوده ، وكان من بين هؤلاء المقاتلين من جند طالوت الملك نبي الله داود عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْرَأً وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿ [البقرة : ٢٥٠ - ٢٥١] .

= الله وسلامه عليه وعلى أنبيائه جميعاً ، وتقدم شئ من ذلك أيضاً في سيرة موسى ﷺ مع فرعون الطاغية ، ودخوله الأرض المقدسة الى كتب الله لهم أن يدخلوهم مع ما فيها من جبايرة وظلمة ، إلى غير ذلك .

(١) قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُنِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴿ [البقرة : ٢٤٦ ، ٢٤٧] .

(٢) فحصل النصر والفتح على يد داود ، وهى منقبة لداود لا تنسى ، كما قال الشيخ محمد العدوى أثابه الله .

○ وتأمل هذا الكلام من الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى حيث يقول^(١) : « وقوله تعالى : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام ، وأنه قتله قتلاً أذلَّ به جنده ، وكسر جيشه ، ولا أعظم من غزو يقتل فيها ملك عدوه ، فيغنم بسبب ذلك الأموال الجزيلة ، ويأسر الأبطال ، والشجعان ، والأقران ، وتعلو كلمة الإيمان على الأوثان ، ويُدال لأولياء الله على أعدائه ، ويظهر الدين الحق على الباطل » انتهى .

فيالها من منقبة وفضيلة عظمى لهذا النبي العظيم !!

وياالها من شجاعة في مجال الحرب ومعتزك الأبطال !!

ياله من فضل لا يُنسى لداود عليه السلام !! بأن يقتل ملك عدوه ، جالوت ، فيكون النصر ، وتكون الغلبة على يده ، فصلوات الله وسلامه عليه ، ومن ثم آتاه الله الملك والحكمة وعلمه من يشاء ، ومُكِّن داود ﷺ .

○ وأخرج البخاري ومسلم^(٢) ، واللفظ للبخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألم أنبا أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ فقلت : نعم ، فقال : فإنك إن فعلت ذلك هجمت العين ، ونفثت النفس ، صم من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صوم الدهر ، أو كصوم الدهر ، قلت : إني أجد بي (قال مسعر : أحد الرواة) : يعني قوة ،

(١) في « البداية » .

(٢) خ (٣٤١٩) و (١٩٧٧) وم (١١٥٩) .

قال : فصم صوم داود عليه السلام ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى ^(١) .

● كان داود يأكل من كسبه ويعمل بيده ●

وهذا فيه مناقب عظيمة لمن تدبره ! وفضل وفير لمن تأمله !! فقد كان ملكاً ﷺ !!!

○ قال تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَهُ الْغَدِيدُ ^(١) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ ^(٢) وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ^(٣) ﴾ [سبا : ١ - ١١] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ^(٤) لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ﴾ [الأنبياء : ٨٠] .

○ وأخرج البخاري في « صحيحه » ^(٥) من حديث المقدام بن معدى كرب عن النبي ﷺ قال : « ما أكل أحدٌ طعاماً خيراً قط من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » .

وأخرج أيضاً ^(٦) من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : « أن داود

(١) وذلك لشجاعته عليه السلام . وراجع أيضاً ما في « الفتح » (٤ / ٢٦١) في شرح المصنف لقوله : (ولا يفر إذا لاقى) .

(٢) أى دروع سابغات ، والسابغات الكوامل الواسعات التى تغطى البدن كله . والمعنى : دروع واسعة طويلة .

(٣) السرد : نسج الدروع ، فيقدره حلقاً ، ثم يدخل بعضها ببعض ، أعنى المسامير والحلق .

(٤) اللبوس : هى اتخاذ الدروع . بمعنى ملبوس .

(٥) (برقم : ٢٠٧٢) .

(٦) (برقم : ٢٠٧٣) (وفي مواضع أخرى ٣٤١٧ و ...) .

النبي عليه السلام كان لا يأكل إلا من عمل يده ^(١) . وفي رواية لهذا الحديث : « خفف على داود عليه السلام القرآن ، فكان يأمر بدوابه ، فتُسْرَجُ ، فيقرأ القرآن قبل أن تُسْرَجَ دوابه ، ولا يأكل إلا من عمل يده » .

● عبادته عليه السلام ●

وقد وصف الله سبحانه وتعالى عبادة نبيه وعبدته داود عليه السلام ، وإنابته ، وخشوعه ، وإخباته ، وكثرة تسيبته ، فقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ

(١) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٢٤) : « والذي يظهر أن الذي كان يعمل داود بيده هو نسج الدروع ، والآن له الحديد ، فكان ينسج الدروع ، ويبيعها ، ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك ، قال الله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ [ص : ٢٠] ، وفي حديث الباب أيضاً ما يدل على ذلك ، (يعني الحافظ الرواية التي أشرت إليها) ثم قال : وأنه مع سعته بحيث أنه كان له دواب تسرج إذا أراد أن يركب ، ويتولى خدمتها غيره ، ومع ذلك كان يتسرع ، ولا يأكل إلا مما يعمل بيده . ا. هـ .

قلت : فهذا وجه من الوجوه لبيان فضيلة داود عليه السلام ، وهو من التواضع الجم ، فسبق أنه كان ملكاً متوجاً ، وخليفة في الأرض ، كما ذكر الله ذلك في كتابه ، ومع ذلك فقد كان يصنع الدروع ، ويأكل من عمل يده ، كما أخبر الله بذلك ، وأخبر أيضاً رسوله ﷺ ، ووجه آخر لبيان المنقبة والفضيلة التي نالها نبي الله داود في ذلك الحديث : هو ما أشار إليه رسولنا ﷺ بقوله في الحديث الصحيح : « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه » .

يعنى : بعمل اليد ، ففيه إذاً فضل العمل باليد ، وتقديم ما يياشره الشخص بنفسه على ما يياشره غيره ، قال الحافظ في « الفتح » (٤ / ٣٥٨) : « والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعلمه بيده لم يكن من الحاجة ، لأنه كان خليفة في الأرض ، كما قال الله تعالى ، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل ، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه ، من أن خير الكسب عمل اليد ، وهذا بعد تقرير أن شرع من قبلنا شرع لنا ، ولا سيما إذا ورد في شرعنا مدحه ، وتحسينه ، مع عموم قوله تعالى : ﴿ فِيهِدَاهُمْ أَقْدَهُ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

عَبَدْنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾ [ص : ١٧] .

○ وقال تعالى في وصف توبته : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص : ٢٤] .

فكان ﷺ من أعظم العابدين .

○ قال محمد العدوي - رحمه الله تعالى - (٢) : « وإنه من أجل ذلك ؛ أعطاه ما أعطاه ، ووهبه ما وهبه ، وسخر له ما سخر ، فسخر له الجبال ، والطير ، كل يسبح الله لأجل تسيحه ، وقوى ملكه ، وأعطاه العلم النافع ، وأقدره على فصل الخصومات ، والقضاء بين الناس ، وغفر له ما ظنه ذنباً حين تحاكت إليه الخصوم ، ووهبه سليمان ، ونعمت الهبة . كل هذا لأن داود قوى في دينه ، صلب في عقيدته ، شديد في ثقته بربه وخالقه ، كثير الرجوع إلى مولاه في حاجاته وعبادته » .

● داود عليه السلام قدوة للمتقين ●

○ وقد أمر نبينا محمد ﷺ أن يقتدى به في جملة من يقتدى بهم ، وإليك الحديث بذلك :

(١) أواب : يعني رجاع إلى الله في جميع الأمور بالإجابة إليه ، بالحب والتأله ، والخوف ، والرجاء ، وكثرة التضرع ، والدعاء .

رجاع إليه ، عندما يقع منه بعض الخلل ، بالإقلاع والتوبة النصوح .
قاله السعدي رحمه الله تعالى .

قلت : وقصته مع الخصمين ، وما وقع له فيها مشهورة ، وهي مذكورة في سورة (ص : ٢١ - ٢٥) في كتاب الله عز وجل .

(٢) « دعوة الرسل إلى الله تعالى » (ص ٣٢٣) .

○ أخرج البخارى ^(١) من حديث مجاهد قال : قلت لابن عباس أنسجد في ص ؟ فقرا : ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ حتى أتى ﴿ فبهذا هم اقتدوا ﴾ فقال ابن عباس رضى الله عنهما : نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدى بهم .

○ وأخرج البخارى أيضاً ^(٢) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : ليس « ص » من عزائم السجود « ورأيت النبي ﷺ يسجد فيها » .

○ وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : « قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر « ص » . فلما بلغ السجدة تشزّن الناس للسجود ، فقال النبي ﷺ : إنما هي توبة نبي ^(٣) ولكن رأيتكم تشزّنتم للسجود ، فنزل فسجد وسجدوا ^(٤) تشزّن . انتصب ونهيا .

● صلاة داود وصيامه ●

○ عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : « أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه » ^(٥) .

(١) (برقم : ٣٢٤١) وفي مواضع أخرى ، وأحمد (١ / ٣٦٠) .

(٢) (برقم : ٣٤٢٢) .

(٣) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٧٤) فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص : ٢٤ - ٢٥] .

(٤) أخرجه أبو داود (١٤١٠) وعزاه الحافظ في « الفتح » (٢ / ٦٤٣) للحاكم وابن خزيمة . وهو في « صحيحه » (١١٤٥) ولكن أعله هناك فليراجع .

أما الحافظ ابن كثير فقد مشأه في « بدايته » . والله أعلم .

(٥) حديث صحيح . أخرجه البخارى في مواضع كثيرة (٣٤٢٠ ، ٥٠٥٢) ومسلم (ص ٨١٦) .

○ وعنه أيضاً رضى الله ^(١) عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألم أنبأ أنك تقوم الليل ، وتصومُ النهار ؟ فقلت : نعم . فإنك إذا فعلت ذلك هجمت العين ونفثت النفس ، صم من كل شهر ثلاثة أيام ، فذلك صوم الدهر ، أو كصوم الدهر ، قلت : إني أجد بي - قال مسعر (أحد الرواه) : يعني قوة ، قال : « فصم صوم داود عليه السلام ، وكان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، ولا يفِرُّ إذا لاقى » .

○ وفي « صحيح مسلم » ^(٢) من حديث أبي قتادة رضى الله عنه قال : « رجلٌ أتى النبي ﷺ ، فقال : كيف تصوم ؟ فغضب رسول الله ﷺ فلما رأى عمر رضى الله عنه غضبه ، قال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ نبياً ، نعوذ بالله من غضب الله ، وغضب رسوله . فجعل عمر رضى الله عنه يردد الكلام حتى سكن غضبه ، فقال عمر : يا رسول الله ! كيف بمن يصوم الدهر كله ؟ قال : « لا صام ولا أفطر » - أو قال - : « لم يصم ولم يفطر » قال : وكيف من يصوم يومين ويفطر يوماً ؟ قال : ويطبق ذلك أحد ؟ قال : كيف من يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ؟ قال : ذاك صوم داود عليه السلام ^(٣) ، قال : كيف من يصوم يوماً ويفطر يومين ؟ قال : وددت

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٤١٩) وأيضاً (١٩٧٩) ومسلم (١١٥٩) وانظر ص (٨١٦) .

فائدة : وقد أفرد الإمام البخارى رحمه الله تعالى باباً في صحيحه بعنوان : « صوم داود عليه السلام » وأورد هذا الحديث تحته ، قال الحافظ (فتح ٤ / ٢٦٤) نقلاً عن الزين ابن المنير : « وأفرد صيام داود عليه السلام بالذكر للإشارة إلى الاقتداء به في ذلك » .

(٢) (١١٦٢) وأحمد (٥ / ٢٩٥ - ٢٩٦) وغيرهما .

(٣) وفي صحيح البخارى (١٩٧٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : =

أنى طوّقت ذلك ، ثم قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان » فهذا صيام الدهر كله « صيام يوم عرفة » : أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله . والسنة التي بعده : « وصيام يوم عاشوراء » أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله .

● خُفِّفَ القرآن على داود ●

والقرآن هو الزبور وقيل التوراة (١) .

○ أخرج البخارى في « صحيحه » (٢) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خُفِّفَ على داود عليه السلام القرآن (٣) ، فكان يأمر بدوابه ، فتُسرج . فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ، ولا يأكل إلا من عمل يده » .

= « دخل على رسول الله ﷺ فذكر الحديث يعنى : « إن لزورك عليك حقًا ، وإن لزورك عليك حقًا ، فقلت : وما صوم داود ؟ قال : نصف الدهر » . وأورده مطولاً في الرواية التى تلتها (برقم : ١٩٧٥) ، وهو في « صحيح مسلم » كذلك (ص : ٨١٧) .

(١) « الفتح » (٦ / ٥٢٤) لكن الحمل على أنه الزبور أولى ، وذلك لأن الله تعالى قال : ﴿ وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ [النساء : ١٦٣] ، وكذا رجح ذلك ابن الملقن في « التوضيح » (٢١٥) .

(٢) (برقم : ٣٤١٧) ، وأحمد (٢ / ٣١٤) .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٨ / ٣٩٧) : « والمراد بالقرآن مصدر القراءة ، لا القرآن المعهود لهذه الأمة » انتهى . وقال ابن كثير : « والمراد بالقرآن ها هنا الزبور ، الذى أنزله الله عليه وأوحاه إليه » . وقد أشار صاحب « المصابيح » كما قال الحافظ في الفتح (١ / ٥٢٤) إلى أن قراءة كل نبي تطلق على كتابه الذى أوحى إليه ، وإنما سماه قرآنًا للإشارة إلى وقوع المعجزة به كوقوع المعجزة بالقرآن .

وهذا كناية عن سرعة قراءته ﷺ لكتابه الزبور . مع صوته الرخيم الحسن .

قال الحافظ ابن كثير ^(١) : « فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب ، وهذا أمر سريع مع التدبر ، والترنم ، والتغنى به ، على وجه التخشع ، صلوات الله وسلامه عليه » .

(١) في « البداية » .

1

•

•

•

1

1

11

•

•

•

1

1
2
3

•

•

4

•

:

•

•

•

1

!

•

1

1

•

•

•

•

1

1

•

:

من فضائل سليمان عليه السلام^(١)

﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

(١) وهو نبي الله ابن نبي الله داود عليهما السلام ، وقد سبق ذكر فضائل أبيه داود في الباب السابق . وهما نبيان ملكان كما قد سبق ، وكما ستورده إن شاء الله .

● من فضائل سليمان عليه السلام ●

○ جعله الله عز وجل هبة لأبيه داود عليهما السلام ، وأنعم به عليه ، وأقر به عينه ، ثم وصفه الله تعالى بأنه كأيّيه داود في التقوى والعبادة .

○ قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ^(١) ﴾ [ص : ٣٠] . وهذا أعظم تزكية ، وأكبر فخر لسليمان .

○ وقد ورث الله سليمان علم أبيه ونبوته وملكه ، فانضم علم أبيه إلى علمه .

○ قال تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ^(٢) ﴾ [النمل : ١٦] .

○ وآتاه الله فهمًا في القضاء والحكم ، وعلمًا كثيرًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ^(٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء : ٧٨ - ٧٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : ١٥] .

○ وجمع الله عز وجل له بين النبوة والملك كما جمع لأبيه ، وزاده ملكًا عظيمًا لم ينله أحد قبله ، ولا يناله أحد بعده ^(٣) ، كما سيأتى ذلك إن شاء

(١) وهذا ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة ، والعبادة ، والإنابة إلى الله عز وجل .
(٢) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « أى ورثه في النبوة والملك ، وليس المراد ورثه في المال ، لأنه قد كان له بنون غيره ، فما كان ليخص بالمال دونهم ، ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال : « لا نورث ما تركنا صدقة » (قلت محمد وهو في الصحيحين وغيرهما) ، ثم قال : فأخبر الصادق المصدوق أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم ، كما يورث غيرهم ، بل تكون صدقة من بعدهم على الفقراء ، والمحاويج ، لا يخصصون بها أقربائهم ، لأن الدنيا كانت أهون عليهم . وأحقر عندهم من ذلك كما هي عند الذى أرسلهم ، واصطفاهم وفضلهم » .

(٣) « تيسير المنان » للشيخ أحمد فريد حفظه الله تعالى .

الله .

○ وعلمه الله سبحانه وتعالى لغة الطير ، فكان ﷺ يفهم ما يتحدثون ويتخاطبون ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٦] .

ويؤيد ذلك قصة الهدد ، وتسمه كذلك من كلام النملة ، إذ قد سمع وفهم كلامها ، وهذا فيه فضل عظيم من الله عليه ، واختصاص منه له ، وقد يكون معجزة له عليه السلام ، والله أعلم .

○ وسخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، كما ذكر الله في كتابه ، وسيأتي بسط ذلك إن شاء الله .

○ وأكرمه الله عز وجل بالقرب منه ، وحسن الثواب ، كما أكرم أباه بذلك أيضاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴾ [ص : ٤٠] . فجعله الله تعالى من المقربين عنده ، المكرمين بأنواع الكرامات .

○ وقد برأه الله سبحانه في كتابه بما قذف به بهتاناً من اليهود ، فنسبوا السحر الذي اختلقته الشياطين إليه ، ومن ثم كفروه ، فبرأه الله عز وجل من ذلك ، ونفى عنه هذا الكفر الذي قذفوه به .

○ قال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا ^(١) مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمًا وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

(١) وهم فريق من اليهود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم نبدوا كتابه - الذي أنزله على موسى - وراء ظهورهم ، تجهلاً منهم ، وكفراً بما هم عالمون ، قاله ابن جرير رحمه الله .

(تفصيل لمعنى الآية الكريمة)

قال العلامة السعدى رحمه الله تعالى في « تفسيره » لهذه الآية : « هؤلاء اليهود لما نبدوا كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر ، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله ، وبه حصل له الملك العظيم .

وهم كذبة في ذلك ، فلم يستعمله سليمان ، بل نزهه الصادق في قوله ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ أى بتعليم السحر ، فلم يتعلمه ، ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ في ذلك .
قلت : وأورد ابن الجوزى رحمه الله في كتابه « زاد المسير » (١ / ١٥٥) ستة أقوال في كيفية ما تلت الشياطين على ملك سليمان .

وقد بلور هذا المتعلق بتفسير هذه الآية الكريمة شيخنا أبو عبد الله على صورة أسئلة والجواب عليها بأسلوبٍ مركز بعيدٍ عما أورده المفسرون من روايات وحكايات لا تثبت إلى قائلها ، وإن ثبت البعض ، فلم يرد في ذلك أى خبر لا في الكتاب ولا في السنة ، فمن أين أخذها قائلوها !! (١).

قال شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوى :

سؤال : ما معنى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ؟.

الجواب : المعنى باختصار : أن اليهود اتبعوا ما تقولته الشياطين وافترته على ملك سليمان .

وقيل : إن المعنى واتبعوا ماتلكه الشياطين (٢) في عهد ملك سليمان ، فقال هذا الفريق إن (على) تأتي بمعنى (في) ، و (في) تأتي بمعنى (على) أحياناً ، كما في قول =

(١) يظهر جيداً أن أغلبها متلف من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب ، وبنحوه قاله شيخنا مصطفى حفظه الله تعالى .

(٢) أى الشياطين الموجودون على عهد ملك سليمان عليه السلام ، فالحاصل أن من العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء أثناء ملك سليمان عليه السلام .

ومن العلماء من قال : إن الشياطين افترت أشياء بعد وفاة سليمان عليه السلام ، وقالوا : هذه الشعوذات وصنوف السحر هى التى كان يحكم بها سليمان ، ويسخر بها الجن ، قاله الشيخ حفظه الله تعالى .

○ وقد عدَّد أبو إسحاق الثعلبي ^(١) مناقبه في باب قال فيه : (باب فيما خص به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك) .

= فرعون : ﴿وَلَا صَلَاحَ لَكُمْ فِي جَذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه : ٧١] ، أى على جذوع النخل .
سؤال : ما هو الذى تلته الشياطين على ملك سليمان عليه السلام ؟ أذكر بعض الآثار في ذلك ؟

جواب : تدور أكثر أقوال المفسرين على أن الذى تلته الشياطين على ملك سليمان هو بعض أنواع من السحر والشعوذة ابتدعتها الشياطين ، ونسبوها إلى سليمان عليه السلام ، وزعموا أنه كان يُسخر بها الجن ، على تفصيلات للمفسرين في ذلك ووجهات لهم ، أما بالنسبة لبعض الآثار في ذلك فنورد بعض ما صح منها إلى قائلها - ثم أوردنا ، ثم قال - : وهذه الآثار كما رأيت ثابتة إلى قائلها ، لكن الله أعلم من أين أخذها قائلوها والظاهر أنهم تلقوها من الروايات الإسرائيلية المنقولة عن أهل الكتاب والله أعلم .

سؤال : ما هو وجه نفى الكفر عن سليمان عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؟

جواب : ذلك لأن اليهود - عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة - وصفوا سليمان عليه السلام بأنه ساحر واتهموه بالسحر ، ونسبوا السحر الذى اختلقته الشياطين إليه ، ومن ثم كفروه ، فبرأه الله عز وجل من ذلك ، ونفى عنه الكفر الذى قذفوه به ، والله تعالى أعلم .

(١) في « عرائس المجالس » (ص ٣٣٠ وما بعدها) . ونورد ذلك ملخصاً . فقد أورد جملة إسرائيليّات في ذلك لا تكاد تنتهي ، وموقفنا منها أن لا نصدقها ولا نكذبها ، إذا لم تخالف شرعنا ، وأما إذا خالفت فمردودة ولا كرامة .

○ تنبيه : هذا ؛ وينظر كتاب : « كتب حذرَّ منها العلماء » (٢ / ٢٠ ، ٢١) للشيخ مشهور بن حسن آل سلمان حفظه الله . فقد بيّن فيه حال هذا الكتاب ، أعني كتاب « العرائس » الذى ألفه الثعلبي - رحمه الله تعالى - . وإنما نقلنا منه في كتابنا هذا ما وافق الحق ، والله أعلم .

○ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل : ١٥] .

○ وقال الله تعالى إخباراً عنه : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [صر : ٣٥] .

فأجاب الله دعاءه ، وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحداً من خلقه قبله ، ولا بعده .

○ فمنها : تسخير الله له الريح ، كما قال عزوجل : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [صر : ٣٦] . أى : أراد ، بلغة حمير .

○ وكما قال تعالى : ﴿ وَسَلِّمَانَ الرِّيحِ غَدُوهاً شَهْرٌ وَرَوَّاحُهاً شَهْرٌ ﴾ [سبا : ١٢] .

○ ومنها : تعليم الله له كلام الطير ، حتى النمل ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٦] .

ومنها : قصة وادى النمل ، قال الله تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [النمل : ١٧] . أى يحبس أولهم علي آخرهم . ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٨ ، ١٩] .

○ ويؤيد ذلك قصة الهدمد^(١) التي ورد ذكرها في كتاب الله عزوجل ،

(١) إضافة لم يذكرها الثعلبي رحمه الله .

وستأتي .

○ ومنها : تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالخييل الجياد العراب ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ عَرَضَ ^(١) عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ [ص : ٣١] . والصفافنات : الخيل القائمة على ثلاث قوائم ، وقد أقامت الأخرى على طرف الحافر من يد أو رجل ، والجياد السراع .

○ وقوله : ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص : ٣٣] .

قال قوم من العلماء : حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بمسح الصدقة .

○ ومال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٢٩) إلى أن المراد بذلك : « مسح أعراف الخيل وعراقيبها » . واختاره ابن جرير ^(٢) .

○ ومنها : قوله تعالى : ﴿ وَأَسْلَمْنَا لَهُ بَعْنُ الْقِطْرِ ﴾ [سبا : ١٢] . أى أذبنا له عين النحاس فأسيلت كما تسيل الماء . وسهل عليه استخراج الأواني وغيرها منها .

○ ومنها : تسخير الله تعالى له الجن والإنس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ

(١) قال محمد العدوي أثابه الله في « دعوة الرسل » (ص ٣٣٥) : « كلمة (إذ) ظرف لمحدوف ، أى اذكر الوقت الذى عُرِضَ فيه الصفافنات الجياد ، والمراد أن يذكر هذه القصة ، وهى قصة عرض الخيل الجياد عليه ، كما هى عادة الملوك الذين يهتمون بما عندهم من مظاهر القوة ، ويستعرضونها ليتعرفوا قيمتها ، ليكون ذلك الاستعراض تفقدًا لها ، ومظهرًا من مظاهر فضل الله تعالى ، وإرهابًا للعدو » .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في « التفسير » (٤ / ٣٤) : « وهذا الذى رجح به ابن جرير فيه نظر ... » . ١ . هـ .

قلت : وسياق الآيات لا يساعد على هذا المعنى ، والله أعلم .

يَدِيهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿ [سبأ : ١٢] . ومما عملوا له الغياصة .

○ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ ﴾ [الانبياء : ٨٢] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [ص : ٣٧] . فقد كانوا يغوصون في البحار ، ويستخرجون أنواع اللآلئ ، والدر ، والمرجان ، وسائر الجواهر البحرية ، وكانوا يستخرجون له اليواقيت ، والزمرد ، وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن .

○ ومنها - : قوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ

كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ ^(١) [سبأ : ١٣] .

(١) قوله : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ ﴾ أما المحارِب فهي الاماكن الحسنة ، وصدور المجالس ، وأما قوله : ﴿ وَتَمَائِيلٍ ﴾ فهي الصور في الجدران . قال ابن كثير : وهذا كان سائغاً في شريعتهم وملتهم ، وهو قول كثير من المفسرين . ١٠ هـ .

أما صاحب كتاب « دعوة الرسل » ^(١) (ص ٣١٧) فقال عند هذه الآية : « فيها بيان لعمل الجن المسخرة لسليمان ، فهي تعمل له محارِب ، وهي القصور الحصينة ، بما فيها من القوة على حمل الأثقال ، ونقل لوازم البناء ، وكذلك يعملون له تمائيل ، وهي مظهر من مظاهر العظمة ، وهو دليل على مشروعية التماثيل ، وأن الإسلام إذا حرّمها ، فإنما يحرمها إذا كانت ذريعة للشرك والوثنية كالتماثيل التي تعمل للصالحين ، أما ما يعمل للعظماء الذين ليس من شأنهم أن يُعبدوا بهذه التماثيل ، فليس هناك وجه لتحريمها ، وما ورد من الأحاديث في النهي عن اتخاذ صورة أو تمثال فمحمول على ذلك ، ولو كانت التماثيل محرمة لذاتها ما أباحها الله لسليمان ، لأن الرسل جميعهم متفقون على محاربة الشرك وفرائع الشرك ، لأن التوحيد من الأصول التي لا تختلف =

(١) وهو الشيخ محمد أحمد العدوي .

○ ومنها : بناء بيت المقدس (١) .

= فيها الشرائع السماوية ، ولكن الجن كانت تعملها لسليمان ، وأقرها على ذلك العمل ، وادعاء أن ذلك النوع من التماثيل كان في غير الحيوان كالاشجار مثلاً ، خلاف الظاهر ، وكذلك القول بأن ذلك كان شرعاً لسليمان ، وأنه بما تختلف فيه الشرائع . والظاهر أنها لم تكن تماثيل لعبادة أصحابها ، وأنها هي تماثيل لأغراض آخر .

وقوله : ﴿ وَجَفَّانَ كَالْجَوَابِ ﴾ أى الحياض الكبيرة التى يجمع فيها الماء ، ولعل نبي الله كان يحتاج ذلك النوع ليخزن فيه الماء ، ﴿ وَقُدُورَ رَأْسَاتِ ﴾ أى قدور يطبخ فيها ، ثابتة لا تنقل من مكان إلى مكان لعظمتها ، وكبر حجمها ، وذلك شأن الممالك الكبيرة ، والدول الواسعة ، يحتاج رجالها من آلات الطبخ قدوراً واسعة ثابتة لا تنقل لعظمتها . انتهى .

قلت : (محمد) : وهذا الذى قاله الشيخ محمد أحمد العدوى في بيان شأن التماثيل التى كانت تصنع لسليمان ، واحتجاجه بأنها مشروعة أيضاً في شريعتنا ، وأن تحريمها محمول على ما إذا كانت تعبد ، أو خشية أن تعبد ، فذلك فهم بعيد أراء منه والله أعلم . ذلك أن المنع من التصوير في شريعتنا على العموم ، وليس هناك ما يدل على تفيد ذلك بما ذكره عفا الله عنه . فقد قال النبي ﷺ : « كل مصور في النار » ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل » .

ليس في هذا تشبيه ومضاهاة لخلق الله عز وجل ، وفي الحديث الآخر : « إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، ويقال لهم : أحيوا ما خلقتهم » ولم يستثن ، وراجع تفسير « القرطبي » فقد أفاض في ذلك رحمه الله تعالى .

(١) قلت : والظاهر أنه ليس أول من بناء ، بل ذلك كما يقول القرطبي (فيما نقله عنه الحافظ فتح ٦ / ٤٧١) : « إن الحديث لا يدل على أن سليمان لما بنى المسجد ابتداء وضعه له بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيره » بتصرف .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في « بدايته » : « ومعلوم أن بين إبراهيم الذى بنى المسجد الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام أزيد من ألف سنة ، وليس أربعين سنة ، وكان سؤاله الملك الذى لا ينبغي لأحد من بعده بعد إكماله البيت المقدس » .

● صفة بنيانه وبدء أمره ●

- قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] .
- وقال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧١] .

قيل : بالمياه والأشجار والثمار .

وقيل : إن كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التي بيت المقدس يهبط من السماء إليها ثم يتفرق في الأرض ، وذلك قوله تعالى : ﴿ بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

إضافة (١)

- وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أى مسجد وُضع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام . قال قلت : ثم أى ؟ قال : « المسجد الأقصى » ، قلت : كم كان بينهما ؟ قال : « أربعون سنة ، ثم أينما أدركتكم الصلاة بعدُ فصلُّه ، فإن الفضل فيه » (٢) .
- وفي رواية (٣) : « فصل ، والأرض لك مسجد » .

○ قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٧٠) : « قوله أربعون سنة » قال

(١) لم يذكرها التعليق رحمه الله .

(٢) أخرجه البخارى (٣٣٦٦) ومسلم (٥٢٠) .

(٣) البخارى (٣٤٢٥) .

ابن الجوزي : فيه إشكال ، لأن إبراهيم بنى الكعبة ، وسليمان بنى بيت المقدس ، وبينهما أكثر من ألف سنة انتهى ، ومستنده في أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بإسناد صحيح « أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلافاً ثلاثاً » الحديث .

○ وفي الطبراني من حديث رافع بن عميرة : « أن داود عليه السلام ابتداءً ببناء بيت المقدس ، ثم أوحى الله إليه : إني لأقضى ببناءه على يد سليمان » . وفي الحديث قصة ، قال : وجوابه أن الإشارة إلى أول البناء ، ووضع أساس المسجد ، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس ، فقد روي أن أول من بنى الكعبة آدم ، ثم انتشر ولده في الأرض ، فجازر أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ، ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن ، وكذا قال القرطبي : أن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتداءً وضعهما لهما ، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما .

قلت : وقد مشى ابن حبان في « صحيحه » على ظاهر هذا الحديث ، فقال : في هذا الخبر رد على من زعم أن بين إسماعيل وداود ألف سنة ، ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة ، وهذا عين المحال لطول الزمان - بالاتفاق - بين بناء إبراهيم عليه السلام البيت وبين موسى عليه السلام . ثم إن في نص القرآن أن قصة داود في قتل جالوت كان بعد موسى بمدة .

وقد تعقب الحافظ الضياء بنحو ما أجاب به ابن الجوزي . . . الخ .

● دعوة سليمان ﷺ ●

○ قال ﷺ كما حكاه الله عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » ^(١) من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك » ، ثم قال : « ألعنك بلعنة الله » ثلاثاً . وبسط يده ، كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا له : يا رسول الله ! سمعناك تقول شيئاً لم نسمعك تقوله من قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال : « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ، ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ، ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يستأخر . ثلاث مرات ، ثم أردت أخذه ، والله ! لولا دعوة أخينا سليمان ، لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة » .

(١) (برقم ٥٤٢) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وقد كان له عليه السلام من أمور الملك ، واتساع الدولة ، وكثرة الجنود ، وتنوعها ما لم يكن لأحد قبله ، ولا يعطيه الله أحداً بعده كما قال : ﴿ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ١٦] ، و ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] ، وقد أعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق .

ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسده من النعم الكاملة العظيمة إليه قال : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٢٩] ، أى أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك ، أى تصرف في المال كيف شئت ، فإن الله قد سوغ لك ما تفعله من ذلك ، ولا يحاسبك على ذلك ، وهذا شأن النبي الملك بخلاف العبد الرسول ، فإن من شأنه ألا يعطي أحداً إلا بإذن الله له في ذلك » ^(١) .

(١) وقد سطر هذا الفارق بين النبي الملك ، والعبد الرسول في مقدمة تحقيقى لكتاب « أحاديث الأنبياء ص

١٨ » لابن عبد الواحد المقدسى رحمه الله تعالى . وهو منقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

• تسخير الريح له

• تجرى بأمره وتذليل الجن له

وهذه الخاصية التي نالها سليمان عليه السلام ، إنما هي ببركة دعائه لربه عزوجل ، فأجاب الله دعاءه ، وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحداً من خلقه من قبله ولا بعده . فكان من ذلك كما ذكرنا : تسخير الله له الريح وتذليل الجن له .

○ قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (٣٥) فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (١) ﴾ [ص : ٣٥ - ٣٨] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنِ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ ، ١٣] .

○ وأخرج البخاري ومسلم (٢) في « صحيحيهما » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ، ليقطع على صلاتي ، فأمكنني الله منه ، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد ، حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخي سليمان : ﴿ رَبِّ

(١) والمعنى : أن من عصاه وتمرد منهم ، قرنه في الأصفاد ، وأوثقه ، وجمع يديه إلى عنقه بالأغلال والأكبال .

(٢) خ (٣٤٢٣) وفي مواضع أخرى ، وم (٥٤١) ، وأحمد (٢ / ٢٩٨) .

اغفر لي وهب لي ملكاً لا يتبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب^(١) ﴿ [ص : ٣٥] ،
فردده خاسئاً .

وفي رواية للنسائي^(٢) : « اعترض الشيطان في مصلاي ، فأخذت بحلقه
فخنقته حتى وجدت برد لسانه على كفي ، ولولا ما كان من دعوة أخى
سليمان ، لأصبح موثقاً تنظرون إليه » .

○ وأخرج الحاكم في « المستدرک »^(٣) من حديث ابن عباس رضي الله
عنهما أن النبي ﷺ قال « سألت الله مسألة وددت أني لم أكن سأله . ذكرت
رسل ربي ، فقلت : يا رب ! سخرت لسليمان الريح ، وكلمت موسى ، فقال
تبارك وتعالى : ألم أجذك يتيماً فأوتيتك ، وضالاً فهديتك ، وعائلاً فأغنيتك ،
قال : فقلت : نعم ، فوددت أني لم أسأله » .

○ وأخرج البزار كما في « كشف الأستار » (٣ / ١٣١) من حديث
جابر بن سمرة أن النبي ﷺ قال : « إن الشيطان عرض لي ، فجعل يلقي

(١) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٣٠) : « وفي هذه إشارة إلي أنه تركه رعاية
لسليمان عليه السلام ، ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما
يريد لا في هذا القدر فقط » .

(٢) في « الكبرى » (١ / ١٩٦) (٥٥١) ، وابن حبان في « صحيحه » (٢٣٤٩١) ،
وسنده حسن من أجل محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث . وله شاهد
عند بحشل في « تاريخه » (ص : ١٤٨) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

(٣) (٢ / ٥٢٦) ، والطبراني في « الكبير » (١١ / ٤٥٥) (١٢٢٨٩) وفي « الأوسط »
(٤ / ٣٩٠) والبيهقي في « الدلائل » (٧ / ٦٢ ، ٦٣) .

قلت : وجود إسناده ابن الجزري في « القراءات العشر » (٢ / ٣٩١) كما نقله عنه
الالباني - رحمه الله تعالى - وصححه هو أيضاً في « الصحيحة » (٦ / ١ / ٨٧)
(حديث : ٢٥٣٨) .

عليّ شرر النار ، فلولوا دعوة أخي سليمان لأخذه » ^(١) .

● إجابة الله عز وجل لتساؤلاته ●

○ ففي « سنن النسائي » ^(٢) و « مسند أحمد » ^(٣) من حديث عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ : « أن سليمان بن داود ﷺ لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلافاً ثلاثة ، سأل الله عز وجل حكماً يصادف حكمه ، فأوتيه ، وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فأوتيه ، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد ، أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيبته كيوم ولدته أمه » .

عند ابن حبان (موارد ١ / ٤٥٢) : قال رسول الله ﷺ : « وأرجو أن يكون الله قد أعطاه الثالثة » .

○ وفي رواية عند الحاكم ^(٤) : « إن سليمان بن داود سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين ، ونحن نرجوا أن يكون أعطاه الثالثة ، سألته حكماً يصادف

(١) وقد حسنه الشيخ مقبل بن هادي - حفظه الله تعالى - في « الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين » (٣ / ٤٤٨) .

(٢) (٢ / ٣٤) ، وهذا لفظه .

(٣) (٢ / ١٧٦) وأخرجه ابن خزيمة (١٣٣٤) وابن ماجه (١٤٠٨) والحاكم (٢ / ٤٣٤)

والنسائي في الكبرى (١ / حديث ٧٧٢) والخطيب في « الرحلة في طلب العلم » (رقم : ٤٧) من طرق عن ربيعة بن يزيد قال سمعت ابن الديلمى عن عبد الله بن عمرو به مرفوعاً .

قلت : وقد صحح إسناده الحافظ في « الفتح » (٦ / ٤٧٠) .

(٤) (١ / ٣٠ المستدرك) ، وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح ، قد تداوله الأئمة ، وقد احتجا بجميع رواته ، ثم لم يخرجاه ، ولا أعلم له علة » .

حكمه فأعطاه إياه ، وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه إياه ، وسأله إياها رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد ، أن يخرج من خطيبته كيوم ولدته أمه ، نحن نرجوا أن يكون الله قد أعطاه إياه .

● عَظُمُ ملك سليمان عليه السلام ●

○ قال تعالى بعد أن عَدَّدَ عليه الذي وهبه له : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص : ٣٩] .

○ وعن عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفى قال : قدمت على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فعلقنا طريقًا من طرق المدينة ، حتى أنخنا بالباب ، وما في الناس من رجلٍ أبغض إلينا من رجلٍ يولج عليه منه ، فدخلنا وسلمنا وبايعنا ، فما خرجنا من عنده حتى ما في الناس رجل أحب إلينا من رجلٍ خرجنا من عنده ، فقلت له : يا رسول الله : ألا سألت ربك ملكًا كملك سليمان ؟ فضحك ، وقال : « فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان ، إن الله لم يبعث نبيًا إلا أعطاه الله دعوة ، فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطياها ، ومنهم من دعا بها على قومه ، فأهلكوا بها ، وإن الله أعطانى دعوة ، فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة » (١) .

(١) أخرجه ابن خزيمة في « التوحيد » (ص ٢٦٩) والبخاري في « التاريخ الكبير » (٥ /

٢٥٠) وابن أبي شيبة (٣١٨ / ٦) والبزار (كشف ٣٤٥٩) والفسوي في « تاريخه »

(١ / ٢٨٨) من طرق : عن عون بن أبي جحيفة السوائي عن عبد الرحمن بن علقمة

الثقفى عن عبد الرحمن بن أبي عقيل به مرفوعًا .

قلت : وإسناده حسن .

● ● علمه بالقضاء ● ●

● قصة الغنم والحِث ●

○ قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ

غَنَمَ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (١)

[الانبياء ٧٨ - ٧٩] .

● قصة المرأتين اللتين تنازعتا في الولد ●

○ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

ﷺ قال : « كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ،

فقال لصاحبتها : إنما ذهب بابنك ، وقال الأخرى : إنما ذهب بابنك ،

(١) قال السعدى - رحمه الله تعالى - : « أى : واذكر هذين النبيين الكريمين « سليمان »

و « داود » مثنيًا مبعلاً ، إذ آتاهما الله العلم الواسع ، والحكم بين العباد ، بدليل قوله

﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمَ الْقَوْمِ ﴾ أى : إذ تحاكم إليهما صاحب حرث ،

نفشت فيه غنم القوم الأخرى ، أى : رعت ليلاً ، فأكلت ما في أشجاره ، ورعت

ررعه ، ففضى فيه داود عليه السلام ، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث ، إلى تفريط

أصحابها ، فعاقبهم بهذه العقوبة .

وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب ، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى

صاحب الحرث ، فيتنفع بذرّها وصوفها ، ويقومون على بستان صاحب الحرث ، حتى

يعود إلى حاله ، فإن عاد إلى حاله ، تراداً ، ورجع كل منهما بماله ، وكان هذا من

كمال فهمه وفطنته عليه السلام ، ولهذا قال : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ أى : فهمناه هذه

القضية ، ولا يدل ذلك أن داود لم يفهمه الله في غيرها ، ولهذا خصهما بالذكر

بدليل قوله ﴿ وَكُلًّا ﴾ من داود وسليمان ﴿ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ، وهذا دليل على أن

الحاكم قد يصيب الحق والصواب ، وقد يخطئ ذلك ، وليس يملوم إذا أخطأ مع بذل

اجتهاده . انتهى .

فتحاكما إلى داود عليه السلام ، ففضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام ، فأخبرناه ، فقال : اتتوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله ، هو ابنها ، ففضى به للصغرى ، قال أبو هريرة : والله إن سمعت بالسكين قط إلا يومئذ ، وما كنا نقول إلا المديّة » (١) .

● تمنى سليمان عليه السلام

أن تلد له كل امرأة من نسائه فارساً

● يجاهد في سبيل الله وقوته في الجماع ﷺ

○ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « قال سليمان بن داود : لأطوفن^(٢) الليلة على سبعين^(٣) امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل

(١) أخرجه البخارى (٦٧٦٩) (وفي مواضع أخرى ٣٤٢٧) ومسلم (١٧٢٠) وأحمد (٢ / ٣٢٢ ، ٣٤٠) والنسائي (٨ / ٢٣٤ ، ٢٣٦) .

قال الحافظ ابن كثير :

« ولعل كلاً من الحكمين كان سائغاً في شريعتهم ، ولكن ما قاله سليمان أرجح ، ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه إياه ، ومدح بعد ذلك أباه ، فقال : ﴿ وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعَلَّمْنَا... ﴾ [الأنبياء : ٧٩] .

(٢) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٣١) : « هذا قاله على سبيل التمنى للخير ، وإنما جزم به لأنه غلب عليه الرجاء ، لكونه قصد به الخير ، وأمر الآخرة ، لا لغرض الدنيا قال بعض السلف : نبه ﷺ في هذا الحديث على آفة التمنى والإعراض عن التفويض ، قال : ولذلك نسي الاستثناء ليمضي فيه القدر » .

(٣) صحح البخارى رواية : « تسعين » على « سبعين » وراجع « الفتح » (٦ / ٥٣١) فقد جمع بين تلك الروايات هناك ، ولم يطرح شيئاً منها بل حاول التوفيق بينها . أعني الحافظ ابن حجر - رحمه الله - .

الله ، فقال له صاحبه : إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً
أحد شقيقه ، فقال النبي ﷺ : لو قالها لجاهدوا في سبيل الله ^(١) .

● قصة الهدهد

وما حدث مع ملكة سبأ ●

○ وقد قصها الله علينا في كتابه .

وفيهما من عظيم فضل الله على نبيِّه سليمان عليه السلام . وبيان كيف
كان سليمان نبياً كريماً ، وملكاً عظيماً ، ولنورد ما ورد في كتاب الله عز وجل
في شأن هذه القصة الكريمة ، وهى في غنية عن البسط والتفصيل أكثر مما
ورد به التنزيل ^(٢) . فلنكتفى بذلك والله المستعان وعليه التكلان .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٣٤٢٤) ومسلم (رقم : ١٦٥٤) (ص ١٢٧٦)
[٢٥] وأحمد (٢ / ٢٧٥) والنسائي (٧ / ٢٥) وفي « الكبرى » (٥ / ٣٢٨)
(٦ / ٣٨٥) وقال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٣٢) : « والمراد : أنه كان يحصل
له ما طلب ، ولا يلزم من إخباره ﷺ بذلك في حق سليمان في هذه القصة أن يقع
ذلك لكل من استثنى في أمنيته بل في الاستثناء رجوع الوقوع ، وفي ترك الاستثناء
خشية عدم الوقوع ، وبهذا يجاب عن قول موسى للخضر : ﴿ سَجِدْني إن شاء الله صابراً ﴾
[الكهف : ٦٩] ، مع قول الخضر له آخراً : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾
[الكهف : ٨٢] ، وفي الحديث فضل فعل الخير وتعاطى أسبابه ، وأن كثيراً من المباح
والملاذ يصير مستحباً بالنية والقصد .

وفيه استحباب الاستثناء لمن قال سأفعل كذا . وأن إتباع المشيئة اليمين يرفع حكمها ،
وهو متفق عليه بشرط الاتصال ، ثم قال : « وفيه جواز السهو على الأنبياء ، وأن
ذلك لا يقدح في علو منصبهم » .

(٢) إلا ما كان فيها من عبر وأحكام ، فهذا لا يأتى عليه الحصر ، فلعل ذلك يُستدرك إن
شاء الله .

○ قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَا عَذِيبَتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرِتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَظْعِكُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تُعْبِدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [النمل : ٢٠ - ٤٤] .

● إكرام الله له ●

○ ولما ذكر الله تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام من خير الدنيا نبه على ما أعد له في الآخرة من الثواب الجزيل ، والأجر الجميل ، والقربة التي تقربه ، والفوز العظيم ، والإكرام بين يديه ، وذلك يوم المعاد والحساب ، حيث يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾ [ص: ٢٥] (١) .

● سؤاله ﷺ اللقوق بالصالحين ●

○ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩] .

● وفاة سليمان ﷺ ●

○ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانَُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبا: ١٤] .

(١) قاله الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في « البداية » ونحوه في « التفسير » (٤ / ٣٨ المكتبة القيمة) .

● طائفة من أقوال

● أهل العلم في تفسير الآية الكريمة (١)

○ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (٢) : « يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة ، فإنه مكث متوكئاً على عصاه ، وهي منسأته - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ، ومجاهد ، والحسن ، وقناة ، وغير واحد - : مدة طويلة نحواً من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض ، وهى الأرضة ضعفت ، وسقط إلى الأرض ، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة . تبينت الجن ، والإنس أيضاً ، أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب ، وفي صحته نظر .

قال ابن جرير : ثم ساق بإسناد إلى رسول الله ﷺ قال (٣) : « كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا ، فيقول : لأى شئ أنت ؟ فإن كانت لغرس غُرست ، وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : الخروب ، قال : لأى شئ أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال سليمان عليه السلام : اللهم عم على الجن موتى ، حتى يعلم الإنسان أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصا ، فتوكأ عليها حولاً ميتاً ،

(١) ونحن إذ نورد ذلك لم نذكرها لمجرد السرد لها فقط ، ولكن حتى يجتنب القارئ ما جاء في ذلك من إسرائيليات ، ليس عليها دليل من كتاب الله ، ولا من حديث رسول الله ﷺ الثابت الصحيح .

(٢) في « تفسيره » (٣ / ٤٩٥ وما بعدها) .

(٣) قلت : وفي سنده كلام ، مع غرابة المتن ، كما نقل الحافظ ابن كثير .

والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة ، فتبينت الإنس أن الجن لا كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا حولاً في العذاب المهين » قال : وكان ابن عباس يقرأها كذلك ، قال :
فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم .

وفي رفعه غرابة ، ونكارة ^(١) ، ثم قال رحمه الله بعد أن أورد أثراً نحو
الذي مضى : « وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل
الكتاب وهي وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ، ولا يكذب منها إلا ما
خالف الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب » ^(٢) .

○ وقال السعدى - رحمه الله - ^(٣) : « فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان
عليه الصلاة والسلام كل بناء ، وكانوا قد موَّهوا على الإنس ، وأخبروهم
أنهم يعلمون الغيب ، ويطلعون على المكنونات . فأراد الله تعالى أن يُرى
العباد كذبهم في هذه الدعوة ، فمكثوا يعملون على عملهم . وقضى الله
بالموت على سليمان عليه السلام ، واتكأ على عصاه ، وهي المنسأة ،

(١) وصوب الوقف ، فقال : وهو الأقرب ، كما في « التفسير » وفي « البداية » : « وهو
أشبه بالصواب » ولا يعنى أنه صحيح ، فلعله من الإسرائيليات أيضاً أخذ - أعني
الموقوف - .

(٢) وهذا هو موقف الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من كثير من الإسرائيليات ، موقف
التمسك بالدليل القرآنى ، والنص الصحيح النبوى ، فقد قال عند قصة الخصمين
المشهورة بعد أن أورد النص القرآنى فحسب ، ولم يورد سواه ، قال رحمه الله : « وقد
ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ما هنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيلية
ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصداً ، اكتفاء على مجرد تلاوة
القصة من القرآن ، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم » انتهى من « البداية » .

(٣) في « تفسيره » (٦٢٣ ط الرسالة) عند آية (سبأ : ١٣ ، ١٤) .

فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها ، ظنوه حياً وهابوه .

فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل ^(١) ، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه ، فلم تزل ترعاها ، حتى بادت ، وسقطت فسقط سليمان ، وتفرقت الشياطين ، وتبينت الإنس أن الجن : ﴿ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبا : ١٤] ، وهو العمل الشاق عليهم فلو علموا الغيب ، لعلموا موت سليمان ، الذي هم أحرص شئ عليه ، ليسلموا مما هم فيه « انتهى .

ويقول الشيخ العدوى - رحمه الله تعالى - ^(٢) : « أى فلما قضى الله الموت على سليمان ، ما دلَّ على موته إلا دابة الأرض تأكل عصاه ، وقد كانت الجن في أمكنة بعيدة عن سليمان لا يفترون عن عملهم خشية أن يعاقبهم ، وبعد مدة لم يحددها القرآن علم أحد الجن بموته ، إذا رأى عصاه ملقاه على الأرض ، فرفعها ، فإذا الأرضة قد أكلتها ، فاستدل من أكل الأرضة لها أن سليمان قد تركها مدة طويلة ، وما كان لتركها إلا لحدث من موت أو مرض ، وقد كانت العصا من شارات الرئيس والرياسة ، وبخاصة من كان ملكاً كسليمان لا يتركها ما دام صحيحاً معافى .

وعلى ذلك الوجه فقوله ﴿ خَرَّ ﴾ المراد به مات ، وفي القاموس ، وفي لسان العرب : أن خرَّ تأتى بمعنى مات ، أو الضمير في قوله ﴿ ما دلهم ﴾

(١) هذا اعتماداً منه رحمه الله على الحديث الذى أورده الحافظ ابن كثير وقد علمت ما قال فيه الحافظ رحمه الله ، ولكن السعدى رحمه الله احتاط لنفسه ، وهو دأبه رحمه الله فلم يجزم بذلك ، بل ذكره مُمرَضاً ، قلله الحمد .

(٢) في كتابه « دعوة الرسل إلى الله تعالى » (ص ٣١٨) ط دار المعرفة .

لأهل سليمان ، والخرور : السقوط ، وقد كان سليمان عليه السلام وُجد في محرابه ^(١) ، وقد أدركه الموت وهو جالس متكئ على عصاه ، فجاءت الأرضة وأكلت بعضه ، فانهار الجزء الذي أكلته ، فاختل التوازن فخر ، فدل ذلك أهله على موته .

وقوله : ﴿ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ الغيب هنا : ما غاب عنهم من موته سليمان ، وهو يدلنا على أن الجن قد أخفى الله عنهم موت سليمان ، وأنهم أسفوا على بقائهم في عملهم مدة مات فيها سيدهم ومسخرهم « انتهى .

(١) وهذا أيضاً لا نستطيع الجزم به ، هل كان في محرابه عند أهله ، أو كان مسافراً بعيداً عنهم ، إذ كيف يظل هذه المدة متكئاً على عصاه وتأتي الأرضة فتأكل عصاه ، فيخر ميتاً ثم يعلم أهله بعد ذلك ! إلا إذا كان لأمر يريده الله سبحانه ، أن يكون بينهم ولم يعلموا عنه شيئاً ، لكن كما قدمناه لا نستطيع الجزم بهذا أو بذاك ، ولزوم ما ورد في شأنه في الكتاب أولى والله أعلم .

من فضائل زكريا عليه السلام

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٨٩ ﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿

● من فضائل زكريا عليه السلام ●

● نبوته ﷺ ●

○ قال تعالى - بعد ذكره هو وعدد من الأنبياء - : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْبَدَهُ ﴿ [الانعام : ٨٩ ، ٩٠] .

● ثناء الله عليه ●

○ قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الانعام : ٨٥] .

● بشارات وكرامات ●

● لنبي الله زكريا عليه السلام ●

○ وهذه البشارات ، وتلك الكرامات ، إنما هي ببركة دعاء هذا النبي الكريم ، وإلحاحه على ربه سبحانه وتعالى ، فأجاب له دعوته ، ومنَّ عليه وأكرمه .

○ قال تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ^(١) كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ ^(٢) وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٧) هَذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ^(٣٨) فَنَادَتْهُ

(١) فقد جعله الله سبحانه وتعالى كافلاً لها - أعني مريم عليها السلام - .

(٢) محل العبادة ، وفيه إشارة إلى كثرة صلاتها وملازمتها لمحرابها .

الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِكُ بِحَيِّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ (١) مِنَ اللَّهِ
وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٢) قَالَ رَبِّ أُنْثَىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي
الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٣) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً (٤) قَالَ
آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا (٥) وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿
[آل عمران : ٣٧ - ٤١] .

○ يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - : « كان هذا المولود من
بركات مريم بنت عمران ، على زكريا ، فإن ما منَّ الله به عليها ، من ذلك
الرزق الهني ، الذي يحصل بغير حساب ، ذكره وهيجه على التفرغ
والسؤال ، والله تعالى هو المتفضل بالسبب والمسبب ، ولكن يقدر أموراً
محبوبة على من يحبه ، ليرفع الله قدره ، ويعظم له أجره » .

○ وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقص على الناس خبر زكريا عليه السلام ،
وما كان من أمره حين وهبه الله ولدًا على الكبر ، وكانت امرأته عاقراً في

(١) قال السعدي رحمه الله : « الكلمة من الله : عيسى ابن مريم . فكانت بشارته بهذا
النبي الكريم ، تتضمن البشارة بـ « عيسى ابن مريم » والتصديق له ، والشهادة له
بالرسالة » .

(٢) قال ابن كثير : « هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته ، وهي أعلى من
الأولى ، كقوله لام موسى : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص : ٧] » .

(٣) أي : استدل بها على أن امرأتي حملت .

(٤) قال السعدي - رحمه الله تعالى - (*) : « وهذه من الآيات العجيبة ، فإن منعه من الكلام
مدة ثلاثة أيام ، وعجزه عنه من غير خرس ، ولا آفة ، بل كان سويًا ، لا نقص فيه ،
من الأدلة على قدرة الله الخارقة للعوائد ، ومع هذا ، ممنوع من الكلام ، الذي يتعلق
بالأدمين وخطابهم ، وأما التسييح ، والذكر ، ونحوه ، فغير ممنوع منه » .

(*) وليس كلامه عند تفسير هذه الآيات من سورة آل عمران ، بل عند سورة مريم [مريم : ١٠] .

حال شبيبتها^(١) ، وقد أسنت أيضاً ، حتى لا ييأس أحد من فضل الله ورحمته ، ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس^(٢) . فقال تعالى : ﴿ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٣) وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ

(١) راجع « تفسير ابن كثير » (٣ / ١٠٨ المكية القيمة) .

(٢) « أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ » (٢٩٠) .

(٣) قال الطحاوي - رحمه الله تعالى - في (« مشكل الآثار » ٣ / ١٠ و ١٢) : « ما كان من زكريا ﷺ في ذلك مما سأل به عز وجل أن يهب له من يرثه ، لم يكن ذلك مال يرثه عنه ، وأي مال كان له ﷺ ، وإنما كان زاهداً نجاراً يعمل بيده ، ولما كان نجاراً ﷺ ليس من ذوي الأموال ، عقلنا بذلك أن الذي سأل به عز وجل ، أن يرثه عنه من يهب له غير الأموال ، وهي النبوة ، كمثل سائر أنبياء الله عز وجل صلوات الله عليهم ، فلم يرثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم (*) ، وزكريا ﷺ منهم ، فلم يرث شيئاً من المال ، فإن قال قائل : فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾ [النمل : ١٦] . فإن ذلك عندنا - والله أعلم - هو ما كانت الأنبياء تورثه مما هو سوى الأموال .

فإن قال : فقد كان سليمان في حياة داود - صلى الله عليه وسلم - نبياً ، فما الذي ورثه عنه ؟ قيل : ورث عنه حكمته ، وما يُورث عن مثله . وكان ذلك مضاعفاً إلى نبوته التي كانت معه قبل ذلك » انتهى .

(*) وقد صح في ذلك حديث عن رسول الله ﷺ ، وفيه : « إن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يرثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » وقد أودعته في كتاب « أحاديث الأنبياء » . لابن عبد الواحد المقدسي - رحمه الله - (مقدمتي له ص ٤٧ ، ٤٨) .

آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ
سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّنْ
لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ
وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿ [مزيم : ٢ - ١٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الانبياء : ٨٩ - ٩٠] .

○ فوهبه الله تعالى يحيى ولداً ونعمت الهبة ، وجعله الله نبياً كريماً ،
وذلك الفضل من الله ، ولم يجعل من اسمه شبيهاً ولا نظيراً من قبل .
○ ولداً آناه الله الحكيم في صباه .

○ وكذا حناناً وزكاة ، ورحمة ورأفة ، وطهارة وعفة ، وكان تقياً .
إلى غير ذلك من الصفات والأوصاف الحميدة ، والأخلاق الحسنة ،
التي سيأتي ذكرها في الباب القادم إن شاء الله تعالى .

● تواضعه وزهده ●

فقد كان زكريا عليه السلام يأكل من عمل يده : وهي منقبة له عليه
السلام ، كما هي منقبة لنبي الله داود عليه السلام كما ذكر قبل .

○ ففي « صحيح مسلم » ^(١) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ

(١) (رقم : ٢٣٧٩) (١٥ / ١٣٥ نووي) ، وأحمد (٢ / ٢٩٦ و ٤٠٥) وابن ماجه

(٢١٥٠) وابن حبان كما في « الإحسان » (٥١٤٢) ، وابن الأعرابي في « معجمه »

(١٠٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

قال : « كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا » .

قلت : وقد بَوَّبَ النووي - رحمه الله تعالى - في « شرحه لمسلم » بابًا بعنوان : « من فضل زكريا عليه السلام » .

وأورد تحت هذا الباب ؛ حديث الباب هذا . وانظر الحاشية لتقرأ كلامه في ذلك .

= فائدة : قال النووي - رحمه الله - : « قوله عليه السلام : « كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا » فيه جواز الصنائع ، وأن النجارة لا تسقط المروءة ، وأنها صنعة فاضلة . وفيه فضيلة لزكريا عليه السلام ، فإنه كان صانعًا يأكل من كسبه ، وقد ثبت قوله عليه السلام : « أَفْضَلُ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ وَإِنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » ، وفي زكريا خمس لغات : المد والقصر ، وزكري بالتشديد والتخفيف ، وذكر كعلم . انتهى النووي رحمه الله .

من فضائل يحيى عليه السلام^(١)

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾

(١) أبوه زكريا عليه السلام ، وابن خالته عيسى عليه السلام ، وخالته هي مريم ابنة عمران عليهما السلام ، فحقاً إنه بُيت نبوة وحقاً إنها ذرية صالحة بعضها من بعض .

1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36

37

38

39

40

41

42

43

44

45

46

47

48

49

50

51

52

53

54

55

56

57

58

● جملة من الآيات الواردة في

الثناء على يحيى بن زكريا عليه السلام ●

فقد مدحه ربه سبحانه ، وزاد في الثناء عليه ، ومنَّ عليه وأنعم ، وأفاض عليه وأكرم .

○ فقد بُشِّرَ لأبيه زكريا عليهما السلام وسماه الله قبل أن يولد ، كما قال تعالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٧] .
فلم يُسمَّ أحد قبله بيحيى !! ولم يجعل له من قبله نظيراً ولا مثيلاً ولا شبيهاً !!

فهذا فضل وأي فضل !!

○ فكان هبة من الله لأبيه زكريا عليهما السلام ، قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

○ آتاه الله الحكم صبيّاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢] .

فهكذا وصفه الله بالحكمة منذ صغره ، ورزقه الفهم والحكمة والجد والعزم والاجتهاد في العبادة ، والإقبال على الخير منذ الصغر ، وقد قال تعالى قبلها : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم : ١٢] .

○ ثم إن الله جعله ذا حنان وذا زكاة وطهر وعفاف وذا طاعة وتقوى ، فقال تعالى : ﴿ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٣] .

○ وهذه أنواع من الثناء عليه من الله سبحانه حيث يقول تعالى : ﴿ وَبَرًّا

بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿
[مريم : ١٤ - ١٥] .

فهل بعد تسليمات الله من تسليمات !!

سلام عليه ، ليس وقت ولادته فقط ، بل حتى الممات يؤمنه الله
ويسلمه ، ويوم يقوم الأشهاد ^(١) .

○ وقد كان عليه السلام شأنه شأن كل نبي مع أخيه النبي الآخر ، فقد
كان مؤمناً برسالة ابن خالته عيسى عليه السلام ، قال تعالى في شأن يحيى :
﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

○ ووصفه الله بالسيادة ، فقال : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

سيداً في كل شيء ؛ سيداً في الحلم ، وسيداً في العلم ، وسيداً في
العبادة ، وسيداً في الورع ، والكرم و

(١) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « البداية » : « هذه الأوقات الثلاثة أشد ما
تكون على الإنسان ، فإنه ينتقل في كل منها إلى عالم آخر ، فينقذ الأول بعد ما كان
الفه وعرفه ، ويصير إلى الآخر ، ولا يدري ما بين يديه ، ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج
من بين الأحشاء ، وفارق لينها وضمها ، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها وغمها !
وكذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينهما وبين دار القرار ، وصار بعد
الدور والقصور إلى عرصة الأموات سكان القبور ، وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم
البعث والنشور ، فمن مسرور ومحبور ، ومن محزون ومبثور ، وما بين جبير وكسير ،
وفريق في الجنة وفريق في السعير ، ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :
ولذلك أمك باكياً مستصرخاً والناس حولك يضحكون سروراً
فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً سروراً
ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما يكون على ابن آدم ، سلم الله علي يحيى في كل
موطن منها فقال : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥] .

○ أما عن عفته فقد كان : ﴿ حَصُورًا ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

وأصل الحصر : المنع .

فقيل : هو الممنوع عن الفواحش والقاذورات ^(١) ، وقيل : هو الذي لا يأتي النساء مع القدرة على إتيانهن . حتى قيل إنه كان من أجمل الناس وأصبحهم وجهًا . وثم قول ثالث مدفوع بما قد نقله الحافظ ابن كثير عن القاضي عياض في الحاشية هنا .

○ ووصفه الله سبحانه بالنبوة والصلاح ، فقال تعالى - مبشرًا أباه زكريا ، بعد البشارة الأولى بولادته - : ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٢) [آل عمران : ٣٩] .

○ وذكره الله سبحانه هو وعدد من أنبيائه ، وقال : ﴿ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٥] .

(١) ورجح السعدي أن يكون هذا فقال : « وهذا الیق المعنيين » . وقبله يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في « التفسير » : « قال القاضي عياض في كتابه الشفاء : « اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان ﴿ حَصُورًا ﴾ ليس كما قاله بعضهم : إنه كان هيوبًا أولاً ذكر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ، ونقاد العلماء ، وقالوا : هذا نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليه السلام ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كانه حصور عنها ... » .

(٢) قال شيخنا مصطفى بن العدوي حفظه الله تعالى في « التسهيل لسورة آل عمران » (ص ١٢٤) : « الصلاح أعم من النبوة ، فإذا انضم إلى الصلاح نبوة كان أعلى من الصلاح بلا نبوة ، قال النبي ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « إن عبد الله رجل صالح » رواه البخاري ومسلم ، فالصلاح هنا بلا نبوة فهو فضل ؛ ولكنه أقل من الصلاح مع النبوة ولا شك ، والله تعالى أعلم .

وقد قال سليمان عليه السلام : ﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٩] . انتهى بتصرف يسير .

○ وقال تعالى بعد ذلك : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [الأنعام : ٨٩] ، وقال بعدها : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

فصل

● مرحباً به ولنعم المرحى جاء (١) ●

لننظر كيف رزق به أبوه زكريا عليه السلام ، وكيف جاء به .

تري كيف جاء !!

أبوه زكريا عليه السلام كان لا يولد له ، وقد بلغ من الكبر عتياً ، وهن عظمه ، واشتعل رأسه شيباً ، وأمه كانت عاقراً .

ولكن أباه لم يياس من روح الله ، ولم يقنط من رحمة ربّه ومولاه !!

دخل زكرياء على مريم عليها السلام فوجد عندها رزقاً (كما قال العلماء فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف) .

فسألها زكريا : ﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحيثئذ ، وعندئذ دعا زكرياء ربه الذي رزق مريم أن يرزقه هو الآخر ، الذي من على مريم بالرزق بغير حساب قادر علي أن يمن علي بالولد ، وإن كبرت ، وإن وهن العظم مني ، وإن اشتعل الرأس شيباً فالله قادر علي أن يرزقني بالولد ،

(١) استفدنا هذا الباب من كلمات لشيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي حفظه الله تعالى : « فقه تربية الأبناء » (ص ٢١٩ وما بعدها) .

وبالولد الصالح ف ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

فهكذا يتأتى الفضل من وراء مجالسة الصالحين ، تشجع زكرياء ودعا ربه لما رأى الرزق الغزير يتدفق على مريم عليها السلام .

دعا زكريا عليه السلام ، وكان من دعائه أيضاً : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الانبياء : ٨٩] .

وها هنا علمنا زكرياء عليه السلام آداباً للدعاء :

فأولها : ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مريم : ٣] . أسر زكرياء بالدعاء وهكذا ينبغي أن يكون الأغلب من أمر الدعاء ألا وهو الإخفاء قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الاعراف : ٥٥] .

ثانياً : أظهر ضعفه وانكساره لخالقه ومولاه ، بقوله : ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم : ٤] .

ثالثاً : توسل إلى الله بسابق إحسانه إليه ، بقوله : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٤] ، أى يارب إنك كريم جواد لم تجعلنى شقياً بالرد والحرمان ، فكل شئ سألتك أعطيتنى منه .

وكل ما دعوتك به فقد أجبتنى ، فلا تمنعنى يا صاحب الفضل ويا صاحب الإحسان من فضلك وإحسانك .

رابعاً : بين العلة من سؤاله وأوضحها ، وهى علة شرعية لها وجه محمود ألا وهى ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾ [مريم : ٥] ، أى خفت من

أقاربى وعصبتى أن لا يقيموا الدين من بعدى ولا يقوموا بأمرى فأردت يارب
ولياً من ذريتى يرث علمى ونبوتى ويقوم فى قومى بالعدل والإحسان ويقيم
أمرى ويراعى حدودك .

خامساً : بين حال امرأته أيضاً لله ﴿ وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ [مريم : ٥] ،
فهى وإن كانت عاقراً لكنى لا أقنط أبداً من رحمتك ولا أياس أبداً من
روحك .

سادساً : لم يطلب الولد للتباهى به والافتخار والتعالى على الناس ولا
للأشر والبطر والكبر والغرور ، ولكنه طلب الولد كما قال : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم : ٦] ، ولم يطلب ولداً شريراً بل قال : ﴿ وَأَجْعَلْهُ
رَبِّ رَاضِيًا ﴾ [مريم : ٦] ، فحينئذ صدرت هذه الدعوة الصالحة - ليس فيها
إثم ولا قطعية رحم - صدرت هذه الدعوة الطيبة من نبي تقى خاشع لله
يدعوه رغباً ورهباً ، يدعوه متذللاً منكسراً ، يدعو ربه بصلاح الذرية ،
يدعوه كى يُقام الدين وتعلو كلمة الله ، يدعوه متوسلاً إليه بسابق الإحسان
فحرى بمثل هذه الدعوة أن تُجاب ، فإنما يتقبل الله من المتقين .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] .

وقد قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

فأجيب دعوة زكريا عليه السلام ، وأعطى أفضل مما سأل وخيراً مما سأل
وأكثر مما سأل .

قال تعالى ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾
[مريم : ٧] .

﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢] .

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٣] ، أى جعلناه ذا حنانٍ وذا زكاة ، والحنان هو المحبة والشفقة لوالديه ولأهل الإيمان ، والزكاة الطهارة من الذنوب والآثام والزكاة كذلك العمل الصالح ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٣] . قال ابن كثير : طَهَّرَ فلم يعمل بذنب .

وإضافة إلى ذلك : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم : ١٤] وأيضاً : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١٥] .
فهكذا فضل الله ، وهكذا نعم الله ، وبمثل هذا تجاب دعوات المتقين ، فليعقل ذلك العالمون ، وليفهم ذلك المتقون ، وليذكر ذلك العابدون !!!

● يحيى عليه السلام

والكلمات التى أمره ربه عزوجل بها ●

○ أخرج الترمذى في « سننه » ^(١) بإسناد صحيح من حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال : « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها ، وإنه كاد أن يبطئ بها ، فقال عيسى : إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها ، وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا

(١) (برقم : ٢٨٦٣) (٢٨٦٤) وأحمد (٤ / ١٣٠) والطيالسى (١١٦١) والحاكم (١١٧ ، ١١٨) .

قلت : وهذا الحديث صحيح ، وقد صححه جمع من الحفاظ ، وقد ألزم الدارقطنى مسلماً بإخراجه كما في « التتبع » (ص ١٠٠) . وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » (٢٢٧ / ٢) : « وهذا حديث حسن جامع لفنون العلم » .

بها ، فإما أن تأمرهم ، وإما أن آمرهم ^(١) ، فقال يحيى : أخشى إن سبقتنى بها أن يخسف بي أو أعذب ، فجمع الناس في بيت القدس ، فامتأ المسجد ، وتعدوا على الشرف ، فقال : إن الله أمرنى بخمس كلمات ، أن أعمل بهن ، وأمركم أن تعملوا بهن .

○ أولهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وإن مثل من أشرك بالله ، رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ، فقال : هذه دارى ، وهذا عملى ، فاعمل وأد إلى ، فكان يعمل ويؤدى إلى غير سيده ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟

○ وإن الله أمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

○ وأمركم بالصيام ، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك ، فكلهم يعجب أو يعجبها ريحها ، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

○ وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو ، فأوثقوا يده إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفديه منكم بالليل والكثير ، ففدى نفسه منهم .

○ وأمركم أن تذكروا الله ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج إلى العدو في أثره سراعاً حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله .

(١) وهذا فيه من محبة الاستجابة والطاعة لأوامر الله عز وجل ما فيه .

قال النبي ﷺ : « وأنا أكرم بخمس الله أمرني بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإن من فارق الجماعة قيد شبر خلع ربة الإسلام من عنقه ، إلا أن يرجع ، ومن ادعى دعوى الجاهلية ، فإنه من جثا جهنم ، فقال رجل : يا رسول الله : وإن صلى وصام ؟ قال : وإن صلى وصام ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله . »

● إقامة في إحدى

● السموات هو وابن خالته عيسى ﷺ

○ أخرج البخارى ومسلم ^(١) من حديث مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فلما خلصت ، فإذا يحيى وعيسى ، وها ابنا خالة ، قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما ، فسلمت فرداً ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

○○ هل قتل يحيى وأبوه زكريا عليهما السلام ؟

○ اشتهر أن يحيى وأباه زكريا عليهما السلام ماتا مقتولين ، ولكن لم يثبت في ذلك خبر عن رسول الله ﷺ يرفع له هامة ، ويجعل له قامة ^(٢) .

(١) البخارى (٣٤٣٠ ، ٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤) .

(٢) وإن كان قد صحح البعض بعض الآثار في ذلك عن أحد من التابعين أو من بعدهم ، فمن أين لهم ذلك !! يقيتاً هو عن أهل الكتاب أخذ !!

○ أوردوا إسرائيليات في سبب قتله ، يعجب المرء من إيرادها ونقلها ، بل وتداولها ، حتى قال الحافظ ابن كثير في بعضها ^(١) : « سياق غريب جداً ، وحديث عجيب ، ورفع منكر وفيه ما ينكر على كل حال » .

○ فما دام لم يُحك لنا شيء من ذلك في كتاب ربنا ، وفي حديث نبينا محمد ﷺ الثابت الصحيح عنه ، كان الأحرى أن لا نجرى وراء ما يئنه أهل الكتاب الذين ورد لنا الأمر فيهم أن لا نصدقهم ولا نكذبهم !!

قال د . جمال عبد الهادي ^(٢) : وردت أخبار عن زكريا عليه السلام ، ولكن لم نفع على خبر صحيح يعتد به ، هل قتل زكريا عليه السلام أم أنه مات ؟؟

○ أما يحيى عليه السلام ^(٣) ، فقد ورد خبر عن سعيد بن المسيب ، يقول عنه ابن كثير إن إسناده صحيح ، وهو : « قدم بخت نصر دمشق فإذا بدم يحيى بن زكريا يغلى ، فسأل عنه ، فأخبروه ، فقتل على دمه سبعين ألفاً فسكن » .

ويقول ابن كثير : وهو يقتضى أنه قتل بدمشق ، وأن قصة بخت نصر كانت بعد المسيح ^(٤) .

وذلك يعنى أن بنى إسرائيل قد قتلوا يحيى ، ولا عجب في ذلك فهم قتله الأنبياء .

(١) كما في « البداية والنهاية » .

(٢) « أخطاء يجب أن تصحح » (٣٠٠) بالاشتراك مع د . وفاء جمعة .

(٣) أما ما ورد مرفوعاً عن رب العزة : « أنى قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام سبعين ألفاً » فهو مما لا يثبت عن رسول الله ﷺ أيضاً . (قاله محمد) وسيأتى .

(٤) « البداية والنهاية » (٢ / ٥٥) .

وعلى كل فقد شاهد الرسول محمد ﷺ ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام في السماء في ليلة الإسراء والمعراج كما هو ثابت في الصحيح في حديث الإسراء (١) . انتهى .

● أحاديث وردت (٢)

في فضل يحيى بن زكريا وهي ضعيفة ●

○ أخرج النسائي في « الكبرى » (٣) وابن حبان في « صحيحه » من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ، ويحيى بن زكريا » .

والجزء الأول منه صحيح وثابت ، والكلام في الأخير . والحديث في سنده عبد الرحمن بن أنعم وهو الإفريقي وهو ضعيف .

○ وأخرج الإمام أحمد في « المسند » (٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً :

(١) « البداية والنهاية » (٢ / ٥٥) وهو في « صحيح الجامع الصغير » (حديث رقم ٣٤٩٥) ، وانظر « تفسير القرآن العظيم » (١ / ٣٦٠) (« أخطاء يجب أن تصحح » ص ٣٠٠) .

قلت (محمد) : وهذا الأخير الذي أورده فلا وجه للاستئناس به في مثل هذا المقام .
(٢) وهذا الباب أورده مع أنه ليس من شرط كتابنا هذا ، لما وجدته من تصحيح البعض لهذه الأحاديث التي سنورها ، والحق في خلاف ذلك والعلم عند الله .

(٣) (٨١٦٩) و (٨٥٢٨) والترمذي (٣٧٦٨ مختصراً) وابن حبان (٦٦٥٩) والحاكم (٣ / ١٦٦ ، ١٧٧) وراجع جزء : « تسمية ما انتهى إلينا من الرواة عن أبي نعيم الفضل بن دكين عالياً » ، (رقم ٢١) ، ففيه إفادة ونفع إن شاء الله .

(٤) (١ / ٢٥٤) ، وعبد بن حميد (٦٦٥ المنتخب) ، وقد ضعفه الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى .

«ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو همَّ بخطيئة ليس يحيى بن زكريا...» .
وله طرق عن غير ابن عباس رضى الله عنهما .

○ فروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً كذلك ^(١) . وقد
أعلّ، فالراوى عنه هنا سعيد بن المسيب ، وقد رواه مرسلأ (أو مقطوعاً)
يعنى من قوله هو .

أخرجه الطبرى في « التفسير » (٦٩٨٢) ^(٢) بإسناد صحيح عنه .
وعزاه الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ^(٣) لابن أبي حاتم ، ورجح الوقف
على عبد الله بن عمرو .

ويروى عن أبي هريرة مرفوعاً أيضاً ، ولا يصح ^(٤) .

أخرجه ابن عدى في « الكامل » وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم .
○ وكذلك حديث : « أوحى الله تعالى إلي محمد ﷺ أنى قتلت يحيى
ابن زكريا سبعين ألفاً ، وإنى قاتل بابين ابتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً » .
أنكر لفظه الذهبى رحمه الله ^(٥) . وأخرجه بهذا اللفظ أبو بكر الشافعى

(١) أخرجه الحاكم (٢ / ٢٧٣) .

(٢) في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

(٣) « التفسير » (١ / ٣٤١) .

(٤) راجع النسخة المحققة للقصص للأخ سيد العربى وفقه الله وسدده (ص ٦٠٢ دار
بغداد) .

(٥) « السير » (٤ / ٣٤٢ ، ٣٤٣) ، قال الذهبى : « هذا حديث نظيف الإسناد ، منكر
اللفظ » .

وانظر : « الحاكم » (٢ / ٢٩٠ ، ٢٩١) (٣ / ١٧٨) .

وهو في « الفوائد المنتخبة في الصحاح والغرائب » والمسمى بـ « جزء المهرانيات »
(رقم ٥٩) .

البزار في « الغلانيات » ^(١) من طريق : حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به قوله : وحبيب كثير الإرسال والتدليس ، ولم يُصرّح هنا بالتحديث ، مع غرابة المتن ونكارتة ، والله أعلم .

(١) (برقم ٣٦٥) .

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

من فضائل عيسى عليه السلام

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ

إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ ^(١) صَدِيقَةٌ ﴾

(١) وأُمُّهُ هي مريم بنت عمران عليهما السلام الصديقة العفيفة التي أحصنت فرجها ، ونفخ فيها من روحه ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ، وقد ضربها الله مثالا وبعوذا حسنا لأهل الإيمان ، وأنه قد كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا أربع ، ومنهم مريم عليها السلام كما أخبر النبي ﷺ .
وقد اصطفاه الله على عالمي زمانها ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] .

كل هذه الخصال اجتمعت في مريم بنت عمران ، أم عيسى عليهم السلام ، فهنيئاً لمن كانت هذه أمُّه وحاملته ، فصلوات الله وسلامه عليها وعلى ابنها في الأولين والآخرين .

!

•

•

•

•

•

1

•

•

;

:

1

•

•

•

•

1

•

•

•

•

•

● من فضائل عيسى عليه السلام ●

● وجهته في الدنيا والآخرة ●

● وعلو منزلته عند الله وبشارة أمه به قبل ولادته ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٥] .

● حفظ الله لعيسى ابن مريم ●

● عند ولادته من مس الشيطان ونزغاته ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران : ٣٥ - ٣٧] .

○ وأخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من بنى آدم مولود إلا يمسسه الشيطان حين ولد ، فيستهل صارخًا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها ، ثم يقول أبو هريرة : ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

(١) خ (٣٤٣١) ، و (م ٢٣٦٦) .

○ وفي رواية ^(١) : « كل بني آدم يطعن الشيطان في جبينه بإصبعه حين

بولود ، غير عيسى بن مريم ، وذهب يطعن في الحجاب » .

○ وفي أخرى : « كل إنسان تلده أمه على الفطرة ، وأبواه بعدُ يهود أنه

وينصرانه ويمسجانه فإن كانا مسلمين فمسلم ، كل إنسان تلده أمه يلكزه

الشيطان في حضنيه إلا مريم ابنها » .

○ وبإسناد حسن : أخرج أحمد ^(٢) من حديث أبي هريرة أيضًا عن

رسول الله ﷺ قال : « كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بحضينه ، إلا ما

كان من مريم وابنها ، ألم تروا إلى الصبي حين يسقط ، كيف يصرخ ؟ قالوا :

بلى ، يا رسول الله . قال : فذلك حين يلكزه الشيطان بحضينه » .

(١) البخارى (٣٢٨٦) ، وأحمد (٥٢٣ / ٢) .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - (التفسير ٤ / ٤٤) : قال علماؤنا : فأفاد هذا

الحديث أن الله تعالى استجاب دعاء أم مريم ، فإن الشيطان ينخس جميع ولد آدم حتى

الأنبياء والأولياء إلا مريم وابنها ، ... وإن لم يكن كذلك بطلت الخصوصية بهما ،

ولا يلزم من هذا أن نخس الشيطان يلزم منه إضلال المسوس وإغواؤه ، فإن ذلك ظن

فاسد ، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الفساد والإغواء ، ومع ذلك

فعصمهم الله عما يرومه الشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَئْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾

[الحجر : ٤٢] و [الإسراء : ٦٥] ، هذا مع أن كل واحد من بنى آدم قد وكل به

قرينه من الشياطين ، كما قال رسول الله ﷺ ، فمريم وابنها وإن عصما من نخسه ،

فلم يعصما من ملازمته لها ، ومقارنته ، والله أعلم . ا . هـ .

قال شيخنا مصطفى العدوى حفظه الله تعالى ^(١) : « والذي يظهر لي أن الله عز وجل

أمدهما بمزيد حفظ ، فإن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه باستثناء نبيينا محمد ﷺ

حينما دعوا إلى الشفاعة ذكروا ذنوبًا ، فلما أتوا عيسى عليه السلام لم يذكر ذنبًا ،

وقال : اذهبوا إلي محمد ﷺ ، والله تعالى أعلم » .

(٢) (٣٦٨ / ٢) .

(١) كما في « التسهيل لآل عمران » ص ١٠٩ .

● كلامه في المهد ●

○ قال تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً (٢٧) يَا أختَ هَارُونَ مَا كَانَ أبُوكَ امِراً سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيّاً (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً (٣١) وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّاراً شَقِيّاً (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾ [مريم : ٢٧ - ٣٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٦] .

○ وأخرج البخارى في « صحيحه » ^(١) (٣٤٣٦) : من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان في بنى إسرائيل رجل يقال له : جريج ، كان يصلى فجاءته أمه فدعته ، فقال : أجيئها أو أصلى ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات ، وكان جريج في صومعته ، فعرضت له امرأة وكلمته فأبى ، فأنت راعياً فأمكنته من نفسها ، فولدت غلاماً ، فقالت : من جريج ، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام ، فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : الراعى ، قالوا : بنى صومعتك من ذهب ؟ قال : لا ، إلا من طين ، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بنى إسرائيل ، فمر رجل راكباً ذو شارة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب ، فقال : اللهم لا تجعلني مثله . . . الحديث » .

(١) وأخرجه البخارى أيضاً مختصراً على قصة جريج فقط برقم (٢٤٨٢) ، ومسلم في « صحيحه » (ص ١٩٧٦ ، ١٩٧٧) ، وأحمد (٢ / ٣٠٧ ، ٣٠٨) من طريق : جرير بن حازم به .

● ولادة عيسى ابن مريم

من غير أب آية من الآيات أيده الله بها ●

○ قال تعالى : ﴿ وَاللّٰهُ أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيْهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِيْنَ ﴾ [الانبياء : ٩١] .

○ وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِيْ غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ۖ ﴾ (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٢٠ - ٢١] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (١) [المؤمنون : ٥٠] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

● عيسى عليه السلام

كان رسولاً معلماً وميموناً مباركاً ●

○ قال تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۖ ﴾ (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ ﴾ [مريم : ٢٩ - ٣١] .

(١) قال السعدى - رحمه الله تعالى - : في (تفسيره لهذه الآية) : « أي : وامتننا على عيسى ابن مريم ، وجعلناه وأمه ، من آيات الله العجيبة ، حيث حملته ، وولده ، من غير أب ، وتكلم في المهد صبيّاً ، وأجرى الله على يديه من الآيات ما أجرى » .

○ وقال تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ

بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴿ [آل عمران : ٤٨ - ٤٩] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ

وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ [المائدة : ١١٠] .

● سَجِيَّتُهُ الطَّاهِرَةُ عَلَيْهِ السَّلَام ●

○ أخرج البخارى ومسلم ^(١) : من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن

النبي ﷺ قال : « رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسوق ، فقال له : أسرقت ؟
قال : كلا ، والله الذى لا إله إلا هو . فقال عيسى : آمنت بالله ، وكذبت
عيني » ^(٢) .

(١) برقم (٣٤٤٤) ومسلم (٢٣٦٨) وأحمد (٢ / ٣١٤) .

وأخرجه أحمد (٢ / ٣٨٣) من طريق الحسن وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه
مرفوعاً ، وأخرجه النسائي في « المجتبى » (٨ / ٢٤٩) من طريق : صفوان بن عسال
عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً وفيه : « وكذبت بصرى » .

وأخرجه ابن ماجه (٢١٠٢) من طريق : يحيى بن النضر عن أبي هريرة به مرفوعاً .
(٢) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « البداية والنهاية » ^(١) : « وهذا يدل على
سجية طاهرة ، حيث قدم حلف ذلك الرجل فظن أن أحداً لا يحلف بعظمة الله كاذباً
على ما شاهده منه عياناً ، فقبل عذره ورجع على نفسه ، فقال : « آمنت بالله »
أى : صدقتك ، و « كذبت بصرى » أى : « لأجل حلفك » . ا . هـ .

وتم تأويلات أخر أوردها الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في « الفتح » (٦ /
٥٦٤ ، ٥٦٥) فليراجعها من شاء ، ونحن نورد هنا قولاً لابن القيم نقله عنه الحافظ =

● تأييد الله له بالآيات والمعجزات ●

قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة :

[٨٧] .

○ فمن معجزاته ﷺ :

إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله .

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ

إِذْ أَيْدَيْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي
وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ
جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١١٠] .

○ ومن ذلك أيضاً : إخباره قومه بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم .

كما قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي

أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

○ ومن ذلك : خلقه من الطين كهية الطير بإذن الله ، والنفخ فيه فيكون

= من كتابه : « إغاثة اللفهان » ^(١) حيث يقول : « والحق أن الله كان في قلبه أجل
من أن يحلف به أحد كاذباً ، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة البصر ، فرد التهمة
إلي بصره » .

(١) « إغاثة اللفهان » (ص ١٢٤) دار الحديث .

طيراً بإذن الله ، وقد سبقت الآية بذلك .

○ ومن ذلك : الإنجيل الذي آتاه الله عز وجل إياه ، كما قال تعالى :

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ [الحديد : ٢٧] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ

التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

ومن امتنان الله عز وجل عليه ، قوله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] .

○ وكذلك من الآيات التي أيد الله بها نبيه عيسى عليه السلام : نزول

المائدة عليه من السماء بدعوته .

كما قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ

يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا

وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا

وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ

عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٢ - ١١٥] .

○ ومن ذلك : حفظه تعالى له من أيدي أهل الضلال - حين دبروا في

قتله وصلبه - ورفعته إلى السماء .

قال تعالى : ﴿ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى

إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٤﴾ [آل عمران : ٥٤ - ٥٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ - إلى قوله - : ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [المائدة : ١١٠] .

● فلاح الطائفة التي اتبعت

عيسى عليه السلام وآزرته وآمنت به وصدقته ^(١) ●

○ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٢ ، ٥٣] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة : ١١١] .

○ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عِدْوِهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٤] .

○ وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي جَاعِلُكَ رَسُولًا مِّنْ أُمَّةٍ قَالَتِ الْأَشْيَاقُ لِلَّذِينَ سَمِعُوا مَوْلَىٰ دُونَهُمْ مُّؤْتَفِكًا أَذْهَبَ وَقَالُوا لِمَ أَتَاهُ أَوْحَاءٌ قَالُوا هِيَ آيَاتُ اللَّهِ يُخَوِّدُ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

(١) وهذا أيضاً من الامتنان عليه ، عليه الصلاة والسلام بأن جعل له اصحاباً وانصاراً ، قاله الحافظ ابن كثير في (التفسير ٢ / ١١١) .

● فضل من آمن بعيسى ﷺ ، وأنه عبد الله

ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ●

○ قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَكْفِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ...

الآيات ﴿ [النساء ١٧١ - ١٧٣] .

○ وفي « الصحيحين » ^(١) من حديث عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » ^(٢) . وقال بعضهم : (وابن أمته) وزاد بعضهم : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » .

(١) البخاري (٣٤٣٥) ، ومسلم (٢٨) ، (١ / ٢٢٦ و ٢٢٧ نوي) - واحمد (٥ / ٣١٣ و ٣١٤) .

(٢) قال النووي - رحمه الله تعالى - : « هذا حديث عظيم المواقف ، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد ، فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم ، فاختصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم ، وسمى عيسى عليه السلام كلمة لأنه كان بكلمة : « كن » فحسب ، من غير أب ، بخلاف غيره من بني آدم » . انتهى .

وقال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٤٧) : وفي قوله : « وابن أمته » تشريف له ، =

○ وفي الصحيحين ^(١) أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم اعتقها فتزوجها كان له أجران ، وإذا آمن بعميسى ثم آمن بي فله أجران ، والعبد إذا اتقى ربه ، وأطاع مواله فله أجران » .

● عقيدة الصحابة في عيسى عليه الصلاة والسلام ●

○ أخرج أحمد رحمه الله ^(٢) في « المسند » بإسناد حسن من حديث أم سلمة ابنة أبي أمية ابن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت : (فذكرت حديث الهجرة إلى الحبشة ، بطوله : وفيه أن النجاشي قال للصحابة) : « ما

= وكذا تسميته بالروح ووصفه بأنه « منه » كقوله تعالى : ﴿ وَمَخَرَّ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : ١٣] فاللغني : أنه كائن منه ، كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه ، أي أن مكوّن كل ذلك ، وموجه بقدرته وحكمته .

وقوله : « وكلمته » إشارة إلى حجة الله على عباده أبدعه من غير أب ، وأنطقه من غير أوانه ، وأحيى الموتى على يديه ، وقيل : سمي كلمة الله لأنه أوجده بقوله : « كن » فلما كان بكلامه سمي به ، كما يقال : سيف الله ، وأسد الله ، وقيل : لما قال في صغره إني عبد الله ، وأما تسميته بالروح ، فلما كان أقدره عليه من إحياء الموتى ، وقيل : لكونه ذا روح وجد من غير جزء من ذي روح .

(١) خ (٣٤٤٦) وم (١٥٤ ، ١٦٦٦) .

(٢) (٥ / ٢٩٠) وأيضاً (١ / ٢٠١) ، وأخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (مختصراً

٢٢٦٠) والبيهقي في « السنن » (٩ / ٩) ، وفي « الدلائل » (٢ / ٣٠١) ، وفي

« الاعتقاد » (ص ٤٠ ط دار الفضيلة) وغيرهم من حديث : محمد بن إسحاق قال

حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة به فذكرته مرفوعاً .

تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :
نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، وهو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها
إلى مريم العذراء البتول ، قالت : فضرب النجاشي يده على الأرض ،
وأخذ منها عوداً ، ثم قال : ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا هذا
العود ... » .

● إكرام عيسى ابن مريم

وتبرئته مما نسب إليه كذباً وافتراءً ●

○ قال تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾

[المائدة : ٧٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ

الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

○ وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ

اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أُنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾
[التوبة : ٣٠] .

○ ويسأل الله تبارك وتعالى عيسى ابن مريم عليه السلام يوم القيامة على

سبيل الإكرام له ، والتقريع لعابديه ممن كذب عليه ، وافتري وزعم أنه ابن
الله ، أو أنه الله ، أو أنه شريكه ، تعالى الله عما يقولون ، فيسأله ، وهو

يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله ، ولكن لتوبيخ من كذب عليه ^(١) فيقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٢) [المائدة : ١١٦ - ١١٨] .

○ وأخرج الترمذي في « سننه » ^(٣) من حديث أبي هريرة قال : « تلقى عيسى حجته ، ولقاه الله في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ قال أبو هريرة : عن النبي ﷺ ، فلقاه الله : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾ الآية كلها » .

(١) « ابن كثير » في « قصص الأنبياء ص ٥٨٢ » مطبعة الأنوار المحمدية .

قلت : والمعنى المذكور له نظائر كثيرة كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَالِ الصَّادِقِينَ عَنْ صَدَقَتِهِمْ ﴾ وقوله : ﴿ وَلِنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

(٢) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ومعنى قوله ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ﴾ الآية : التبري منهم ، ورد المشيئة فيهم إلى الله ، وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه ، ولهذا قال : ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ولم يقل : الغفور الرحيم . انتهى . من « التفسير » ومن « البداية والنهاية » .

(٣) (٣٠٦٢) وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » وأخرجه ابن أبي حاتم ، كما في « التفسير لابن كثير » (٢ / ١١٥) من طريق ابن أبي عمر ، شيخ الترمذي بنحوه سواء .

● وصية النبي ﷺ لمن لقي عيسى عليه السلام ●

بل ولقد تمنى رسولنا محمد ﷺ أن لو طال عمره حتى يلتقي بأخيه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع أنبيائه .

○ ففي « مسند أحمد » ^(١) بإسناد صحيح أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « إني لأرجو إن طال بي عمري أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام ، فإن عجل بي الموت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام » .

● قول النبي ﷺ :

● « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم » ●

○ في الصحيحين ^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم ، والأنبياء أولاد علات

(١) (٢ / ٢٩٨) .

قلت : ورواه أحمد في (المسند ٢ / ٢٩٨ ، ٢٩٩) من طريق : يزيد بن هارون عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً عليه ولفظه : « إني لأرجو إن طالت بي حياة أن أدرك عيسى بن مريم عليه السلام ... » .
قلت : والرفع أقوى وأصح . فقد رواه على الوصل محمد بن جعفر عن شعبة ، وهو أثبت الناس في شعبة من غيره .

قال الذهبي في « الميزان » (٣ / ٥٠٢) : « محمد بن جعفر غندر ، أحد الأثبات المتقنين ، ولا سيما في شعبة » ونقل عن ابن المبارك قوله : « إذا اختلف الناس في حديث شعبة ، فكتاب غندر حكم بينهم » .

(٢) البخاري (٣٤٤٢) ، ومسلم (١٥ / ١١٩ نووي) ، وأحمد (٢ / ٤٦٣) ، وأبو داود (٤٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ليس بيني وبينه نبي .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » ^(١) من حديث أبي هريرة عن رسول الله قال : « أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ^(٢) في الأولى والآخرة ، قالوا كيف يا رسول الله ﷺ قال : الأنبياء إخوة من علات ، وأمهااتهم شتى ، ودينهم واحد ، فليس بيننا نبي »

● إقامته في إحدى السموات ●

○ قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ تَرْفَعُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران :

٥٥] .

○ وقال تعالى : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] .

○ وفي الصحيحين ^(٣) من حديث مالك بن صعصعة أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح ،

(١) (نووي ١٥ / ١١٩) ، وأحمد (٢ / ٣١٩) . وأخرجه البخاري (٣٤٤٣) ، وأحمد (٢ / ٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) قوله : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم » أي : أخص الناس به وأقربهم إليه . قلت : فهل هناك منافاة بين هذا الحديث ، وبين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ ﴾ [آل عمران : ٦٨] ؟

الجواب : لا ، فكما أنه أولى الناس بإبراهيم كذلك هو أولى الناس بعيسى ، ذاك من جهة قوة الاقتداء به ، وهذا من جهة قوة قرب العهد به ، كذا قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٦٤) .

(٣) البخاري (٣٤٣٠) ومسلم (١٦٤) .

بيان لمعنى قوله : ﴿ إِنِّي مُرْفِعُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾

قال شيخنا أبو عبد الله مصطفى العدوي حفظه الله تعالى في « التسهيل لسورة آل =

قيل ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد .
 قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فلما خلصت ، فإذا يحيى وعيسى ،
 وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما ، فسلمتُ فرداً ،
 ثم قالوا : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح .

= عمران (آية : ٥٥) (ص : ١٦٦) قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] هل يفيد أن عيسى عليه السلام مات ثم رفع ؟ وكيف يدفع كون الوفاة وردت قبل الرفع ؟

الجواب : لا يفيد ذلك ، فإن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَمَا قُتِلُوا وَمَا صَلَبُوا وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] ، أما كون الوفاة ورد ذكرها قبل الرفع ، فيدفع ما في ذلك من إشكال قد يرد بالآتي :

١ - بعض العلماء يرى أن معنى الوفاة هنا النوم ، وقد ورد ذلك في كتاب الله عز وجل ، قال الله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَتَوَكَّلُ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر : ٤٢] وكقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ لَكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الانعام : ٦٠] فعلى ذلك فمعنى متوفيك : منيمك .

٢ - بعض أهل العلم يرى أن معنى متوفيك : قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت ، مثل توفيت مالي من فلان أي : قبضته .

٣ - وقال بعض العلماء : أماته الله ثم بعثه ثم رفعه ، وهذا القول فيه نظر لقوله : (ثم بعثه) ، إذ لا دليل عليه .

٤ - القول الرابع - وهو الأوجه الأقوى عندي - أن الواو لا تفيد الترتيب في كثير من الأحيان ، بل تفيد مطلق التشريك ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النور : ٢٧] فمن المعلوم أن التسليم يكون قبل الاستئناس .

وقال سبحانه : ﴿ وَقُولُوا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [طه : ١٢٩] .
 وأيضاً استدل على أن الواو لا تقتضي الترتيب بقول الشاعر :

ألا يا نخلة من ذات عِرْق عليك ورحمة الله السلام

أي : عليك السلام ورحمة الله .

فعليه يكون المعنى إني رافعك إلي ومتوفيك إذا جاء الأجل الذي قدرته لوفاتك . والله تعالى أعلم .

● نزول عيسى عليه السلام

آخر الزمان علامة من علامات قيام الساعة●

○ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا ﴾ ^(١) [الزخرف : ٦١] .

○ وأخرج مسلم في « صحيحه » ^(٢) من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تذاكرون ؟ » قالوا : نذكر الساعة ، قال : « إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات » : « فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم » .

○ وأخرج مسلم ^(٣) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (عند تفسير الآية الكريمة) : « الضمير في ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام ، فإن السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء : ١٥٩] أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] ، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ ﴾ ، أي : أمانة ودليل على وقوع الساعة . . . وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلاً وحكمًا مقسطًا » انتهى .

(٢) (برقم : ٢٩٠١) وأحمد (٤ / ٦ ، ٧) والتزمذي (٢١٨٣) وأبو داود (٤٣١١) وابن ماجه (٤٠٤١ ، ٤٠٥٥) .

(٣) في « صحيحه » (ص ١٣٦) وأحمد (٢ / ٤٩٣) .

« والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً ، فليكسرن الصليب ، وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتركن القلاص ، فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء ، والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبلن أحد » .

● نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان

● وحكمه في الناس وكسره الصليب وقتله الخنزير

○ قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ^(١) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

○ وأخرج البخاري ومسلم ^(٢) في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن ^(٣) »

(١) الضمير في قوله تعالى : ﴿ لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ أي : بعيسى ﷺ ، والضمير في قوله : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ يعود أيضاً على عيسى عليه السلام . وقد قال بهذا القول عدد كبير من المفسرين ، والسلف الصالح ، ومنهم على سبيل المثال : عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة ، والحسن البصري ، وابن زيد ، وهو اختيار ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما من أهل العلم .

ولمزيد في هذا الباب يراجع كتاب شيخنا مصطفى العدوي حفظه الله (الصحيح المسند من الفتن والملاحم وأشراط الساعة ص ٥١٥ و ٥١٨) .

(٢) البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥) .

(٣) قال الحافظ في « الفتح » (٦ / ٥٦٧) :

قوله « ليوشكن » أي : ليقربن أي لأبد له من ذلك سريعاً .

أن ينزل فيكم ^(١) ابن مريم حكماً ^(٢) عدلاً ، فيكسر الصليب ^(٣) ،
ويقتل الخنزير ^(٤) ، ويضع الحرب ^(٥) ، ويفض المال حتى لا يقبله

(١) قوله « أن ينزل فيكم » : أى في هذه الأمة فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله .

(٢) قوله « حكماً » : أى حاكماً ، والمعنى : أنه ينزل حاكماً بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى حاكماً من حكام هذه الأمة ، وفي رواية الليث عن ابن شهاب عند مسلم : حكماً مقسطاً ، وله من طريق ابن عينة عن ابن شهاب : إماماً مقسطاً ، والمقسط : العادل ، بخلاف القاسط فهو الجائر . انتهى من « الفتح » .
(٣) ، (٤) قوله : « فيكسر الصليب » .

قال النووي في « شرح مسلم » (٢ / ١٩٠) :

معناه : يكسره ، حقيقة ، ويطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه ، وفيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل ، وقتل الخنزير من هذا القبيل ، وفيه دليل للمختار من مذهبنا ، ومذهب الجمهور أنا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أو غيرها ، وتمكنا من قتله قتلناه ، وإبطال لقول من شذ من أصحابنا وغيرهم ، فقال : يترك إذا لم يكن فيه ضراوة .

وقال الحافظ في « الفتح ٦ / ٥٦٧ » : ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس لأن الشئ المتفع به لا يشرع إتلافه .

وقال رحمه الله في « الفتح ٥ / ١٤٤ ، ١٤٥ » : وفي إirاده هنا إشارة إلى أن من قتل خنزيراً أو كسر صليبا لا يضمن ، لأنه فعل مأموراً به ، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن عيسى عليه السلام سيفعله ، وهو إذا نزل كان مقررًا لشرع نبينا ﷺ . . . ولا يخفى أن محل جواز كسر الصليب إذا كان مع المحاربين أو الذمى إذا جاوز به الحد الذى عوهد عليه ، فإذا لم يتجاوز وكسره مسلم كان متعدياً لأنهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية .

وهذا هو السر في تعميم عيسى كسر كل صليب لأنه لا يقبل الجزية ، وليس ذلك منه نسخاً لشرع نبينا محمد ﷺ ، بل النسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره . ا . هـ .

(٥) قوله : « ويضع الحرب » في بعض الروايات : « ويضع الجزية » :

قال النووي رحمه الله (شرح مسلم ٢ / ١٩٠) : فالصواب في معناه : أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام ، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها ، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل ، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء =

أحد (١) ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها » (٢) ثم يقول

= رحمهم الله تعالى .

وحكى القاضي عياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا ثم قال : وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية ، وهو ضربها على جميع الكفرة فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها وانقياد جميع الناس له إما بالإسلام وإما بإلقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها وهذا كلام القاضي ، وليس بمقبول ، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام ، وعلى هذا قد يقال هذا خلاف حكم الشرع اليوم ، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام ، وجوابه أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل عيسى عليه السلام ، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ ، فإن عيسى يحكم بشرعنا فدل على الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت وهو شرع نبينا محمد ﷺ . ١ . هـ .

هذا ؛ وقد نقل الحافظ في « الفتح ٦ / ٥٦٧ » عن ابن بطال قوله : « وإنما قبلناها - يريد الجزية - قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج منه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد ، ويحتمل أن يقال : إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معانيته فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم ، وانكشاف أمرهم ، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً والله أعلم » . ١ . هـ .

(١) قوله : (ويفيض المال) .

قال النووي رحمه الله : ومعناه يكثر ، وتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم ، وتقيء الأرض أفلاذ كبدها كما جاء في الحديث الآخر وتقل أيضاً الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة ، فإن عيسى ﷺ من أعلام الساعة والله أعلم .

(٢) قوله (حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) :

قال النووي رحمه الله : فمعناه والله أعلم : أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها وهذا هو الظاهر من معنى الحديث . وقال القاضي عياض رحمه الله : معناه : أن أجرها خير لمصلحتها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حيثئذٍ وهو أنه وقلة الشح وقلة =

أبو هريرة (١) . واقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ١٥٩] .

= الحاجة إليه للنفقة في الجهاد ، قال : والسجدة هي السجدة بعينها أو تكون عبارة عن الصلاة والله أعلم .

(١) قال النووي رحمه الله : وأما قوله : ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ .

ففيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبي هريرة في الآية ، أن الضمير في ﴿ مَوْتِهِ ﴾ يعود على عيسى عليه السلام ، ومعناها : وما من أهل الكتاب يكون في زمن عيسى عليه السلام إلا من آمن به وعلم أنه عبد الله وابن أمته ، وهذا مذهب جماعة من المفسرين وذهب كثيرون أو الأكثرون إلى أن الضمير يعود على الكتابي ، ومعناها : وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت - قبل خروج روحه - بعيسى ﷺ وأنه عبد الله وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان ، لأنه في حضرة الموت وحالة النزاع ، وتلك الحالة لا يحكم لما يفعل أو يقال فيها فلا يصح فيها إسلام ولا كفر ولا وصية ولا بيع ولا عتق ولا غير ذلك من الأقوال ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [وهذا المذهب أظهر ، فإن الأول يخص الكتابي وظاهر القرآن عمومته لكل كتابي في زمن عيسى وقبل نزوله ، وتؤيد هذا قراءة من قرأ : « قبل موتهم » وقيل : إن الهاء في « به » تعود على نبينا محمد ﷺ والهاء في « موته » تعود على الكتابي والله أعلم . ا. هـ .

● إمامة المهدي لعيسى عليه السلام ●

وهذا من تواضعه ﷺ :

○ ففي الصحيحين ^(١) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :
« كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم » .

○ وأخرج مسلم في صحيحه ^(٢) من حديث جابر بن عبد الله قال
سمعت النبي ﷺ يقول : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق
ظاهرين إلي يوم القيامة . قال : فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم :
تعال صل بنا ، فيقول : لا ، إن بعضكم علي بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة » .

● إهلال عيسى ●

● عليه السلام بالحج والعمرة ●

○ أخرج مسلم في صحيحه ^(٣) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن
النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو
معتمراً أو ليشنهما » ^(٤) .

(١) البخارى (٣٤٤٩) ومسلم (ص ١٣٦ ، ١٣٧) وأحمد (٢ / ٢٧٢ ، ٣٣٦) .

(٢) (١٥٦) ، (١٩٩٣) وأحمد (٣ / ٣٨٤) .

(٣) (١٢٥٢) وأحمد (٢ / ٢٤٠ و ٢٧٢ و ٠٠٠) .

(٤) أى : ليقرن بينهما .

قال النووى - رحمه الله - : « وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء في
آخر الزمان ، وأما « فج الروحاء » فبفتح الفاء وتشديد الجيم ، قال الحافظ أبو بكر
الحارثي : هو بين مكة والمدينة ، قال : وكان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة
عام الفتح وعام حجة الوداع » .

● عيسى عليه السلام يقتل الدجال ●

○ أخرج مسلم في صحيحه ^(١) من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق ^(٢) أو بدابق ^(٣) ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا ، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون ، لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم ، أفضل الشهداء عند الله ، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية ^(٤) ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج فيمنما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانداب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » .

○ وأخرج ابن حبان في « صحيحه » ^(٥) من حديث عائشة قالت : دخل

(١) (٢٨٩٧) .

(٢) موضعان بالشام بقرب حلب .

(٣) هي مدينة مشهور من أعظم مدائن الروم .

(٤) (حديث ١٦٠٥) .

قلت : وقد أورده شيخنا في « الفتن والملاحم » (ص ٥٠٧) وحكم عليه بالصحة هناك ، ثم قال : « وكل ما يشوبه عننة يحيى بن أبي كثير ، ولكن مظنة تدليسه هنا بعيدة لدى ، وأيضاً فلاغلب الحديث شواهد » انتهى .

قلت : ومن شواهد التي تشهد لنا في هذا الباب ما رواه الترمذى (٢٢٤٤) وأحمد (٤٢٠ / ٣) والحميدى (٨٢٨) والخطيب في « المتفق والمفترق » (١٩٧٢ / ٣) وابن =

على رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقال : « ما يبكيك ؟ فقلت : يا رسول الله ذكرت الدجال . قال : فلا تبكين ، فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه ، وإن مت فإن ربكم ليس بأعور ، وإنه يخرج معه اليهود ، فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان فيخرج الله شرار أهلها ، فينطلق يأتي لداً ، فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ، ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة إماماً عادلاً ، وحكماً مقسطاً » .

○ وأخرج مسلم في صحيحه ^(١) من حديث النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فحُفِضَ فيه ورقع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا ، فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله : ذكرت الدجال غداة ، فخفضت ورفعت ، حتى ظنناه في طائفة النخل فقال : « غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم ؛ إنه شاب قطط عينه طائفة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خلّة بين الشام والعراق فعات بمينا وعات شمالاً يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يا رسول الله ، وما لبثه في الأرض ؟ ، قال : « أربعون يوماً يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي

= الأعرابي في « معجمه » (٢٢٦٤) وغيرهم من حديث مُجَمَّع بن جارية الأنصاري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يقتل ابن مريم الدجال بباب لداً » .

وفي سنده جهالة ، ويشهد له حديث النواس بن سمعان (الطويل عند مسلم) وفيه : « حتى يدركه بباب لداً فيقتله » .

(١) (٢١٣٧) والترمذي (٢٢٤٠) .

كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا اقدروا له قدره » قلنا : يا رسول الله ﷺ ، وما إسراعه في الأرض ؟ قال : « كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم ، فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيون له ، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث ، فتروح عليهم سارحتهم ، أطول ما كانت ذرأ ، وأسبغهُ ضروعاً وأمدهُ خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك فتبعهُ كنوزها كيما يسب النحل ثم يدعو رجلاً ممتثلًا شاباً فيضربه فيقطعه جزلتي رمية الغرض ثم يدعو فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ، فينما هو كذلك إذا بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قَطَر وإذا رفعه مُحَدَّر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفهُ فيطلبه حتى يدركه بباب لُد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يُدان لأحد بقتالهم فَحَرَّزُ عبادي إلى الطور ، ويبعث الله بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماءً ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتي يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمُهُم وتنتهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث

شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدرّ ولا وبرّ ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزّلفة ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردّى بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستفلون بقحفها ويبارك في الرّسل حتى إن اللّحقة من الإبل لتكفى الفئام من الناس ، واللّحقة من البقر لتكفى القبيلة من الناس ، واللّحقة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ، فينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كلّ مؤمن ، وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة .

● صفة عيسى عليه السلام ●

○ أخرج البخارى ومسلم ^(١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النّبي ﷺ قال : « رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً ، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ، ورأيت مالكا خازن النار ، والدجال ، في آياتٍ أراهن الله ، فلا تكن في مربة من لقائه . »

○ وفي رواية عند البخارى ^(٢) : « فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر . »

○ وفي الصحيحين ^(٣) من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أرانى الليلة عند الكعبة ، فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال ، له لمةٌ كأحسن ما أنت راء من اللمم ، قد

(١) (برقم ٣٢٣٩) ومسلم (١٦٥) (ص ١٥١) وأحمد (١ / ٢٤٥ و ٢٥٩ و ٢٥٠) .

(٢) (٣٤٣٨) .

(٣) البخارى (٥٩٠٢) ومسلم (١٦٩) .

رجلها ^(١) فهي تقطر ماء ، متكئا على رجلين ^(٢) - أو على عواتق رجلين - يطوف بالبيت ، فسألت من هذا ؟ فقيل : المسيح ابن مريم ، وإذا أنا برجل جعد قشط أعور اليمنى كأنها عنبه طافية ، فسألت من هذا ؟ فقيل : المسيح الدجال .

○ وأخرج مسلم في صحيحه ^(٣) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي ، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكُتبت كربة مثله قط ، قال : فرفعه الله لى أنظر إليه . ما يسألونى عن شئ إلا أنبأهم به ، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء . فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة . وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس شبيهاً عروة بن مسعود الثقفى . وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم (يعنى نفسه) فحانت الصلاة فأتمتهم . فلما فرغت من الصلاة ، قال قائل : يا محمد ! هذا مالك صاحب النار ، فسلم عليه ، فالتفت إليه ، فبدأنى بالسلام .

○ وفي الصحيحين ^(٤) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليلة أسرى بي رأيت موسى ، وإذا هو رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر ، كأنما خرج من ديماس ^(٥) ، وأنا أشبه ولد إبراهيم ﷺ به ، ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر ، فقال : اشرب أيها شئت ، فأخذت اللبن فشربته ، فقيل :

(١) أى : قد سرح شعره ، ودعنه .

(٢) وفي رواية : « واضعاً يديه على منكبى رجلين يطوف بالبيت » انظر البخارى (٣٤٣٩) .

(٣) (١٧٢) / أحمد (٢ / ٥٢٨) .

(٤) البخارى (٣٣٩٤) / مسلم (١٦٨) / أحمد (٢ / ٢٨١ و ٥١٢) / الترمذى (٣١٣٠) / النسائى (٨ / ٣١٢) .

(٥) فسر الديماس في رواية للبخارى (٣٤٣٧) بأنه الحمام .

أخذت الفطرة ، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك » .

○ وأخرج أحمد ^(١) من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه ، فاعرفوه رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ^(٢) كأن رأسه يقطر ، وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات ، لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون » .

قلت : مربوع : أي : معتدل القامة .

(١) (٢ / ٤٠٦) (٢ / ٤٣٧) وأبو داود (٢٣٢٤) . وفي سنده انقطاع ، لكنه صحيح

بالشواهد . وقد صححه الحافظ في « الفتح » وابن كثير في « البداية » .

(٢) قال الخطابي : قال الشيخ : المصمر من الثياب الملون بالصفرة ، وليست صفرة

بالمشبعة ، وفي اللسان - نقلاً عن أبي عبيد قال - : الثياب الممصرة التي فيها شيء من

صفرة ليست بالكثيرة ، وقال شمر : المصمر من الثياب ما كان مصبوغاً ففسل ، وقال

أبو سعيد : التمصير في الصبغ أن يخرج المصبوغ مبقعاً لم يستحكم صبغه ، والتمصير

في الثياب أن تمشق تخرقاً من غير بلى ، وفي حديث عيسى عليه السلام : « ينزل بين

مصريتين » . الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة ، ومنه الحديث : أتى على

طلحة رضي الله عنهما ، وعليه ثوبان ممصران .

أنبياء لهم تذكروا أسماءهم

1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

19

20

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36

37

38

39

40

● أنبياء لم تذكر أسماءهم ●

○ قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا قَدْ قُصَصْنَا عَنْكَ مِنْ قَبْلُ وَرَسُولًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَنْكَ ﴾ [النساء : ١٦٤] .

(١)

○ قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

(٢)

● نبي قرصته نملة ●

○ أخرج البخاري رحمه الله ^(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قرصت نملة نبياً من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله » ورواه مسلم .

(١) (حديث : ٣٠١٩) ومسلم (٢٢٤١) (ص ١٧٥٩) ، وأحمد (٢ / ٤٠٢ ، ٤٠٠) وأبو داود (٥٢٦٥ ، ٥٢٦٦) والنسائي (٧ / ٢١٠ ، ٢١١) وابن ماجه (٣٢٢٥) ونظام في « فوائده » (١١١٤) (٢ / ٥١) .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » (٦ / ٤١٢ ، ٤١٣) : « واستدل بهذا الحديث على جواز إحراق الحيوان المؤذى بالنار من جهة أن شرع ما قبلنا شرع لنا إذا لم يأت =

(٣)

• نبي يغزو قرية فيفتحها

الله عليه وتجنس له الشمس ببركة دعائه •

○ أخرج الإمام البخاري رحمه الله ^(١) من حديث أبي هريرة رضى الله

= في شرعنا ما يرفعه ، ولا سيما إن ورد على لسان شرعنا ما يشعر باستحسان ذلك ، لكن ورد في شرعنا النهي عن التعذيب بالنار .

قال النووي : هذا الحديث محمول على أنه كان جائزاً في شرع ذلك النبي جواز قتل النمل ، وجواز التعذيب بالنار ، فإنه لم يقع عليه العتب في أصل القتل ، ولا في الإحراق ، بل في الزيادة على النملة الواحدة ، وأما في شرعنا فلا يجوز إحراق بالنار إلا في القصاص بشرطه ، وكذا لا يجوز عندنا قتل النمل ، لحديث ابن عباس في « السنن » : « أن النبي نهى عن قتل النملة والنحلة » انتهى .

وقد قيده غيره كالخطابي النهي عن قتله من النمل بالسليمانى ، وقد قال البغوى : النمل الصغير الذى يقال له الذر ، يجوز قتله ، ونقله صاحب « الاستقصاء » عن الصيمرى وبه جزم الخطابى .

وفي قوله : « إن القتل والإحراق كان جائزاً في شرع ذلك النبي » نظر ، لأنه لو كان كذلك لم يعاتب أصلاً ورأساً إذا ثبت أن الأذى طبعه . وقال عياض : في هذا الحديث دلالة على جواز قتل كل مؤذ .

ثم قال الحافظ رحمه الله : (تكملة) : النملة واحدة النمل ، وجمع الجمع نمل ، والنمل أعظم الحيوانات حيلة في طلب الرزق ، ومن عجيب أمره أنه إذا وجد شيئاً ولو قل أنذر الباقيين ، ويحتكر في زمن الصيف للشتاء ، وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ، وإذا حفر مكانه اتخذها تعارج لئلا يجرى عليه ماء المطر ، وليس في الحيوان ما يحمل أثقل منه غيره ، والذر في النمل كالزنبور في النحل .

قوله : « أمة من الأمم تسبح » استدل به على أن الحيوان يسبح الله تعالى حقيقة ، ويتأيد به قول من حمل قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ . على الحقيقة وتعقب بأن ذلك لا يمنع الحمل على المجاز بأن يكون سبباً للتسبيح . ١ . هـ .

(١) (برقم : ٣١٢٤) ، (٥١٥٧) ومسلم (١٧٤٧) وهذا النبي فُسر في حديث آخر

بأنه يوشع بن نون ، فقد أخرج الإمام أحمد في « مسنده » (٢ / ٣٢٥) من =

عنه قال : قال النبي ﷺ : « غزا نبي من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعني رجلٌ ملك بضع امرأة ، وهو يريد أن يبنى بها ، ولما يئنها ، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقفوها ، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات ، وهو ينتظر ولادها ، فغزا ، فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى فتح الله عليه ، فجمع الغنائم ، فجاءت - يعني النار - لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلواً ، فليبايعني من كل قبيلة رجلٌ ، فلزقت يد رجل بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فليبايعني قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها . ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا » .

(٤)

● نبي ضربه قومه فأدموه

● فقال : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »

○ أخرج البخاري ومسلم ^(١) من حديث عبد الله بن مسعود أنه قال :

= حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس » .

وأخرجه ابن عبد الواحد المقدسي في « أحاديث الأنبياء » (رقم ٣٨ بتحقيق) وهذا لفظه . وهو حديث حسن . وراجع « المنتخب من العلل للخلال » (رقم : ١٠١) .

(١) تقدم في باب فضائل نوح عليه السلام . ولم أقف على اسم هذا النبي صريحاً ، لكنه من المحتمل أن يكون هو نوح ﷺ ، ومقولته هذه في ابتداء الأمر ، ثم لما يش من =

« كَأَنِّي أَنظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرْبَهُ قَوْمَهُ فَأَدْمُوهُ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

(٥)

• نَبِيٌّ يُخَفِّفُ

العقوبة على قومه بعد ما دعا عليهم •

○ أخرج الترمذی ^(١) وأحمد (واللفظ له) عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا لَا أَفْهَمُهُ ، وَلَا يُخْبِرُنَا بِهِ ، قَالَ : أَفْطَنْتُمْ لِي ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : إِنِّي ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَعْطَى جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ ، فَقَالَ : مَنْ يَكْفِي هَؤُلَاءِ ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لَهُؤُلَاءِ ، أَوْ غَيْرَهَا مِنَ الْكَلَامِ ، (وفي بعض الروايات : شك سليمان - أحد الرواة) ،

= قومه قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] .

وقد قال النووي - رحمه الله تعالى - : « هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي جَرَى لَهُ مَا حَكَاهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا نَحْوُ ذَلِكَ يَوْمَ أَحَدٍ » . وانظر : « الفتح » (٦ / ١٠٦) ، (٦٠٢) .

(١) (٣٣٤٠) ، وأحمد (٦ / ١٦) و (٤ / ٣٣٣) والدارمي (٢٤٤١) (مختصراً) على الدعاء الأخير) ، والنسائي في « الكبرى » (٦ / عمل اليوم والليلة ص ١٥٧) ، (١٠٤٥٠) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (١٠ / ٣١٩) ، والإسماعيلي في « معجمه » (١ / ٤٣٨ مختصراً) (رقم ٩٦ ترجمة) وابن حبان في « صحيحه » (١٩٧٥) والبيهقي في « السنن الكبرى » (٩ / ١٥٣) من حديث ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب مرفوعاً .

قلت : وهذا إسناد صحيح .

فأوحى إليه أن اختر لقومك إحدى ثلاث ، إما أن تسلط عليهم عدوك من غيرهم ، أو الجوع ، أو الموت ، فاستشار قومه في ذلك ، فقالوا : أنت نبي الله فكل ذلك إليك ، وخر لنا ، فقام إلى الصلاة ، (وكانوا إذا فزعوا فزعوا إلى الصلاة) ، فصلى ما شاء الله ، قال : ثم قال : أي رب أما عدو من غيرهم فلا ، أو الجوع فلا ، ولكن الموت ، فسلط عليهم الموت ، فمات منهم سبعون ألفاً ، فهَمَسَ الذي ترون أني أقول : اللهم بك أقاتل ، وبك أصاول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

○ ومن ذلك ما حسَّنه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ^(١) من حديث : على بن أبي طالب رضى الله عنه : « أن نبياً من الأنبياء عصاه قومه ، فقبل له : نقتلهم بالجوع ؟ قال : لا ، قال : نسلط عليهم عدوك من غيرهم ؟ قال : لا ، ولكن موت رقيق ، قال على : فسلط الله عليهم الطاعون ، فجعل يقل العدد ، ويخر في القلوب » ، لفظ سفيان ولفظ إسرائيل نحوه ، وزاد : « وهو بقية عذاب عذب به من كان قبلكم » .

(١) وقد أخرجه الحافظ في « بذل الماعون في فضل الطاعون » (ص ٨١ ، ٨٢) وعزاه لمطين في « مسنده » قال الحافظ : « هذا إسناده حسن ، أخرجه مطين في « مسنده » هكذا ، وكأنه جعل له حكم الرفع ، إذ لا مجال للرأى فيه » . ا . هـ . قلت : وبمراجعتي للراوى عن على تبين لى خلاف حكم الحافظ ، فإن عمارة السلولى ، وهو - عمارة بن عبد - الراوى عن على ، جهَّله الذهبى في « الميزان » وقال : لا يحتج به ، قاله أبو حاتم ، ونقل عن ابن عدى قوله فيه : « مستقيم الحديث ، لا يروى عنه غير أبي إسحاق » .

وقال الحافظ في « التقريب » : « مقبول » . ومعناه : إذا توبع ، وإلا فليكن . وفيه علل أخرى : عننه الأعمش - وهو مدلس - وأبي إسحاق وهو مختلط .

قلت : وهذا المتن قريب من الذى مضى ، فلعله هو هذا النبي والله أعلم . والحديث أخرجه المحاملى الحسين بن إسماعيل في « الأمالى » من طريق أبي إسحاق عن عمارة بن عبد عن علي نحوه (١) .

(٦)

● ملكان من

الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء ●

○ أخرج الإمام أحمد رحمه الله في « المسند » (٢) من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « ألا إنه لم يكن نبي قبلى إلا حذر الدجال أمته ، هو أعور عينه اليسرى ، بعينه اليمنى ظفرة غليظة ، مكتوب بين عينيه كافر ، يخرج معه واديان ، أحدهما جنة ، والآخر نار ، فناره جنة ، وجنته نار ، معه ملكان من الملائكة ، يشبهان نبيين من الأنبياء ، لو شئت سميتهما بأسمائهما ، وأسماء آبائهما ، واحد منهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وذلك فتنه . . . الحديث » .

(١) (رقم : ٢٠٧) رواية ابن يحيى البيع .

(٢) (٥ / ٢٢١) وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧ / ٣١٧) . وقد حسن إسناده شيخنا أبو عبد الله مصطفى بن العدوى حفظه الله تعالى في « الفتن » (ص ٤٨٩) وقال : « وفي إسناده سعيد بن جمهان ، وثقه بعض أهل العلم ، وقال البخارى : في حديثه عجائب ، ولعل هذا هو الذى حدا بالحافظ ابن كثير رحمه الله إلى أن يقول : إسناده لا بأس به ، ولكن في متنه نكارة وغبابة ، والله أعلم » . انتهى المراد .

(٧)

● نبي من الأنبياء كان يخط ●

○ وأخرج مسلم في صحيحه ^(١) من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال (فذكر حديث الجارية الطويل ، وفيه ، أن رسول الله ﷺ قال) : « كان نبي من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك » .

○ وأخرج أحمد في « المسند » ^(٢) من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق علمه فهو عمله » .



●● هذا ، وقد ورد في الباب أحاديث أخر لكن لا يصح منها شيء البتة ، فمنها ما روى أن رجلاً سبَّ برغوثاً فقال النبي ﷺ : « لا تسبه فإنه أيقظ نبياً من الأنبياء للصلاة » .

أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » ^(٣) وهو منكر أنكره أهل العلم .

(١) (برقم : ٥٣٧ ، ٧٤٩) .

(٢) (٢ / ٣٩٤) بإسناد صحيح . قال الحاكم كما في « سؤالات السجزي » (رقم :

٨٦) : « هذا النبي هو إدريس عليه السلام » .

(٣) (برقم : ١٢٣٧) ، وراجع « جنة المراتب بتخريج أحاديث المغنى عن الحفظ والكتاب

للموصلى » لأبي إسحاق الحويني حفظه الله تعالى (ص ٤٩٩) .

هل هؤلاء أنبياء؟

● هل هؤلاء أنبياء ؟! ●

○ أولاً لِيُعْلَمَ أنه ليس في النساء نبيات ، فكما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٣] . ثم الكلام عن :

١ - الخضر .

٢ - إخوة يوسف الإحدى عشر .

٣ - لقمان .

٤ - عزيز .

٥ - تَبَّع .

٦ - ذي القرنين .

٧ - الثلاثة رسل المذكورين في سورة يس .

○ أما الخضر ، فهو عما لا أستطيع الجزم بنبوته ، بل أتوقف فيه ، وأكل فيه الأمر إلى الله سبحانه وتعالى ^(١) .

○ أما إخوة يوسف ، فقد صَوَّبَ الحافظ ابن كثير رحمه الله أن إخوة يوسف ليسوا بأنبياء ، وليسوا هم المراد بالأسباط الذين أمرنا الله بالإيمان بهم .

وقال : لأن المراد بالأسباط شعوب بنى إسرائيل ، وما كان يوجب فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء والله أعلم .

(١) وقد قال بنبوته طائفة من أهل العلم رحمهم الله تعالى .

واستدلوا على ذلك بقوله : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف : ٦٥] ، ويقولون : ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾ [الكهف : ٨٢] .

○ أما لقمان ، فهو رجل صالح ، صَحَّ ذلك عن قتادة وغير واحد من السلف أنه كان صالحاً ولم يكن نبياً ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [لقمان : ١٢] ، وراجع « الفتح » (٦ / ٥٣٧) .

○ أما عزيز ، فورد ذكره في قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّى ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] ، ولم يرد فيه شيء سوى ذلك ، وقد ورد حديث لا يثبت عن رسول الله ﷺ لفظه : (لا أدري أكان نبياً أم لا) وهو لا يصح ، وراجع « تخريج أحاديث الكشاف » (٣ / ٢٧٠) .

○ أما تبع ، فلا نستطيع الجزم بكونه نبياً أو لا ، لعدم ورود شيء في ذلك صحيح عن رسول الله ﷺ ، وروى مرفوعاً : « ما أدري أكان تبع نبياً أو غير نبي »^(١) . وقد ورد ذكر قومه في قوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدٌ ﴾ [ق : ١٤] .

قال السعدي رحمه الله تعالى : « وتبع كل ملكٍ ملكٍ اليمَن في الزمان السابق قبل الإسلام ، فقوم تبع كذبوا الرسول الذي أرسله الله إليهم ، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول ، وأىُّ تبع من التبابعة . . . » انتهى المراد .

○ وذو القرنين ، فكذلك لم يأت في خبر صحيح القول بنبوته ، وقد استدل قوم على نبوته بقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا ﴾ [الكهف : ٨٤] ، ويقولون : ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ ﴾ [الكهف : ٨٦] ، وهذا غير ناهض لدعواهم ، والله أعلم .

(١) وراجع « تخريج أحاديث الكشاف » للزيلعي (رقم : ١١٧٩) .

قال الشيخ أحمد فريد حفظه الله تعالى ^(١) : « والقول فيه : أنه كان عبداً صالحاً ملكه الله الأرض ، وأعطاه العلم والحكمة ، وألبسه الهيبة ، وإن كنا لا ندرى من هو . »

وهذا الذي دلّ عليه ظاهر القرآن ، أما غير ذلك فيحتاج إلى دليل صحيح يجب المصير إليه ، ولا دليل ، والله أعلى أعلم . انتهى المراد .

○ أما عن الثلاثة المذكورين في سورة يس ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ ثم قالوا : ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [يس : ١٣ - ١٥ ، ١٧] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في « التفسير » ^(٢) : « تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، كما نص عليه قتادة وغيره ، وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره ، وفي ذلك نظر من وجوه :

(أحدهما) : أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ - إلى أن - ﴿ قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [يس : ١٤ - ١٧] ، ولو كان هؤلاء

(١) في « تيسير المنان » (٣ / ١٤٣) ومابعدهما بتصريف .

(٢) (٣ / ٥٣٢) المكتبة القيمة .

من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم ، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم ﴿ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ [يس : ١٥] .

(الثانى) : أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم ، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ، ولهذا كانت النصراني إحدى المدائن الأربعة اللاتى فيهن بتاركة وهن القدس لأنها بلد المسيح . وأنطاكية ، لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها ، والإسكندرية لأن فيها اصططحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأسقافة والقساوسة والشمامسة والرهباين . ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين ... ثم قال : فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله ، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخدمتهم ، والله أعلم .

(الثالث) : أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ، ذكروه عند قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى ﴾ [القصص : ٤٣] .

فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً ، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ، ولا قبل ذلك ، والله سبحانه

وتعالى أعلم . ١ . هـ .

○ هذا ؛ وهناك أسماء لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ الصحيحة ، ومع ذلك أثبت نبوتهم قوم ^(١) ، وذلك غير موفق وغير سديد منهم ، إذ الأصل في إثبات شئ من ذلك هو كتاب الله ، والصحيح الثابت من سنة رسول الله ﷺ ، ولكن كان الشأن منهم أنهم عمدوا إلى النقل في ذلك عن أهل الكتاب ، وإلى أحاديث مفتراه مكذوبة ، لا تثبت عن خير الأنام . وهذا ما أورده :

○ فمن هؤلاء :

١ - شِيث .

٢ - حزقييل .

٣ - شمويل .

٤ - دانيال .

٥ - أرميا .

وسواهم .

فالشاهد أننا لا نستطيع أبداً أن نتجشم ونثبت لهؤلاء نبوة أو رسالة من الله سبحانه ، دون حجة أو بينة (مضمنة في كتاب وسنة صحيحة) .

هذا ؛ وإننى إذ أقرر ذلك لا أمتنع أن يكون فيهم نبي ورسول ، لكن أنى

(١) وقد كان الأحرى لهؤلاء أن يتجنبوا ذلك ، ويلتزموا ما ورد ذكره في التنزيل ، ويتناولوه بالشرح والبيان ، وما جاء ذكره في حديث صحيح عن خير الأنام محمد ﷺ ، فذلك خير لهم وأقوم .

لي بذلك ١٩ أنعمد على إسرائيليات قد نقلت إلينا عن أهل الكتاب ١١٩
حاشا وكلا ١١ ولا يقوله مسلم سليم العقيدة ، أم الأصل في ذلك قرآن
ربنا ، وسنة نبينا الأمين ، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم ، لا شك أن أى
مسلم يسلم بهذا الأخير ، والله وحده المسؤول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد الأمين ، وعلى آله وأصحابه
الغر الميامين ، ومن اهتدى بهديهم ، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين ، وسلم
تسليماً كثيراً .

كتبه

أبو عبد الله

محمد بن العفيفي بن عبد المقصود بن العفيفي

جمهورية مصر العربية - الدقهلية

منية سمند - مسجد أهل السنة والجماعة

انتهت من مراجعته عام ١٤٢٢ من هجرة المصطفى ﷺ

الخاتمة

•
•

!

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

•

● الخاتمة ●

في نهاية هذا البحث - الذي أسأل الله أن ينفع به ، وأن يجعله ذخراً لي يوم اللقاء - أختتم ببيان : « كيفية الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام » .
ويحسن بي في هذا المقام وتلك الخاتمة أن أورد ما سطره الشيخ صفوت الشوادفي - عليه رحمة الله - حيث قال كلاماً مفيداً نافعاً في هذا الباب - أنار الله قبره ، وأسكنه فسيح جناته - وهذا نصه ^(١) :

● الاقتداء بالأنبياء ●

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين !! والصلاة والسلام على رسوله الأمين ورسله أجمعين ... وبعد :

فإن الحق سبحانه وتعالى - قد بعث في كل أمة رسولاً يأمرهم بعبادة الله ويبين لهم الطريق الموصل إليه ، وينهاهم عن الشرك ، ويحذرهم من الطرق المؤدية إليه ، ويقول لهم : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

وقد اصطفى الله الرسل من بين خلقه : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] .

وصنع أنبياءه على عينه : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] وأوحى إليهم ، وعصمهم حتى بلغوا رسالات الله ، وبينوا للناس ما نزل إليهم ، فما من خير ينفع الناس في دينهم ودنياهم إلا بينوه ودلّوا عليه ، وما من شر يضر

(١) كما في « مصابيح أضواء لنا الطريق » (ص ١٦٠ وما بعدها) مقال بعنوان : « الاقتداء بالأنبياء » ط / دار الالاباني .

الناس في دينهم ودنياهم إلا حذرُوا منه ونهوا عنه .

وقد جعل الله الأنبياء والمرسلين قدوة لعباده المؤمنين وأمرنا بذلك فقال :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴾ [الأنعام : ٩٠] .

أي اقتدوا بهدي هؤلاء الرسل الذين هداهم الله وأقامهم على الحق قولاً وعملاً وذلك أن الإنسان - أي إنسان - لا يمكنه أن يعيش بغير قدوة ! وكل إنسان يقتدي - طوعاً أو كرهاً - بغيره إما في الخير وإما في الشر ! أو ساعة وساعة !! والقدوة الكاملة لا تكون إلا في الأنبياء والمرسلين .

كيف نقتدي بالأنبياء والمرسلين؟؟

قد يقول قائل ويسأل سائل : كيف نقتدي بالأنبياء ما دام أن الله قد

أوجب ذلك علينا ؟ وما هو الطريق الذي ندرك به القدوة الكاملة ؟؟

والجواب : إننا لا يمكننا أن نقتدي بالرسل إلا إذا وقفنا على سيرتهم وستهم ، وذلك لأن الاقتداء بهم يدور على أمور ثلاثة : الاعتقاد والأقوال والأفعال .

وعندما ننظر إلى عقيدة الرسل سنجد أنهم جميعاً على عقيدة «التوحيد» فهم جميعاً يقولون لأقوامهم : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ وهم جميعاً قد أوحى الله إليهم بقوله : ﴿ لَيْنَ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٥] .

ولذلك فإن الذين يخالفون عقيدة التوحيد التي جاءت بها الرسل يخرجهم ذلك من الإيمان إلى الكفر ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

بل ويشهدون عليهم رسولهم يوم القيامة لأنهم لم يقتدوا به في الإيمان، وخرجوا منه إلى الشرك ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

○ وأما الاقتداء بالأنبياء في العبادة :

فإننا إذا تدبرنا ذلك الأمر في كتاب الله فإننا نجد أن أصول العبادات واحدة ، وإنما وقع التفاوت بينهما في الهيئة والكيفية فقط !!

قال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] .

وقال عن إسماعيل عليه السلام : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ ﴾ [مريم : ٥٥] .

وقال عن إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٣] .

وقال سبحانه - عن الصوم - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

وقال لنبية إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ [الحج : ٢٧] .

وقد ثبت أن جملة من الأنبياء قد حجوا بيت الله الحرام ، كل في زمانه الذي بعث فيه .

ونحن نتحدث عن القدوة الحسنة يتنقل بنا الحديث إلى مواضع القدوة فإن الله قد جعل أنبياءه ورسله قدوة لنا في كل شئ وشأن ، فإنهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قدوة للحكام والمحكومين ، وقدوة للعلماء والدعاة ، والعامة والخاصة ، والأغنياء والفقراء ، والصحيح المعافي والمريض

الذي نزل به الداء .

وهم كذلك قدوة لمن رزقه الله الذرية ، وقدوة لمن حرمه منها !! فهم قدوة للجميع وأئمة للجميع : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدْ ﴾ [الانعام : ٩٠] .

ولأننا في هذه العجالة لا نستطيع أن ننبه على مواضع القدوة تفصيلاً ، فإننا نشير إلى أمثلة منها على أن يقوم القراء الكرام بمتابعة مواضع القدوة في كتاب الله تفصيلاً ليدركوا من وراء ذلك هاتين الفائدةين .

الأولى : العبرة : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١] .

الثانية : تثبيت الفؤاد : ﴿ وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود : ١٢٠] .

وإني لأرجو من كل قارئ أن يتدبر معي هذه الأمثلة الرائعة تدبراً عميقاً!!

المثال الأول : تدبر قوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

مع قوله تعالى : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] !! والدعاة إلى الله هم أشد الناس حاجة إلى هذا الدرس ، فلا نياس من دعوة غيرنا ، وإن وجدنا إعراضاً وصدوداً أو إنكاراً وجحوداً !!

المثال الثاني : قارن بين ما كان من شأن نوح مع ابنه ، وما كان من شأن إبراهيم مع أبيه !! فتوح هو قدوة الآباء الصالحين مع الأبناء العاقين ! وإبراهيم هو قدوة الأبناء البررة مع الآباء الكفرة أو الفجرة !! فتدبر هذا حق التدبر ، وتفكر فيه حق التفكير !

المثال الثالث : قارن بين دعوة موسى عليه السلام وهو محتاج إلى الطعام

في سفره : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص : ٢٤] .

ودعوة سليمان عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ

مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [ص : ٣٥] .

فظاهر السياق أن موسى يطلب الكفاف ! وسليمان يطلب الدنيا بأسرها !

فبمن يقتدي !!؟

والجواب : أن الناس يتقلبون بين الغنى والفقر ، والمؤمن في حال فقره

يقتدي بموسى عليه السلام ويلجأ إلى الله كما فعل ، وفي حال غناه فإنه

يقتدي بسليمان في قوله بعد أن أعطاه الله الدين : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [النمل : ١٩] .

وهذه حكمة الله بالغة ، فلو كان الأنبياء كلهم فقراء لما وجد المؤمن الغني

أحدًا من الأنبياء يقتدي به !

المثال الرابع : عندما ما يشتد بالمؤمن المرض ، ويطول البلاء ؛ فإنه لا

يذهب إلى كاهن أو عراف أو ساحر ونحوه ، وإنما يذهب إلى ربه ويجد في

نبي الله أيوب قدوة وأسوة : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] .

فإذا ذهب المؤمن إلى طبيب فإن قلبه لا يلتفت إليه ، وإنما يراه سببًا

ظاهرًا قد يجري الله الشفاء على يديه ، وقد لا يفعل !!!

المثال الخامس : قد يحرم المؤمن من الذرية لحكمة يعلمها الله ، وذلك

لأنه سبحانه : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّاتَا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى : ٤٩] .

فإذا أراد أن يطلب الذرية فإنه يجد في نبي الله زكريا عليه السلام أسوة

وقدوة في قوله : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] .

وتدبر كيف أنه اشترط أن تكون الذرية طيبة ! فإن الذرية الفاسدة لا خير فيها ومثالها ولد نوح ، والغلام الذي قتله الخضر .

والحرمان من الذرية خيرٌ من ذرية فاسدة !! فتدبر وتفكر !

المثال السادس : قد ينزع الشيطان بين المسلم وإخوته ، أو بينه وبين إخوانه ! فيقتدي بيوسف في قوله : ﴿ لَا تَقْرِبْ عَلَيَّ الْيَوْمَ ﴾ [يوسف : ٩٢] .

وقد يسجن المسلم ظلماً ومع هذا فهو يصبر ويرضى ويؤثر السجن على الوقوع فيما حرم الله ، ويقول كما قال يوسف عليه السلام : ﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

وبعد : فإن كل موضع في كتاب الله تحدث عن نبي من أنبياء الله يكون لنا فيه أسوة وقدوة .

وعالم اليوم بموج بالفتن ، وقد ابتلي المؤمنون فيه ، وزلزلوا زلزالاً شديداً ، ولا ملجأ من الله إلا إليه ، ولا مفر منه إلا إليه .

وليس أمامنا إلا أن نعود إلى الله عَوْدًا حميداً . وأول الهداية : كلمة التقوى التي نحن أحق بها وأهلها وأن نفتفي أثر الأنبياء والمرسلين .

فقدوتنا ليست في شرق أو غرب !

وإنما في وحي أنزله ، ورسول أرسله !

وصلى الله وسلم وبارك على رسله أجمعين وعلى رسولنا وصحبه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

انتهى كلامه بتمامه - رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

هذا ، ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجمعنا مع هؤلاء

الصفوة الكرام في جناتٍ ونهر ، في مقعد صدقٍ عن مليكٍ مقتدر ،

وسبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو عبد الله

محمد بن العفيفي

مصر / دقهلية / منية سمند

● الفهرس ●

الموضوع	الصفحة
تقريظ فضيلة الشيخ / مصطفى بن العدوي	٥
مقدمة المؤلف	٩
فضائل عامة لجميع النبيين والمرسلين	١٥
من فضائل آدم <small>عليه السلام</small>	٢٣
من فضائل نوح <small>عليه السلام</small>	٥٦
من فضائل إدريس <small>عليه السلام</small>	٧١
من فضائل هود <small>عليه السلام</small>	٧٧
من فضائل صالح <small>عليه السلام</small>	٩٣
من فضائل إبراهيم <small>عليه السلام</small>	٩٩
من فضائل لوط <small>عليه السلام</small>	١٥٩
من فضائل إسماعيل <small>عليه السلام</small>	١٧١
من فضائل إسحاق <small>عليه السلام</small>	١٨٥
من فضائل يعقوب <small>عليه السلام</small>	١٩١
من فضائل يوسف <small>عليه السلام</small>	٢٠١
من فضائل أيوب <small>عليه السلام</small>	٢٣٩
من فضائل ذي الكفل <small>عليه السلام</small>	٢٤٩
من فضائل شعيب <small>عليه السلام</small>	٢٥١
من فضائل موسى <small>عليه السلام</small>	٢٦٣
من فضائل هارون <small>عليه السلام</small>	٢٩١
من فضائل يوشع <small>عليه السلام</small>	٣٠١
من فضائل يونس <small>عليه السلام</small>	٣٠٥

الموضوع	الصفحة
من فضائل إلياس عليه السلام	٣١٣
من فضائل اليسع عليه السلام	٣١٩
من فضائل داود عليه السلام	٣٢٣
من فضائل سليمان عليه السلام	٣٤١
من فضائل زكريا عليه السلام	٣٦٩
من فضائل يحيى عليه السلام	٣٧٥
من فضائل عيسى عليه السلام	٣٩١
أنبياء لم تذكر أسماءهم	٤٢٣
هل هؤلاء أنبياء؟	٤٢٣
الفهرس	٤٤٩



صدر حديثاً ...

التمهيد

لما في المؤطا من المعاني والأسانيد
مُرتباً على الأبواب الفقهية للموطأ

تأليف

الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله
ابن محمد بن عبد البر النعماني الأندلسي

٤٦٣:٣٦٨ هـ

الطبعة الوحيدة الكاملة والمرتبعة والمحققة على عدة نسخ خطية

تخقيق

أيسامه بن إبراهيم

يصدر في ١٨ مجلد

الناشر

الفاروق الحديث للطباعة والنشر

صدر حديثاً ويطبع لأول مرة

تفسير القرآن العزيز

تأليف

الإمام القدوة الزاهد

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين
المتوفى (٣٩٩ هـ)

طبعة محققة ومضبوطة على نسختيه خطيتين

* قال عنه أبو عمرو الداني: «ليس لأحد من المتقدمين مثله».

النَّاشِرُ

إِذَا رُفِقَ الْخَاشِعُ بِالطَّيِّبِ نَوَى النَّشْرَ